الخفاجيون في التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

فكرة الكتاب

منذ أكثر من ربع قرن بدأت أراجع الصيغة النهائية لكتابي « بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي » . وفي عام ١٩٥٠ أخذت في طبعه أجزاءاً ، جزءاً بعد جزء ، وظهر منه تسعة أجزاء ، وبقي لدي منه أكثر مما طبع ، ولم تمكنني الظروف من إعادة طبع باقيه حتى اليوم . ونفذت الأجزاء التي طبعت منذ أمد طويل .

لذلك رأيت اختصار أجزاء الكتاب في كتاب صغير يكون مرجعا عاجلا للباحث ، مع إضافة أشياء إليه ، وزيادات تخدم موضوعه .

وهذا هو كتاب « الخفاجيون في التاريخ » ينقل لك صوراً موجزة عن الخفاجيين وتاريخهم على طور العصور

والله ولي التوفيق ؟

١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م

المؤلف

قيس ومجدها القديم

قيس هذا الشعب العربى العظيم الذى عاش فى الجزيرة العربية أجيالا طويلة قبل ظهور الاسلام وبعده ، وترك وراءه آثارا خالدة فى البطولة والحرب والسياسة والأدب والعلم والدين ، يرددها له المؤرخون كلما بحثت حقب التاريخ وأحداثه ، ويقدرها له الباحثون كلما ردد للعرب ذكر ، أو أشاد بأيامهم وذكريات مجدهم فى القديم والحديث منصف يتحرى الصدق فيما يكتب وفيما يقول .

والمجد التاريخى لقيس مجد عظيم لايستطيع أحد أن يلم بجوانبه العظيمة الكبيرة التى كان لها دويها وأثرها : فى الحياة العربية قبل الإسلام ، وفى الحياة الاسلامية بعد الإسلام .

وأيام قيس فى الجاهلية(١) ، وتاريخهم الحافل بعد الإسلام ، مما لم يتناوله إلى الآن أحد بالبحث والدراسة والتحليل وهما فى حاجة إلى جهود عظيمة متضافرة تنير ظلمات البحث فى سبيل الدراسة والتاريخ لهذا الجانب الضخم من جوانب الحياة العربية .

وذكريات قيس الأولى ومجدها الغابر كانا أنشودة فى فم الشعراء فى كل عصر وكل جيل إلى مابعد ظهور الاسلام بعدة قرون ، فهتفوا بهما ، وأشادوا بذكرهما ، ونظموا فى التنويه بهما أروع القصائد وأجمل المقطوعات، ولا تزال ذكريات هذا المجد خالدة على الزمن باقية على الأيام ، مسطرة فى أسفار الأدب والعلم والتاريخ ، ناطقة بجلال هذا الشعب العربى الصميم ، وبخار هذه الارومة الوثابة الطامحة التى أحدثت آثارها فى حوادث التاريخ

(١) راجعها فى كتب التاريخ وفى العقد الفريد ٣٠٣ — ٣٢٩ / ٣، وفى العمدة ١٢٩ / ٢ وما بعدها .

وفى تطور الحركات الأدبية والعلمية والاجتماعية والسياسية التى ينطوى عليها تاريخ العرب الحافل ومجدهم القديم . وقد عرض ابن رشيق لمجد قيس الأدبى فى عمدته (راجع ٥٤و٥٥ / ١ العمدة طبعة سنة ١٩٠٧) .

وتنسب[1] شعوب قيس إلى قيس عيلان[2] من مضر من عدنان ، ذلك أن الجزيرة العربية كانت موطنا لشعبين عربيين عظيمين: قحطان وعدنان :

فأما القحطانيون فسكنوا اليمن وكانت لهم فيه حضارة ومدنية قديمة : وأما العدنانيون فسكنوا الحجاز وماجاوره من بلاد نجد إلى ريف العراق[3] فأقامت بطون قريش فى مكة ، وقبائل عبس وغطفان والعامريون وعقيل وخفاجة فى نجد ، واحتلت ذبيان مابين تيماء وحوران ، ونزل بنو أسد شرقى تيماء وغربى الكوفة ، وبنو تميم بادية البصرة ، وسكنت ثقيف الطائف ، وهوازن شرقى مكة ، واستوطنت قبائل تغلب الجزيرة الفراتية ، وحلت سائر بكر بن وائل طول الأرض من اليمامة إلى البحر فأطراف سواد العراق بالابلة[4] .

والعدنانيون من أولاد إسماعيل عليه السلام ، وقد نزل بالحجاز حوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ثم صاهر ملوك جرهم ، فكان له بنون وأحفاد ضلوا فى مجاهل الزمن فلم يعرف التاريخ منهم إلا عدنان وإليه ينتهى عمود النسب العربى الصحيح[5] .

وكان العدنانيون بدوا أهل رحلة يقيمون حيث يكون الماء والكلأ

(١) راجع نسب قيس فى كتب النسب وفى العقد ٢٢٤ — ٢٢٦ ج ٢
(٢) راجع ٨٥ — ٨٨ القصد والامم فى أنساب العرب والعجم
(٣) راجع ٢٩٩ ج ٢ من تاريخ ابن خلدون
(٤) راجع ص ٥ من الأدب العربى للزيات
(٥) راجع ص ٦ من الأدب العربى للزيات

ولم يكونوا كاليمنيين أهل مدنية وحضارة وترف(١) ، اللهم إلا قريشا فإنها استقرت بمكة (٢) ، وولد عدنان معدا ، وولد معد نزارا ، واعقب نزار أنمارا وإيادا وربيعة (ومنها بكر وتغلب) ومضر .

وكان المضريون أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بنى عدنان وكانت لهم رياسة مكة (٣) .

ومن مضر انشعبت بطون إلياس بن مضر ، وشعوب قيس غيلان بن مضر .

وأما إلياس فتشعبوا قبائل كثيرة ، فمنها تميم ، ومدركة ، وهذيل ، وخزيمة وأسد ، وكنانة ، وقريش التى اختار الله منها لرسالته محمدا صلوات الله عليه.

وأما قيس فكذلك قد تشعبت قبائل كثيرة فمنها : يشكر ، وسعد ، وغطفان ، وأشجع ، وعبس ، وذبيان ، وسليم ، وهوازن ، وثقيف ، ونصر ، وهلال وكلاب ، وعقيل ، وخفاجة .

ولو أردنا تتبع قبائل قيس والشخصيات البارزة التى ظهرت فيها وكان لها أثرها فى تاريخ الأمة العربية لأعيانا العد والاحصاء ، وربما وضعنا فى المستقبل تاريخا مفصلا لهذا البحث الجدير بالأهمية والعناية ، ولكننا نذكر بعضا من هذه القبائل والشخصيات الفذة التى نشأت فيها :

(أ) عدوان : ومنهم ذو الأصبع العدوانى(٤) وعامر بن الظرب العدوانى(٥) حكيما العرب فى الجاهلية وسواهما من الشعراء والأبطال .

---

(١) ص ٢٥ الأدب العربى لمحمد هاشم
(٢) راجع ٢٩٩ جـ ٢ من تاريخ ابن خلدون
(٣) ٣٠٥ / ٢ تاريخ ابن خلدون
(٤) راجع ١١٨ المؤتلف والمختلف للآمدى
(٥) راجع ١٥٤ المؤتلف والمختلف للآمدى

(ب) فهم : ومنها تأبط شرا الشاعر وسواه من الشعراء .

(ح) سليم ومنها كثير من الشخصيات البارزة فى الجاهلية والاسلام كعباس ابن مرداس السلمى أحد فرسان الجاهلية وشعرائها ووفد على النبى ومدحه(١) ، ومنها أشجع السلمى الشاعر العباسى المشهور(٢) م سنة ١٩٥ ، ومنها الجحاف ابن حكيم السلمى السيد المشهور الذى أوقع ببنى تغلب بالبشر الوقعة المشهورة سنة ٧٨ هـ(٣) ، ويقول ابن خلدون فى سليم : بطن متسع من قيس(٤) .

---

(١) راجع ١٦٢ معجم الشعراء للمرزبانى

(٢) الموشح للمرزبانى ص ٢٩٥

وراجع أيضا الأوراق للصولى الجزء الأول من ص ٧٤ — ١٣٧ ، وأخوه أحمد السلمى شاعر أيضا (١٣٧ — ١٤٣ الأوراق) وشعر أشجع ذخيرة تاريخية فى مجد قيس وتاريخها

(٣) راجع ١٣٤ / ٤ تاريخ ابن الأثير ، ٧٦ المؤتلف

(٤) أوسع بطون مضر وأكثرهم جموعا وكانت منازلهم بنجد وفيهم شعوب كثيرة ورياستهم فى الجاهلية لبنى الشريد بن رياح وعمرو بن الشريد عظيم مضر وأبناؤه صخر ومعاوية ٧١ و ٧٢ ج ٦ ابن خلدون

وقد فصل ابن خلدون الكلام عن تاريخهم من ص ٧١ — ٨٢ ج ٦

ومن شعرائها المتنكب السلمى وهو شاعر فارس وله فى مدح بنى خفاجة من أبيات طويلة :

فسقى الاله بنى خفاجة ماء الغمام بطيب الخمر

ومنهم : هرعرة السلمى الشاعر الجاهلى المعروف ، وابن الطريف السلمى الشاعر العباسى ، والمفضل بن خالد السلمى من شعراء خراسان، ومحمد بن أبى بدر السلمى الشاعر ، والأغر السلمى من السادة الأشراف الممدوحين وعاش إلى أواخر القرن الثالث الهجرى ، وعمير بن الحباب السلمى الشاعر

وتحدث صاحب زهر الآداب عن سليم وشرفها فى كتابه

د ـ أشجع ومنها أبو دلامة الأشجعى الشاعر العباسى المشهور (١) الذى عاصر المنصور والمهدى . ومنها حذيفة الاشجعى والى الأندلس سنة ١١٠ ، ومحمد بن عبد الملك الأشجعى واليها سنة ١١٢ هـ .

هـ ـ غطفان وهى ممتازة بكثرة رجالها وأبطالها .

و ـ عبس ، ومنها عنترة العبسى الشاعر وأحد أبطال العرب المعدودين ، وقيس بن زهير العبسى صاحب حرب داحس والغبراء فى الجاهلية ، وكان والده زهير سيد قيس عيلان (٢) ، وسواهم من الابطال والفرسان والشعراء.

ز ـ فزارة ، ومنها الشماخ الفزارى (٣) الشاعر ، وعيينة الفزارى الكوفى شريف شاعر (٤) وعويف القوافى شاعر شريف اتصل بالوليد وسليمان ابنى عبد الملك وعمر بن عبد العزيز (٥) ، ومالك بن أسماء الفزارى شاعر هو وأبوه من أشراف أهل الكوفة ، وكان الحجاج متزوجا بهند بنت أسماء أخت مالك ، وللحجاج معه أخبار كثيرة ، وكان غزلا ظريفا وتقلد ولاية خوارزم (٦) وكان أخوه عيينة ابن أسماء شاعرا أيضا .. وسواهم من الشخصيات البارزة فى الأدب والسياسة .

ح ـ جشم ومنها دريد بن الصمة الجشمى الفارس المشهور والشاعر المذكور (٧) والصمة الأكبر الفارس الشاعر (٨) والصمة الأصغر (٩) وهو أبو دريد بن الصمة وكان شجاعا شاعرا .

---

(١) راجع ١٣١ المؤتلف
(٢) ٢٢٩ج١ الكامل لابن الاثير
(٣) ١٣٩ المؤتلف (٤) ٢٦٧ معجم الشعراء
(٥) ٢٧٧ و ٢٧٨ معجم الشعراء
(٦) ٣٦٤ معجم الشعراء (٧) ١١٤ المؤتلف
(٨) ١٤٤ المؤتلف
(٩) ١٤٤ المؤتلف ، ٣٥٨ معجم الشعراء ، ٣٩٣ المعجم ايضا

ط — ومن قيس بنو سعد بن بكر من هوازن ومنهم حليمة مرضعة رسول الله صلوات الله عليه ومكث بينهم الرسول فى البادية خمس سنين .

ى — العامريون وسنفرد لهم بالذكر فصلا مستقلا لأهمية البحث عن تاريخهم السياسى والأدبى فى الجاهلية وبعد الإسلام .

العامريون ومنزلتهم التاريخية بين قبائل قيس

— ١ —

العامريون هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . ووالدة عامر هى عمرة بنت عامر العدوانى حكيم العرب (١٤٦ ج ٤ العقد الفريد) وكان العدوانى ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية (٤ أدب النديم لكشاجم) ، والعامريون جرم كبير من العرب لهم بطون أربعة : نمير ، وربيعة وهلال وسواءة :

فأما نمير بن عامر فهم إحدى جمرات العرب لم تخضع لنفوذ أحد من الملوك(١) وكانت لهم كثرة وعزة فى الجاهلية والإسلام ودخلوا إلى الجزيرة الفراتية وملكوا حرار وغيرها واستلحمهم بنو العباس أيام المعتز المتوفى سنة ٢٥٥ هـ فهلكوا ودثروا(٢) ومنهم الراعى النميرى الشاعر الأموى الفحل (٣) .

وأما هلال بن عامر فبطون كثيرة كانوا فى الجاهلية بنجد ثم ساروا إلى مصر فى حروب القرامطة ثم ساروا إلى افريقية أجازهم الوزير اليازورى فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى لحرب المعز بن باديس (٤) ، ومنهم حميد

---

(١) وقيل :عدوا من جمرات العرب لأنهم لم يحالفوا أحـد من العرب (١٨٨ ج ٢ عمدة) .

(٢) ٣١٠ بعدها ج ٢ تاريخ ابن خلدون

(٣) راجع ٥٥ — ٥٨ ج ١ زهر الآداب نشر الدكتور زكى مبارك ، وتوفى الراعى حوالى سنة ٩٠ هـ. وراجع ١٢٢ المؤتلف ايضا،و١٥٧ الموشح.ومنهم أيضا ابو حية النميرى الشاعر عم الراعى النميرى (١٥٧ و ٣٢٧ من الموشح للمرزبانى)

(٤)راجع ٣١٠ وما بعدها ج ٢ ابن خلدون

ابن ثور الهلالى الشاعر الأموى المشهور ، ومنهم أبو زيد الهلالى الذى الذى وضعت فى تاريخه القصة المشهورة .

وأما بنو ربيعة فبطون كثيرة ، وعامتها ترجع إلى ثلاثة من بنيه : عامر وكعب وكلاب ، وبلادهم بأرض نجد الموالية لتهامة بالمدينة وأرض الشام ثم دخلوا إلى الشام وتفرقوا فى ممالك الإسلام فلم يبق منهم أحد بنجد :

١ — فأما (١) عامر بن ربيعة العامرى فنهم بنو ربيعة بن عامر بن ربيعة الذى اشترك ابنه حندج مع خالد بن جعفر بن كلاب فى قتل زهير بن جذيمة العبسى ، وبنو ذو السهمين معاوية بن عامر بن ربيعة ، وبنو ذو الحجر عوف بن عامر بن ربيعة ، وبنو فارس الضحيا عمرو بن عامر بن ربيعة ، ومنهم خداش بن زهير بن عمرو من فرسان الجاهلية وشعرائها (٢) .

٢ — وأما بنو كلاب بن ربيعة العامرى فنهم : بنو الوحيد بن كعب ابن عامر بن كلاب ، وبنو ربيعة بن عبد الله أبى بكر بن كلاب ، وبنو عمرو ابن كلاب، ويقال إن منهم بنى صالح بن مرداس أمراء حلب (٤١٤ - ٤٠٣ هـ) . ومن بنى كلاب بنو رؤاس ، واسمه الحرب بن كلاب ، وبنو الضباب واسمه معاوية بن كلاب ، ومن عقبهم الصميل بن حاتم بن شمر وزير عبد الرحمن بن يوسف الفهرى بالأندلس (١٣١ — ١٣٨ هـ) ، وبنو جعفر ابن (٣) كلاب الذين منهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وعمه

---

(١) والحمس من بنى عامر هم كلاب وكعب وعامر بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة وكانوا فى الجاهلية يتحمسون فى دينهم أى يتشددون فيه وقيل سموا حمسا لشدة بأسهم (١٨٨ جـ ٢ عمدة)

(٢) ص ٣١٠ جـ ٢ ابن خلدون ومابعدها

(٣) ومنهم بنو أم البنين الأربعة وهم : عامر بن الطفيل وربيعة وعبدة ومعاوية بنو مالك بن جعفر بن كلاب (١٨٦ جـ ٢ عمدة) وسمى معاوية معوذ الحكماء (راجع ١٨٧ جـ ٢ عمدة)

أبو عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، وربيعة بن مالك ، وتبع المعترين ، وأبوه لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور(١) .

وتوفى لبيد العامرى سنه ٤١ هـ وعمره ١٥٧ سنة كما يقول ابن الأثير(٢): « وكانت بلاد بنى كلاب حمى ضرية والربذة فى جهات المدينة وفدك والعوالى ثم انتقل بنو كلاب إلى الشام فكان لهم فى الجزيرة الفراتية صيت وذكر وملك ، وملكوا حلب وكثيرا من مدن الشام ، تولى ذلك منهم صالح بن مرداس (من سنة ٤١٤ إلى ٤٢٠ هـ ، وتولى بعده أبناؤه إلى سنة ٤٧٣ هـ) ثم ضعفوا فهم الآن تحت خفارة العرب المشهورين بالشام(٣) .

٣ — وأما بنو كعب بن ربيعة العامرى فنهم بطون كثيرة منهم : مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن وقدان بن الحريش الصحابى المشهور ، ويقال إن منهم ليلى التى شبب بها قيس بن عبد الله بن عمرو بن ربيعة بن جعدة الشاعر مادح النبى صلوات الله عليه (٤) ، وبنو قشير بن كعب ومنهم مرة بن عامر بن مسلمة الخير بن قشير وفد على النبى صلوات الله عليه فولاه صدقات قومه ، ومنهم الصمة بن عبد الله القشيرى من شعراء الحماسة ، وبنو العجلان بن عبد الله كعب وشاعرهم تميم بن مقبل ، وبنو عقيل بن كعب وهم بطون كثيرة ، منهم :

١ — بنو المنتفق بنى عامر بن عقيل ومنازلهم الآجام التى بين البصرة

---

(١) ٣١٠ — ٣١٣ جـ ٢ ابن خلدون

(٢) الجزء الرابع أخبار سنة ٤١ هـ من ابن الأثير

(٣) راجع ٣١٠ — ٣١٣ جـ ٢ ابن خلدون

(٤) وهم ابن خلدون فى ذلك وإنما الذى شبب بها هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس ، ويلقب بمجنون ليلى

والكوفة (١) ، وهم ملوك البحرين(٢) ، ومنهم عمرو بن معاوية بن المنتفق ، وكان يتولى الصوائف فى أيام معاوية (٢٣٨ معجم الشعراء للمرزبانى) .

٢ — بنو عبادة بن عقيل ، منهم الأخيل كعب بن الرحال بن معاوية ابن عبادة ، ومن عقبه ليلى الأخيلية بنت حذيفة بن شداد بن الأخيل (٣) ، وكانت شاعرة مجيدة ، ولها تاريخ أدبى حافل فى جميع كتب الأدب ، وعاصرت عبد الملك والحجاج وقد أفردنا لها كتابا مستقلا ، وبنو عبادة هؤلاء لهذا العهد بالجزيرة الفراتية فيما يلى العراق ولهم عدد وذكر ، وغلب منهم على الموصل وحلب فى أواسط المائة الخامسة قريش بن بدران بن مقلد فملكها هو وابنه مسلم بن قريش من بعده ويسمى شرف الدولة وتوالى الملك فى عقب مسلم بن قريش منهم إلى أن انقرضوا(٤) » .

٣ — ومن بنى عقيل بن كعب: بنومالك، ملكوا الموصل بعد بنى حمدان واستولوا عليها وعلى نواحيها وعلى حلب معها، ثم انقرض ملكهم ورجعوا للبادية ووزنوا مواطن العرب فى كل جهة ، وكان بنو مالك بن عقيل فى أرض تيماء من نجد ، وهم الآن بجهات البصرة فى الآجام التى بينها وبين الكوفة المعروفة بالبطائح والامارة فيهم فى بنى معروف(٥) .

٤ — « ومن بنى عقيل بن كعب ، خفاجة بن عمرو بن عقيل وانتقلوا

---

(١) راجع ٣١٠ جـ ٢ وما بعدها ابن خلدون

(٢) راجع ١١ جـ ٦ ابن خلدون ، وراجع وفود لقيط بن عامر بن المنتفق على رسول الله ص ١٨١ جـ ١ العقد

(٣) راجع ٣١٠ جـ ٢ وما بعدها ابن خلدون

(٤) ٣١٠ — ٣١٣ جـ ٢ ابن خلدون ، ٢٧٥ جـ ٤ ابن خلدون أيضا

(٥) ١١ جـ ٦ ابن خلدون

فى قرب من هذه العصور إلى العراق والجزيرة ولهم ببادية العراق دولة(١)، وكان انتقالهم إلى العراق فأقاموا به وملكوا ضواحيه، وكانت لهم مقامات وذكر وهم أصحاب صولة وكثرة وهم الآن ما بين دجلة والفرات(٢).

٥ — ومن بنى عامر بن عقيل بنو عامر بن عوف بن مالك بن عامر(٣) وهم أخوة بنى المنتفق وهم بجهات البصرة وقد ملكوا البحرين بعد بنى أبى الحسن وملكوها من تغلب وملكوا أرض اليمامة من بنى كلاب(٤).

وقد وضع ابن خلدون شجرة نسب بدأها بخفاجة بن عمرو، وأرجعها إلى قيس عيلان (٥).

ومع ذلك فيمكننا أن نشير إجمالا وفى ايجاز إلى أهم هذه القبائل والشخصيات الكبيرة التى نبغت فيها.

١ — نمير وكان لها مكانتها العظيمة فى الجاهلية والإسلام وكانت إحدى جمرات العرب(٦) وتاريخها حافل بكثير من الشخصيات الكبيرة فى الشعر والأدب فى الجاهلية وفى السياسة بعد الإسلام، ومن شعرائها الراعى النميرى (٧) وكان يقال لأبيه فى الجاهلية الرئيس وولده وأهل بيته فى البادية سادة أشراف (٨) ومنها الأصم النميرى الشاعر (٩) وربيعة النميرى(١٠)

---

(١) ٣١٣ ج ٢ ابن خلدون (٢) ٦ : ص ١٢ المرجع
(٣) وكان لهم الملك فى البحرين فى منتصف القرن السابع الهجرى (٩٢ ج ٤ ابن خلدون)
(٤) ٢ : ٣١٣ المرجع (٥) راجع ص ٣١٤ ج ٢ ابن خلدون
(٦) راجع أيضا ٢٣٣ ج ٢ العقد الفريد
(٧) ١٥٧ موشح، ١٢٢ المؤتلف
(٨) راجع الشعر والشعراء لإبن قتيبة طبعة سنة ١٩٣٢ من ص ١٥٦ – ١٥٨
(٩) ٤٤ المؤتلف (١٠) ١٢٥ المؤتلف

الشاعر وجبير النميرى وكان من مروات العرب . ومنها أبو حية النميرى الشاعر المشهور ، وأبو ذؤيب النميرى الشاعر [١] ، ومنصور النميرى شاعر الرشيد إلى غير هؤلاء من الأدباء والشعراء والسادة .

٢ — الهلاليون . ينسبون إلى هلال بن عامر ، وأقاموا فى البادية إلى الدولة العباسية ومنازلهم من بعد الحجاز بنجد فى جبل غزوان عند الطائف وتحيز الكثير منهم إلى القرامطة عندظهورهم وآزروهم بالبحرين وعمان . ثم نقلت الدولة الفاطمية أشياع خصومها القرامطة — بعد انتصار الفاطميين عليهم — من بنى هلال وبنى سليم إلى الصعيد [٢] . وفى سنة ٤٤١ هـ ، أرسلهم اليازورى وزير الخليفة المستنصر الفاطمى إلى المغرب الأقصى فوصلوا إلى إفريقية سنة ٤٤٣ هـ [٣] واقتسموا بلاد إفريقية سنة ٤٤٦ ، ثم اقتسموها ثانية بينهم فكان لهلال من تونس إلى المغرب [٤] .

« ولهؤلاء الهلاليين فى الحكاية عن دخولهم إلى إفريقية طرق فى الخبر ، يزعمون أن الشريف ابن هاشم كان صاحب الحجاز وأنه خطب الجازية أخت الحسن بن سرحان فتزوجها وولدت منه ولدا اسمه محمد وأنه حدث بين الشريف وبينهم خصومة وفتنة وأجمعوا أمرهم على الرحلة عن نجد إلى إفريقية فتحايلوا على الشريف فى استرجاع الجازية فطلبته أن يكون معها فى زيارة أبويها فخرج بها إلى ديارهم فارتحلوا به وبها وكتموا أمر الرحلة عنه وموهوا عليه بأنهم يباكرون به للصيد والقنص ثم يرجعون به إلى بيوتهم

(١) ١٢٠ المؤتلف للآمدى

(٢) قال المقريزى عن بنى هلال : كانوا أهل بلاد الصعيد (٣٦ البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب)

(٣) راجع ١٣ و ١٤ جـ ٦ ابن خلدون

(٤) راجع ١٥ جـ ٦ ابن خلدون

بعد بنائها فلم يشعر بالرحلة إلى أن فارق موضع ملكه وصار إلى حيث لا يملك من الأمر شيئا ففارقوه فرجع إلى مكة وبين جوانحه من حبها داء شديد ، ثم كلفت به الجازية أيضا إلى أن ماتت من حبه ، ويتناقلون فى ذلك من أخبارها مايعفى على أخبار قيس وكثير عزة(١) » . وهم متفقون على الخبر عن قصة الجازية والشريف خلفا عن سلف وجيلا عن جيل ، وهذا الشريف الذى يشيرون إليه هو من الهاشميين وهو شكر بن أبى الفتوح الحسن بن أبى جعفر بن هاشم بن موسى بن عبدالله بن أبى الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن إدريس ، وأبو الفتوح هو الذى خطب لنفسه بمكة أيام الحاكم الفاطمى وبايع له كافة العرب ثم انتصر عليه الحاكم فرجع إلى مكة ومات سنة ٤٢٠ ﻫ فولى بعده ابنه شكر هذا ومات سنة ٤٥٣ ﻫ ، وولى بعده على مكة ابنه محمد الذى يزعم هؤلاء أنه من الجازية(٢) ، ثم غلب على الهلاليين الموحدون فدخلوا فى دعوتهم وكانوا من قوادهم فى جهاد الأندلس واجتازوا الأندلس مع عبد المؤمن المتوفى سنة ٥٨٠ وابنه يوسف(٣) المتوفى سنة ٥٩٥

وقد تحدث ابن خلدون فى تاريخه عن تاريخ بنى هلال فى تفصيل ، وذلك فى الجزء السادس(٤) ، وفى مصدر آخر يحدد بلادهم فى الجاهلية وبعدها ويقول : إنهم كانوا ساكنين بأرض الحجاز وكانوا بأرض النجود مقيمين فى نجد فى بلاد مشرف العقيلى(٥) .

وكان من بنى هلال : حميد بن ثور الهلالى الشاعر المشهور ومن الحميدين ، ومنهم عاصم الهلالى ، ومن ولده : زفر بن عاصم قائد غزوة الصائفة عام ١٥٦ﻫ

---

(١) راجع ١٨ ج ٦ ابن خلدون

(٢) ص ١٨ ج ٦ ابن خلدون (٣) ٢٠ ج ٦ ابن خلدون

(٤) ١٢ ، ٣١ ج ٦ ابن خلدون

(٥) ص ٢ الانس والابتهاج فى قصة أبو زيد الهلالى

وولى الجزيرة وعزل عنها سنة ١٠٣، وولى عاصم خراسان لهشام بن عبد الملك، ومعاوية بن زفر بن عاصم الهلالى قائد غزوة الصائفة ١٧٨ هـ، وأبو العباس الهلالى وكان على حرس عمر بن عبد العزيز، ومنهم مسعر بن كدام الهلالى م١٥٥، ومنقذ الهلالى شاعر بصرى عاش فى صدر الدولة العباسية، وسفيان ابن عيينة الهلالى (١٠٩ - ١٩٨ هـ) الزاهد المشهور، وعبدالله بن زياد الهلالى والى أرمينية، وعكاف الهلالى الصحابى.

٣ — جعدة وتنسب إلى جعدة بن كعب بن ربيعة العامرى ومنها عبدالله ابن جعدة العامرى بطل الجفار فى الجاهلية، ومنها قيس النابغة الجعدى بن عبدالله بن ربيعة بن جعدة وهو شاعر مشهور وفد على رسول الله وأنشده قصيدته التى يقول فيها:

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
بلغنا السماء مجدنا وفخارنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: لا يفضض الله فاك، وعمر حتى أدرك الأخطل شاعر عبد الملك بن مروان السياسى وتنازعا الشعر ومات باصفهان وهو ابن ١٢٠ سنة وفى شعره حكمة ورقة وجمال وكان شاعرا مفلقا.

ومنها قيس بن الملوح بن مزاحم بن ربيعة بن جعدة وهو مجنون ليلى والعاشق المشهور، الذى صار حبه العذرى مضرب الأمثال، ويقال: إن إن مجنون ليلى هو قيس بن معاذ أحد بنى عقيل بن كعب بن ربيعة، ويقال إنه هو معاذ النميرى، ويقال إن معاذا هو الملوح وهو أبو قيس صاحب ليلى، ويقال إن مجنون ليلى هو المهدى بن الملوح الجعدى، وقيل هو قيس بن مزاحم بن قيس الجعدى(١)، وأيا ما كان الاختلاف فيه فإن من الراجح الغالب أنه من جعدة وتوفى نحو عام ٨٠ هـ.

(١) تنبيه الأمالى ص ٤٧

٤ — الحريش تنسب إلى الحريش بن كعب بن ربيعة العامرى ، ومنها ليلى صاحبة قيس الذى أكثرت فى الحديث عنها كتب الأدب والشعر ، وهى ليلى بنت مهدى بن سعد بن مهدى بن ربيعة بن الحريش ومنها مطرف الشاعر .

٥ — بنو العجلان بن عبد الله بن الحريش ، ومن هذه القبيلة تميم بن أبى مقبل شاعر جاهلى إسلامى وله قصيدة طويلة فى مدح عصر العقيلى ذكر فيها شيخوخته ومجده فى الشعر(١) .

٦ — الكلابيون ينسبون إلى كلاب بن ربيعة العامرى وكانت لهم دولة كبيرة وملك ضخم فى القرن الخامس الهجرى ، خلف كلاب كعبا وعامرا ورواسا وربيعة والضباب وأبا بكر وجعفرا .

وقد استبدت جعفر بمجد الجاهلية والإسلام وظهر منها أعظم الشخصيات فى حياة العرب قبل الإسلام وفيها يقول طفيل الغنوى الشاعر من قيس :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت
بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذى لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجئوا إلى حجرات أدفات وأظلت

ومر المهدى الخليفة العباسى - ١٦٩ هـ ببلاد بنى جعفر فى طريقه من بغداد إلى الحج فرأته امرأة من بنى جعفر فقالت : أى شرف وجمال لو أن الله دعمه بأم جعفرية(٢) .

---

(١) راجع ١٧٥ و ١٧٦ الشعر والشعراء

(٢) ص ١٥ كتاب البديع لابن المعتز طبعة سنة ١٩٣٥

ومن قبيلة جعفر :

(ا) عروة بن عتبة بن جعفر(١) ، وكان يلقب الرحال لكثرة رحلاته إلى الملوك ، وكان عروة قد أجار لطيمة النعمان التى كان يبعثها كل عام إلى عكاظ للتجارة فحسده على هذا الشرف البراض الكنانى فتربص له وقتله فى الطريق وساق الإبل بما عليها فقامت بسبب ذلك حرب يوم الفجار الثانى وكانت بعد الفيل بعشرين سنة واشترك فيها رسول الله صلوات الله عليه وسنه عشرون سنة مع قومه قريش ، وكان بطل العامريين فى هذه المعارك الهائلة عامر بن مالك ملاعب الأسنة(٢) عم عامر بن الطفيل .

(ب) عامر بن الطفيل فارس العرب فى الجاهلية وبطلها ، والده الطفيل فارس قرزل (اسم فرس له) وسيد بنى عامر وقائدهم فى يوم ذى نجب(٣)، وولد عامر يوم شعب جبلة الذى انتصرت فيه قيس على جيوش لقيط بن زرارة . وكان عامر بن الطفيل بطل الحرب يوم فيف الريح وطعن فيها أكثر من عشرين طعنة وشهد يوم الرقم وهو شاب لم يتزعم قومه بعد ، كما شهد يوم ساحوق ويوم النبأة ، وأدرك عصر الرسول صلوات الله عليه ، وهو صاحب حادث يوم بئر معونة .

ودعاه الرسول إلى الإسلام فأبى وتوفى سنة ٩ هـ ، ومن أحفاد عامر :

---

(١) ١٢٥ المؤتلف

(٢) ٢٤٦ — ٢٤٨ جـ ١ تاريخ الكامل لابن الأثير ، كما كان ملاعب الأسنة بطل معارك السلان التى هزم فيها جيش النعمان (٢٦٨ — ٢٦٩ جـ ١ الكامل)

(٣) ٢٤٨ — ٢٤٩ جـ ١ الكامل لابن الأثير

المتوكل بن عياض بن الحكم بن عامر الشاعر الأموى[1] . وكان عامر أحد فرسان العرب الأربعة .

(ح) معاوية معوذ الحكماء وكانت أمه تسمى أم البنين وهى إحدى المنجبات من نساء الجاهلية وكانت بنت جذيمة بن رواحة العبسى .

(د) لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة العامرالشاعر المشهور ومن أصحاب المعلقات وعمر طويلا بعد ظهور الإسلام وأسلموامتنع عن قول الشعر وعاش فى الكوفة إلى أن توفى سنة ٤١ ﻫ ، وكان أبوه ربيعة يسمى ربيعة المعترين لسخائه وكرمه ، وكان لبيد شريفا فى الجاهلية والإسلام سخيا نذر ألا تهب الصبا إلا نحر وأطعم وأعانه على جوده وسخائه الوليد بن عقبة أمير الكوفة فى قصة معروفة ، وتوفى والد لبيد ولبيد شاب كما توفى أخوه أربد مع عامر بن الطفيل سنة ٩ ﻫ بصاعقة[2] ودفن لبيد فى صحراء بنى جعفر بن كلاب فى أول خلافة معاوية وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة [3] ، ووضعه ابن سلام فى الطبقة الثالثة من شعراء الجاهليين مع النابغة الجعدى وأبى ذؤيب الهذلى والشماخ بن ضرار ـ أحد بنى سعد ابن ذبيان [4] .

(ﻫ) أربد العامرى أخو لبيد لأمه ، وللبيد فيه مراث خالدة[5] ولأربد ابن شاعر اسمه ذر العامرى[6] ، واشترك أربد فى حروب يوم فيف الريح[7] .

---

(١) ١٧٩ المؤتلف و ٤١٠ المعجم
(٢) راجع ٢٤١ — ٢٦٣ الأدب الجاهلى لمحمد هاشم عطية
(٣) راجع ٨٨ — ٩٤ الشعر والشعراء
(٤) راجع ٤٢ وما بعدها من طبقات الشعراء لابن سلام طبعة المحمودية
(٥) راجع ٢١٠ معجم الشعراء ٢٥ المؤتلف
(٦) راجع ١٢٢ المؤتلف (٧) ٢٦٥ و ٢٢٦ ج ١ الكامل

(و) الأحوص بن جعفر بن كلاب العامرى بطل العامريين فى الحرب بينهم وبين عبس التى شبت إثر فتك ظالم بن الحرث المرى بخالد بن جعفر ابن كلاب(١) وسبب هذه الحرب أن خالدا قتل زهير بن جذيمة العبسى سيد قيس عيلان - أثر تهديد قيس للغنويين الذين فتك رجل منهم بشاش بن زهير، وكان الغنويون أخوال خالد . . فتربص الحرث بن ظالم المرى لخالد وهو فى جوار النعمان ملك الحيرة وقتله فقام العامريون وعلى رأسهم الأحوص العامرى ومعهم جيش النعمان بحرب بنى دارم الذين أجار رئيسهم ضمرة الدارمى الحارث المرى قاتل خالد ، وشهد هذه المعارك مع جيش العامريين: مالك بن جعفر العامرى ، وأبناء عامر وطفيل ، وعوف بن الأحوص ، وربيعة بن عبدالله بن أبى بكر بن كلاب، وربيعة بن عقيل بن كعب وسواهم من أبطال العامريين وكانوا تحت قيادة الأحوص بن جعفر العامرى(٢) .

وكان عمرو بن الأحوص العامرى بطل بنى عامر فى يوم ذى نجب وقتل فى هذه المعركة وبقى والده الأحوص بعده مدة يسيرة ثم مات حزنا عليه ، ومن أحفاد عمرو بن الأحوص مروان العامرى الشاعر الجاهلى، وللأحوص ابن آخر اسمه شريح العامرى ، وللأحوص كذلك ابن آخر هو عوف بن الأحوص وهو شاعر مجيد روى له المفضل الضبى فى مفضلياته شعرا ، وفارس مغوار اشترك فى حرب الفجار(٣) ومن أحفاد عوف : علقمة بن علاثة بن الأحوص وهو الذى نافر عامر بن الطفيل بمنافرة مشهورة حين تنازعا الشرف والزعامة فذهبا إلى هرم بن قطبة الفزارى ليحكم بينهما فقال لهما : أنتما كركبتى البعير تقعان إلى الأرض معا وتقومان معا وكانا قد ذهبا

---

(١) راجع ١٧ — ٢٩ ج ١٠ الأغانى

(٢) ٢٢٩ - ٢٣٤ ج ١ الكامل لابن الأثير

(٣) راجع ٢٧٥ و ٢٧٦ معجم الشعراء

فى منافرتهما إلى أبى سفيان فلم يقل فيهما شيئا فأتيا أبا جهل بن هشام فأبى أن يقضى بينهما فتحا كما إلى هرم ، وقد أسلم علقمة ثم ارتد بعد الرسول . ومن بنى كلاب زفر بن الحارث الكلابى[١] .

٧ — بنوعامر بن ربيعة العامرى وكان يقال له فارس الضحيا والضحياء فرسه وأبناؤه : عوف ، ومعاوية ، وعمرو (ومن أحفاده خداش بن زهير الشاعر الجاهلى المجيد[٢]) ، والبكاء ومن أحفاده : معاوية الذى وفد على الرسول صلوات الله عليه فدعا له ومسح رأسه[٣] ، ولمعاوية حفيد شاعر اسمه محمد[٤] .

٨ — العقيليون ينسبون إلى عقيل بن كعب بن ربيعة العامرى ، كانوا بنجد ثم انتقلوا فى الاسلام إلى الجزيرة الفراتية بالشام وملك منهم الموصل بنو مالك بعد بنى حمدان وتغلب ، واستولوا عليها وعلى نواحيها وعلى حلب معها ثم انقرض ملكهم ورجعوا للبادية ، وورثوا مواطن العرب فى كل جهة ، فمنهم بنو المنتفق بن عامر بن عقيل فى أرض تيماء من نجد وهم الآن بجهات البصرة ، ويليهم فى جهات البصرة إخوتهم بنو عامر بن عوف بن مالك (وعوف أخو المنتفق) وقد غلبوا على البحرين ، وملكوها من أيدى أبى الحسن الأصغر وملكوا أيضا أرض اليمامة من بنى كلاب وكان ملوكهم فيها لهذا العهد (سنة ٦٥٠ هـ) بنى عصفور[٥] .

---

(١) وله شهرة عظيمة سياسية وحربية فى الدولة الأموية فى عصر عبد الملك ابن مروان (راجع ١٣٢ - ١٤٢ جـ ٤ الكامل)

(٢) ٢٤٦ الشعر والشعراء

(٣) ٤١٦ معجم الشعراء

(٤) ٤١٦ معجم الشعراء

(٥) ١١ و ١٢ جـ ٦ وابن خلدون ـ آل عصفور من عقيل ، وهم أول من خلف دولة العيونيين على ملك الإحساء فى منتصف القرن السابع (١ : ٣٢ تحفة المستفيد ـ محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصارى الخزرجى ـ ط الرياض ١٩٦٠) .

تلك كلمة لابن خلدون فى بنى عقيل ، ويقول ابن خلدون فيهم فى موضع آخر من تاريخه :

«كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمير وخفاجة وكلهم من عامر بن صعصعة قد انتشروا ما بين الجزيرة الفراتية والشام وكانوا كالرعايا لبنى حمدان ، ثم استفحل أمرهم عند فشل دولة بنى حمدان وصاروا إلى ملك البلاد[1] .

وقد سبق أن نقلنا كلمة ابن خلدون الموجزة عن بعض فروع بنى عقيل[2] ولكنها كلمات موجزة على كل حال فى الحديث عن بنى عقيل ، وننتقل إلى التفصيل والإلمام ببعض فروعهم الأولى .

تفرع بنو عقيل إلى فروع كثيرة ظهر فيها كثير من الشخصيات الكبيرة فنهم :

(ا) بنو ربيعة وكان منهم رباح الخليع بن عمرو بن ربيعة بن عقيل ولقب الخليع لتخلعه على الملوك أى عدم اعطائه أتاوة لهم لمجده وعزه ومنعته[3] .

(ب) بنو الأخيل بن عبادة بن عقيل ، ونشأت منهم ليلى الأخيلية[4] الشاعرة بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية الأخيل وهى صاحبة توبة الخفاجى وتزوجت سوار بن أوفى القشيرى[5] ، ولما مات توبة رثته بشعرها الخالد ، وسنتكلم عليها وعلى شعرها عند الكلام على توبة .

(ح) بنو عامر بن عقيل ومنهم .

١ — جرير بن عبد الله بن عامر فارس شاعر[6] .

---

(١) ٢٥٥ ج ٤ ابن خلدون — (٢) ٣١٠ - ٣١٣ ج ٢ ابن خلدون

(٣) ٣٥ ج ٤ الأغانى — (٤) ١٣١ ج ٤ أغانى

(٥) ٩٧ المؤتلف . ٣٤٣ معجم الشعراء — (٦) ٧١ المؤتلف

٢ — مزاحم بن عمرو بن الحارث بن مصرف بن الأعلم بن خويلد بن عامر العقيلي ، وجده مصرف(١) فارس شاعر جاهلي له أشعار في يوم النخيل ويوم فيف الريح(٢) . وهو شاعر أموي مجيد(٣)، ووضعه ابن سلام في الطبقة العاشرة من الشعراء الإسلاميين مع : يزيد بن الطثرية ، وأبي دؤاد الرؤاسي أحد بني رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، والقحيف بن سليم العقيلي(٤) ، وكان مزاحم كما يقول ابن سلام رجلا غزلا شجاعا شديد أسر الشعر حلوه وكان معرقة شعره هجاءا .

٣ — عويمر بن أبي عدي بن ربيعة بن عامر العقيلي شاعر عاش في عصر ماقبل الاسلام وهرب منه عنترة بن شداد العبسي في إحدى الحروب فأخذ عويمر ماله وقال في ذلك شعرا رواه المرزباني(٥) .

٤ — امرؤ القيس بن كلاب بن رزام بن خويلد بن عوف بن عامر العقيلي الشاعر(٦) وكان والده كلاب العقيلي شاعرا إسلاميا(٧) .

٥ — عوف بن المنتفق بن مالك بن عوف بن عامر العقيلي شاعر فارس جاهلي وهو الذي قتل لقيط بن زرارة الدارمي يوم شعب جبلة وقال في ذلك شعرا مشهورا(٨) وبنو المنتفق كانوا بعد الاسلام ملوك البحرين(٩) .

٦ — عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر العقيلي وأحفاده كانوا ملوك الموصل بعد بني حمدان (١٠) .

---

(١) ٣٨٩ معجم الشعراء
(٢) يوم من أيام بني عامر في الجاهلية راجع ٢٦٥ جـ ١ الكامل لابن الأثير
(٣) ١٥٠ — ١٥٣ جـ ١٧ الأغاني وله شعر في الأغاني ص ١٥٢ جـ ٧ وص ١٥٢ جـ ١٠
(٤) ٢٤٩ وما بعدها طبقات الشعراء لابن سلام .
(٥) راجع ص ٣٥٤ معجم الشعراء
(٦) راجع ص ١٢ المؤتلف
(٧) راجع ص ٣٥٤ معجم الشعراء
(٨) راجع ص ٣٧٧ معجم الشعراء
(٩) ١١ جـ ٦ ابن خلدون
(١٠) ١١ جـ ٦ ابن خلدون

٧ — كعب بن عوف بن عامر العقيلى شاعر جاهلى وله شعر فى يوم من أيامهم فى الجاهلية (١) ومن أحفاده : يزيد بن روية بن سالم بن كعب ومعاوية بن عبد الله بن سالم بن كعب .

هذا هو مجمل الحديث عن فروع بنى عقيل وقد ظهرت منهم على تطور الزمن شخصيات كثيرة منهم : أبو لطيفة ابن مسلمة العقيلى أمير العقيق (٢) ، وبشار بن برد العقيلى نشأ فى بنى عقيل وأخذ الشعر والفصاحة عن سبعين شيخا من شيوخ بنى عقيل (٣) ، ومعاذ العقيلى الشاعر الأموى (٤) وأبو الهيذام العقيلى الشاعر ـ سنة ٢٣٠هـ (٥) ، وابن أحمر العقيلى (٦) ، وأبو الحسن العقيلى من شعراء اليتيمة (٧) وعقال بن خويلد العقيلى الشاعر (٨) ، وحجيرة بن صبرة العقيلى (٩) ، وعلى بن خالد العقيلى الكاتب ، ولعلى بن الجهم م ٢٤٩ هـ قصيدة له (١٠) ، وعلى بن أحمد العقيلى لم ير أفصح منه وكان شاعرا (١١) ، والضحاك بن عقيل العقيلى (١٢) ، والسليك العقيلى (١٣) ، والقعقاع العقيلى الشاعر (١٤) ، والعقيلى الشاعر (١٥) .

ومنهم عطية العقيلى (١٦) ، والهفوان العقيلى أحد بنى المنتفق وهو شاعر (١٧) ، والشجرى العقيلى الذى كان يرجع ابن جنى وسواه من علماء

---

(١) ٣٤٤ معجم الشعراء
(٢) ١٤٢ ج ٢٠ الأغانى (٣) راجع ١٣٦ ج ٣ زهر الآداب
(٤) ٣٠٥ معجم الشعراء (٥) ٣٥٤ معجم الشعراء
(٦) ١٧٠ ج ٣ زهر الأدب (٧) ١٧٢ ج ١ يتيمة الدهر الطبعة الجديدة
(٨) ٣٢١ معجم الشعراء (٩) ٢٨٢ معجم الشعراء
(١٠) ٢٨٨ معجم الشعراء (١١) ٢٩٢ معجم الشعراء
(١٢) ١١١ المؤلف (١٣) ١٣٧ المؤتلف (١٤) ٣٣٠ معجم العراء
(١٥) ١٥٧ ج ٤ زهر الأدب (١٦) هامش ٢٩٨ معجم الشعراء
(١٧) ٤٩٢ معجم الشعراء

العربية إليه فى مشكلات اللغة العربية فى القرن الرابع الهجرى فيفتيهم بملكاته العربية السليقية ، وربيعة العقيلى الشاعر وله شعر فى معركة الجمل بين على وعائشة أم المؤمنين(١) ، ومسلم بن ربيعة العقيلى من قواد يوم الكحيل سنة ٧١ هـ (٢) .

٩ — الخفاجيون : ومن فروع بنى عامر : بنو خفاجة ، ومواطنهم : بيشة ، وتثليث ، وترج ، وهرجاب ، واللواء ، والدخول ، وواسط ، والعلم ، وما حولها .

— ٢ —

وأخيرا فهذه هى أشهر فروع العامريين تحدثنا عنها حديثا طويلا جديدا بعد دراسة طويلة شاقة . . والعامريون كما سبق أن ذكرنا ينسبون إلى عامر بن صعصعة ، وكان (٣) صعصعة قد خطب عمرة بنت عامر بن الظرب العدوانى حكيم العرب فتزوجها وولدت عامرا .

« وكان بنو عامر حمسا(٤) والحمس قريش ومن له فيهم ولادة ؛ وكانت عامر أيضا لقاحا ، واللقاح الذين لا يدينون للملوك(٥) ، وكان بنو عامر بن

---

(١) ١٠٦ جـ ٣ ابن الأثير

(٢) ١٢٣ جـ ٤ ابن الأثير . . ومنهم : الضحاك العقيلى وزياد ابنه بطلا معركة مرج راهط فى عهد مروان بن الحكم الخليفة الأموى ، وكان مع الضحاك فرسان من وكان القيسيون مع ابن الزبير واليمانية مع بنى أمية . ومنهم إسحاق بن مسلم العقيلى

(٣) ١٤٦ جـ ٤ العقد الفريد

(٤) وسموا حمسا لأنهم كانوا يتحمسون فى دينهم أى يتشددون فيه ، وقيل سموا حمسا لشدة بأسهم (١٨٨ جـ ٢ عمدة)

(٥) ٢٦٨ جـ ١ الكامل لابن الأثير

صعصعة كلهم بنجد ، فبنو كلاب بخناصرة والربذة من جهات المدينة ، وكعب ابن ربيعة فيما بين تهامة والمدينة وأرض الشام ، وبنو هلال بن عامر فى بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان ، ونمير معهم ، وجشم محسوبون منهم بنجد . وانتقلوا كلهم فى الإسلام إلى الجزيرة الفراتية مسلك نهر حران ونواحيها ، وأقام بنو هلال بالشام إلى أن ارتحلوا إلى المغرب وبقى منهم بقية بجبل بنى هلال المشهور بهم(١) ، وبنو كلاب بن ربيعة ملكوا أرض حلب ومدينتها كما ذكرناه ، وبنو كعب بن ربيعة دخلت إلى الشام منهم قبائل عقيل وحريش وجعدة فانقرضوا فى الإسلام ولم يبق منهم إلا بنو عقيل فملكوا الموصل بعد بنى حمدان ثم رجعوا للبادية وورثوا مواطن العرب فى كل جهة (٢) » .

وقد وفد العامريون على رسول الله صلوات الله عليه سنة ٩ هـ بعد فتح مكة وأسلم الكثير منهم فى حياة الرسول صلوات الله وبعد وفاته ترددوا قليلا ثم ثبتوا على الإسلام (٣) .

وقد صاهرهم رسول الله صلوات الله عليه ، فتزوج منهم زينب بنت خزيمة من بنى عامر بن صعصعة وتوفيت فى حياته(٤) .

وتزوج أيضا ميمونة بنت الحارث الهلالية وكانت قبله عند مسعود بن عمرو الثقفى ثم تزوجها بعد مسعود ابورهم بن عبد العزى(٥) ثم تزوجها

---

(١) انتقل مع بنى هـــلال كثير من فزارة وأشجع وجشم وبنى ثور بن معاوية بن عبادة بن ربيعة البكاء بن عامر بن صعصعة الخ - راجع ١٦ و ١٧ جـ ٦ ابن خلدون

(٢) ١١ و ١٢ جـ ٦ ابن خلدون

(٣) ١٤٥ و ١٤٦ جـ ٢ ابن الأثير

(٤) ١٢٨ جـ ٢ ابن الأثير ، ٥٩ جـ ٣ العقد

(٥) فى العقد الفريد : أبو سبرة بن أبى رهم العامرى ٥٩ جـ عقد

بعد أبي رهم رسول الله وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد (١) .

ومن خطبهن الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتزوجها ضباعة بنت عامر من بني قشير وكانت ضباعة تحت عبد الله بن جدعان ثم طلقها فتزوجها هشام ابن المغيرة . وكانت أم البنين بنت حرام الكلابية زوجة علي بن أبي طالب (١٥٩ ج ٣ العقد الفريد) .

وكذلك نبغت من بني عامر كثير من السيدات المشهورات في التاريخ كجمل الضبابية من بني كلاب ، وأم موسى الكلابية ؛ وزهراء الكلابية ، وأم الفضل بنت الحارث الهلالية والدة عبد الله بن العباس وزوجة العباس بن عبد المطلب عم الرسول ولذلك كان بنو هلال أخوال عبد الله ابن عباس ، وضباعة العامرية السالفة الذكر ، وبكارة الهلالية من أنصار علي وشيعته ، وليلى العامرية صاحبة المجنون ، وأم الأسود الكلابية ، وليلى الأخيلية الشاعرة سنة ٨٠ هـ ، وضاحية الهلالية الشاعرة : وتجد في كتاب « شاعرات العرب » حديثا عن أكثرهن وشعرا لهن .

وقد يكون من الإسراف والتطويل الوقوف عند كل علم من هذه الأعلام وكل شخصية من هذه الشخصيات والإلمام بتاريخها وجوانبها التي كاد أن ينساها التاريخ السياسي .

وهذه الأعلام كلها من شجرة العامريين إنما وضعناها هنا لأن لكل منها تاريخا ومجدا حافلا وذكرا تليدا وعظمة مغمورة بين عظائم أحداث التاريخ المغمورة . ، ويكفينا هنا ماقدمناه في الحديث عن بعض الشخصيات مما نقلناه عن أوثق المصادر التاريخية التي أشرنا إليها فهي وحدها أبلغ شاهد على مجد العامريين الخالد وتاريخهم العظيم وذكرياتهم الحافلة وقد دعا رسول الله

---

(١) ١٢٩ ج ٢ ابن الأثير

العامريين إلى الإيمان (١) به فقبل دعوته فريق ، وتردد فى الإيمان به بعض المترددين ثم دخلوا جميعا فى دين الله أفواجا ، متحمسين لكلمة الطهر والتوحيد والإسلام .

— ٣ —

وقد أبدى العامريون نشاطا كبيرا فى التاريخ الإسلامى فى هذه الحقبة من التاريخ والعامريون اسم يطلق كما ذكرت على قبائل كثيرة منها : عقيل وخفاجة .

فقد اشتركوا فى معركة الجمل مع أم المؤمنين عائشة ، ولم يبق شيخ من بنى عامر إلا أصيب قدام الجمل (٢) وكان الضحاك العقيلى وابنه زياد بطلى معركة مرج راهط وكان معهما فرسان قيس (٣) .

وكذلك اشتركوا ـ العامريون والقيسيون ـ فى هذه الأيام الحربية التى قامت سنة ٧٠ هـ و ٧١ هـ بين قيس وتغلب : كيوم الثرثار الأول (٤) ، ويوم الثرثار الثانى (٥) ، ويوم المعارك (٦) ، ويوم البلخ ، ويوم الحشاك (٧) ، ويوم الكحيل (٨) الذى كان من أبطاله تميم السلمى وزفر بن الحارث الكلابى ومسلم بن ربيعة العقيلى (٩) ، ويوم البشر (١٠) .

وانتصروا فى كثير من هذه الأيام على تغلب انتصارات عظيمة .

---

(١) راجع أسواق العرب (ص) ٢١٧
(٢) ١٠٨ جـ ٣ ابن الأثير (٣) راجع ١٤٦ جـ ٣ العقد الفريد
(٤) ١٣٠ جـ ٤ ابن الأثير (٥) ١٣١ جـ ٤ ابن الأثير
(٦) ١٣١ جـ ٤ ابن الأثير (٧) ١٣٢ جـ ٤ ابن الأثير
(٨) ١٣٢ و ١٣٣ جـ ٤ ابن الأثير
(٩) ١٣٣ جـ ٤ ابن الأثير (١٠) ١٣٤ جـ ٤ ابن الأثير

ويحدثنا التاريخ عن زفر الكلابي ومجده وبطولته حديثاً مستفيضاً(١) وعن غزوة اسحق بن سلم العقيلي لكرمانشاه عام ١٢ هـ وعن إبراهيم العقيلي - ١٤٢هـ ، وعن أبي الهيذام وثورته على الرشيد ومعه قيس بالشام سنة ١٧٦ هـ(٢) وقد مات أبو الهيذام ١٨٢ هـ ، كما يحدثنا عن مسلم بن بكار العقيلي وقتله عام ١٨٠ خراشة الشيباني الذي خرج على الرشيد بالجزيرة ، وعن يحى بن سعيد العقيلي وقتله عام ١٨٧ لخارج بآمد ، وكما يحدثنا عن نصر بن شبث العقيلي ١٩٩هـ الذي قوى أمره بالجزيرة وكثر جمعه وخرج على بني العباس محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم(٣) ، ثم حاصره عبد الله بن طاهر بكيسوم وأرسل المأمون إلى نصر بن محمد بن جعفر العامري برسالة وهو بروج فقبل الصلح وشرط شروطا منها ألا يطأ بساطه فلم يجبه المأمون إلى ذلك فأخذ نصر يحارب جيوش المأمون ثم ضيق عليه عبد الله ابن طاهر الحصار خمس سنين طلب في نهايتها الأمان وتحول من معسكره إلى الرقة سنة ٢٠٩ هـ وسير نصرا إلى المأمون(٤) ، ولنصر بن شبث في كتب الأدب أحاديث كثيرة .

وخرج ابن طباطبا العلوي بالكوفة سنة ١٩٩ ، وفي عام ٢٣٠هـ وقعت معارك عنيفة بين بني سليم وجيوش الخلافة العباسية بقيادة بغا الكبير(٥) وبين بغا وبني هلال ، وبينه وبين فزارة ومرة ، ثم سار بغا إلى «ضرية» لبني كلاب (٦) ، ثم سار إلى بني نمير فأوقع بهم وأرسل أمراء العرب يطلبون الأمان فأمنهم(٧) .

---

(١) ١٤٠ - ١٤٢ ج ٤ ابن الاثير
(٢) راجع ٤٥ - ٤٨ ج ٣ ابن الاثير
(٣) ١١٤ ج ٣ ابن الاثير
(٤) ١٤٣ ج ٦ ابن الاثير
(٥) ٥ ج ٧ ابن الاثير
(٦) ٧ ج ٧ ابن الاثير
(٧) ١٠ ج ٧ ابن الاثير

وفى القرن الثالث الهجرى كثرت ثورات العلويين : أبناء على وفاطمة فى الكوفة على الدولة العباسية ، وتجد أخبار هذه الثورات فى كتب التاريخ وفى كتاب « مقاتل الطالبين » .

وفى عام ٢٧٨ ابتدأ ظهور القرامطة (١) بسواد الكوفة (٢) ، كما ابتدأ ظهورهم بالبحرين عام ٢٠٥ (٣) ، وبلغ نفوذهم درجة كبيرة فى القرن الرابع الهجرى حتى هددوا الدولة العباسية والدولة الفاطمية (٤) .

وفى عام ٣٥٢هـ خرج بنو كلاب ومن والاها من الأعراب بنواحى الكوفة وعزموا على أخذ الكوفة فبعث عضد الدولة دلبين بجيش كبير من بغداد فأصلح الحالة وكان أبو الطيب المتنبي بالكوفة فوصله دلبين فمدحه بقصيدة رائعة (٥) وهى فى ديوانه .

وفى عام ٣٦٩هـ حصلت معركة كبيرة بين بنى عقيل ومعهم أبو تغلب الحمدانى الذى نزل فى جوارهم وبين دغفل الطائى أمير الرملة ومعه جيوش الفاطميين هزمت فيها بنو عقيل وقتل أبو تغلب الحمدانى فى المعركة (٦) .

كل هذه الأحداث العظيمة التاريخية قد اشتركت فيها بنو خفاجة إحدى

---

(١) وهم الباطنية أو الاسماعيلية وكانوا أولا يسمون القرامطة (راجع ابن الأثير ١١٦ جـ ١٠) وكان يؤيدهم كثير من بنى عقيل وبنى عامر (راجع ابن خلدون) وكان ممن أيدهم أبو عبد الله العقيلى - ٤٠١ هـ (٨٤ جـ ٩ ابن الأثير)

(٢) ١٥٩ جـ ٧ ابن الأثير ، وقد فشا أمرها فى قوس (١٦٠ جـ ابن الأثير)

(٣) ١٧٥ جـ ٧ ابن خلدون

(٤) ذكر ابن خلدون أن بنى عقيل وسواهم من العامريين أيدوا دعوة القرامطة وساهموا فى حركاتها الحربية والسياسية بقسط كبير .

(٥) ٢٠٢ جـ ٣ زهر الآداب

(٦) ٢٥٢ جـ ٨ ابن الأثير

فروع بنى عامر اشتراكا فعليا وكانت فى مقدمة الذين ساهموا فيها بقسط ما، ولها فيها ذكر ومجد عظيم .

وستكشف لنا الآثار التاريخية والمصادر الأخرى التى لم يطلع أحد عليها إلى الآن جوانب هـــذه العظمة المدفونة التى نسيت مع أحداث التاريخ العظيمة المنسية ، وسنميط اللثام عن كثير من أسرارها فى هذا الكتاب إن شاء الله .

— ٤ —

ويقول أبو الورد العقيلى : إن من مياه بنى عقيل ، وبلادهم : القلب (بوزن سفن) وهى لعامر ، وهى ببياض كعب (شرق إقليم الأفلاج وتمتد منه حتى الدهناء فيما بين الأفلاج وبين الخرج) ومنها : البيضاء ، وهى لبنى معاوية بن عقيل ومعهم فيها : عامر بن عقيل .

وبرك (مثل جسر) ، ونعام ، وهو لعقيل ، والحصيص (بضم ففتح فسكون الياء) وهو لعقيل .

والمدراء : بينهم وبين الوحيد عن كلاب .

ولهم بالحجاز : البردان ، وهو بينهم وبين هلال بن عامر(١) .

وعامر بن عقيل مرتفعون بأعلى الحجاز وأدانى اليمن . . ومعاوية ابن عقيل منقطعة بأرض اليمن(٢) .

ومن العامرين العقيليين نجية بن كليب أخو المجنون وهو أحد بنى عامر ابن عقيل الذى تولى قتل جعفر بن علبة الشاعر عام ١٣٨ هـ قصاصا ، لأنه قتل رجلا من عقيل بن كعب(٣) .

---

(١) صـ ٣ — ٥ بلاد العرب للاصفهانى ـــ تحقيق حمد الجاسر والعلى .
(٢) ص ٥ و ٦ المراجع نفسه .
(٣) ١٤١٠ — ١٤١٣ : ٢٦ تجريد الأغانى .

بنو خفاجة وظهورهم فى التاريخ(١)

بين مجد قومه وحسب أرومته من العامريين والعقيليين ولد ونشأ خفاجة(٢) بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ثم تزعم قومه ، وساد عشيرته ، ووهبه الله ذرية كبيرة فرزق أحد عشر ولدا هم مالك وخالد وعمرو وكعب ذو النويرة ومعاوية ذو القرح وحزن والأقرع وكعب الأصغر وعامر والوازع كما يقول النويرى(٣) وتضيف المصادر الأخرى إلى هؤلاء عدادا(٤) .

وأصبح خفاجة بمجده : فى حسبه التليد وفى مواهبه وشخصيته الكبيرة العظيمة وفى ذريته الضخمة من الشبان والابطال ، أصبح عزيز الجانب ، محفوظ الكرامة والشرف ، ذائع الشهر والذكر بين العرب جميعا ، وأصبح أبناؤه وأحفاده عنصرا كبيرا من العناصر العربية الضخمة التى لها شأن فى الحياة العربية فى الجاهلية والحياة الإسلامية بعد الإسلام .

وصار يطلق على هذه العشيرة العربية الكبيرة ، وتلك القبيلة الضخمة العظيمة : خفاجة أو الخفاجيون كما تنطق به كتب التاريخ والأدب والشعر والعلم « وكانت لبنيه الدولة فى العراق(٥) » .

---

(١) راجع ٤١٧ — ٤١٩ جـ ٧ دائرة المعارف للبستانى .

(٢) راجع نسب خفاجة فى العقد الفريد ٢٢٦ جـ ٢ وفى كامل المبرد ٢٧٦ جـ ٢ طبعة التجارية ، ١٢ : ٦ تاريخ ابن خلدون .

(٣) ص ٢٥٥ / ٢ نهاية الادب وما بعدها طبع دار الكتب ١٩٢٤

(٤) ورد ذكر بنى عداد فى الأغانى ١٠/٧٣

(٥) ٢٠٧ نهاية الأرب والسبائك ٤٣ — وذكر ابن جبير فى رحلته مدينة الكوفة ، واستيلاء الخراب عليها ويقول : إن من أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها ، وهو يعنى أن حروب القبيلة قد أضرت بالكوفة وتسببت فى تدميرها .

لم يكن خفاجة بن عمرو قبل الاسلام بكثير ولا عاش بعد الاسلام ، إذ هو الجد الثالث لتوبة الخفاجي الشاعر المتوفى حوالى ٧٥ هـ .

وإذا ما أردنا أن نحدد تاريخ حياته فاننا نرى على ضوء المراجع الأدبية أنه عاش قبل ظهور الإسلام وتوفى قبل البعثة بنحو قرن من الزمان .

ومن خفاجة بن عمرو فروع أقامت فى نجد مما يلى المدينة بجوار مواطن الكلابيين فى خناصرة والربذة حيث أقاموا فيها إلى ما بعد ظهور الاسلام بكثير .

ثم تعدد فروع خفاجة وكثرت أبناؤه وأحفاده وطارت لهم فى أرجاء البلاد العربية صيت وذكر ، وظهر بينهم كثير من الشخصيات مما سنلم به فى شيء من التفصيل(١) .

ونحب أن نشير هنا إلى صعوبة هذا البحث التاريخى وإلى قلة مصادره وإلى العناء الذى يجده الباحث حينما يريد أن يبحث ويدرس ، فلا يجد إلا كلمة عابرة فى هذا المصدر وكلمة أخرى فى ذلك .

ولكننا والحمد لله لم نخط فى هـــذا البحث خطوة إلا عن ثقة ودليل ملموس وعن اعتماد على ما تفرق فى كتب الأدب والتاريخ من ذكريات هذا المجد الخالد المنسى بين أحداث التاريخ العظيمة المنسية .

وفى تحديد أماكن نزول بنى خفاجة يقول عقيلى : جميع بنى خفاجة يجتمعون ببيشة ورنية (بوزن أكلة) ، وهما واديان : أما بيشة فيصب من

---

(١) تحدث ابن مسكويه فى كتابة تجارب الامم (٤:٤٤٧)عن انتشار العرب من بنى خفاجة وبنى عقيل فى البلاد العراقية .

اليمن ، وأما رنية فيصب من السراة ، سراة تهامة ، وهو واد واسع له روافد كثيرة ، وفيه قرى ومزارع وسكان كثيرون(١) .

وكانت منازل تميم بأرض نجد دائرة على البصرة واليمامة ، وممتدة إلى العذيب من أرض الكوفة ، ثم تفرقوا بعد ذلك فى الحواضر ، وورثت مساكنهم : خفاجة من بنى عقيل بن كعب(٣) .

وفى كتاب القبائل العربية قديما وحديثا — تأليف الأستاذ عمر رضا كحالة السورى — حديث عن قبيلة خفاجة وتاريخها يستغرق نحو صفحة ونصف من الجزء الأول من الكتاب . حيث سرد قليلا من أخبارها وحروبها فى العراق قديما .

وقد دون كثير من آثار التاريخ الأدبى لبنى خفاجة فى «كتاب بنى عقيل» المفقود والذى يشير إليه الآمدى كثيرا(٤) كما دون فى كثير من أمهات كتب الادب ومصادره كالاغانى والامالى ونهاية الأرب وصبح الاعشى وسواها من أصول كتب الأدب والشعر .

أما التاريخ السياسى لبنى خفاجة فنرى بعضا منه فى بعض كتب الأدب أيضا وفى بعض كتب التاريخ وعلى الأخص تاريخ الكامل لابن الأثير م — ٦٢٩ ﻫ وتاريخ ابن خلدون فيلسوف التاريخ والاجتماع المتوفى سنة ٨٠٨ ﻫ . ونحب أن نشير إلى إلى أمر هام هو أن أبناء خفاجة

---

(١) راجع ص ٥ و ٦ بلاد العرب للأصفهانى .

(٢) ص ٦٨ و ١١٨ المؤتلف والمختلف للآمدى .

(٣) ٢٥١ و ٢٥٢ المنتخب فى ذكر نسب قبائل العرب المغيرى — طبع على نفقة أحمد بن على ثانى ضمن مجموعة كتاب « مجموع النسب » .

(٤) راجع ص ١١٨ المؤلف والمختلف ، ٦٨ أيضا .

يطلق عليهم « فلان خفاجة » مجاراة لاسم الجد الأعلى ، أو فلان الخفاجي نسبة إليه[1] .

ولننتقل الآن إلى تحليل بعض الشخصيات من بنى خفاجة فى العصر الأول من بدء ظهورهم قبل الإسلام وبعد الاسلام : وهناك كتاب مفقود يحتوى على كثير من الشخصيات التى ظهرت من الخفاجيين فى هذا العهد وهو كتاب بنى عقيل وقد ذكرناه سابقا والذى يأخذ عنه الآمدى ويشير إليه أحياناً (٦٨ و ١١٧ و ١٨٩ المؤتلف للآمدى) .

---

(١) وقد مدح بنى خفاجة كثير من الشعراء فى كل عصر وكل جيل ، وفيهم يقول المتنكب السلمى الشاعر من قصيدة : (راجع ٤٧١ معجم ، الشعراء للمرزبانى) :

فسقى الاله بنى خفاجة من ماء السماء بطيب الخمر

وكانت لبنى خفاجة الدولة فى العراق والجزيرة العربية (نهاية الأرب ٢٠٧ والسبائك ص٤٣) ــ وكانت خفاجة مشهورة بالخيول لحاجتها إليها فى الحرب ولذلك يقول أسامة بن منقذ فى كتابه « الاعتبار » ص ٦٧ : كان عند والدى حصان أدهم من خيل خفاجة ، وكان جوادا من أحسن الخيل .

هذا ويصحح ابن الأثير فى كتابه « اللباب » صفحة ٣٨١ الجزء الأول طبعة ١٣٥٧ هـ أن لقب الخفاجى نسبة إلى خفاجة بن عمرو بن عقيل وهو ابن أخى عبادة ، وقيل إن اسم خفاجة معاوية واشتهر باللقب ، وينقل عن السمعانى أن بنى خفاجة كانو يسكنون بنواحى الكوفة وهم القبيل المشهور وينسب إليهم الشاعر المفلق الأمير أبو سعيد بن سنان الخفاجى الحلى .

كعب الخفاجى

هو ذو القرح كعب الأصغر بن خفاجة بن عمرو بن عقيل(١) ، ويقول عنه الآمدى : لا أعرف له شعرا ، ويقول : إن شعر الخفاجيين فى كتاب « بنى عقيل » .

ومن المرجح أن يكون كعب هذا أدرك عصر النبوة وأن يكون وفد على رسول الله صلوات الله عليه سنة ٩ هـ مع وفد بنى عامر(٢) وأن يكون قد أسلم مع قومه ، إذ من المعروف أن بنى عامر دخلوا فى الإسلام فى حياة الرسول ، وبعد وفاته طمعوا فى ميراث النبوة والخلافة فصاروا يقدمون إلى الردة رجلا ويؤخرون أخرى كما يقول ابن الأثير وبعد هزيمة أهل « بزاخة » ثبتوا نهائيا على دينهم وأتوا خالد بن الوليد فأعطوه بأيديهم على الإسلام(٣) .

يزيد الخفاجى

هو يزيد بن مالك بن خفاجة العقيلى عاش فى الجاهلية وفى عصر الاسلام وروى له المرزبانى(٤) بيتين من الشعر وهما :

لقد وجد الطلاب للخيل مكحا   يبطن المسيل حين لاقى ابن مالك
أأسلب عضبا والسلاح ونثرة   وأترك سلمى فى مداد السنابك

(١) راجع ١١٨ المؤتلف للآمدى .
(٢) راجع قدوم وفد بنى عامر على رسول الله فى ص ١٥٦ ج ٣ تاريخ الطبرى وكان فيه عامر بن الطفيل واربد بن قيس بن مالك بن جعفر وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر .
(٣) ١٤٥و١٤٦ ج ٢ ابن الأثير ، ٢٣٢ ج ٣ الطبرى .
(٤) راجع ٤٩٤ معجم الشعراء .

جابر الخفاجي

هو جابر الخفاجي بن حسل بن الرواغ بن يزيد مالك بن خفاجة ذكره الآمدى فى المؤتلف(١) وثعلب فى أماليه .

وروى له الآمدى أبياتا من قصيدة يرثى بها أخاه مربعا الخفاجي :

لقد كنت أنأى عن بنى وإخوتى ... على ثقة ماكان فى الحى مربع
فتى الحى فيما ينفع الحى كلهم ... إلى الجار ضحاك العشيات أروع
يرى النصف فيما ينفع القوم ضؤلة
وفى النصف إلا عزة النفس مقنع

يقول : يرى النصف جورا ولايرضى إلا بأكثر منه :

ولولا اعتراف بالذى ليس تاركا ... أخا أحد مازالت العين تدمع

وقد عاش جابر فى عصر الدولة الأموية .

مناهض الخفاجي(٢)

هو مناهض الخفاجي بن خالد بن يزيد بن مالك بن خفاجة شاعر أموى مجيد ومن شعره فى امرأة يقال لها طريفة :

لقد نخرت طريفة بالقوم ... على بيعلها نخرا عضالا
تقول : هو الغلام وأنت شيخ ... قديم السن قد صبغ السبالا
فكم يا جر من حدث أراه ... قصير الباع مايزن الرجالا
وأشمط يمتح العافون منه ... سجالا ثم معتمدا سجالا

---

(١) ١٢٨ المؤتلف .
(٢) ٤٧٣ معجم الشعراء

القحيف الخفاجي(١)

هو القحيف بن حمير بن سليم الندى بن عبد الله بن عوف بن حزن بن خفاجة . واسمه معاوية ولكن يقول الأغانى فيه : هو القحيف بن حمير أحد بنى قشير بن مالك بن خفاجة .

شاعر محسن مفلق كوفى لحق الدولة العباسية كان كثير الذب عن قومه وهو القائل من قصيدة له :

لقد لقيت أفناء بكر بن وائل — وهزان بالبطحاء ضرباً غشمشما
إذا ما غضبنا غضبة مضرية — هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

وأخذ البيت الأخير بشار فأدخله فى قصيدته الميمية المشهورة :

وخرج القحيف زائرا لابراهيم بن عاصم العقيلى سيد بنى عقيل فبعث الأشهب بن كليب العقيلى رسولا إلى إبراهيم يخبره أن القحيف قد هجاه وأساء القول فيه ليحرمه ويقصيه ففعل فقال القحيف :

متى ماتحط خبرا بنا ياابن عاصم — تجد لى رجالا من بنى العم حسدا
وماكان لى ذنب إليهم جنيته — سوى أن لى ذكرا أغار وأنجدا

وقدجعله ابن سلام فى الطبقة العاشرة من الشعراء الاسلاميين مع مزاحم ابن الحارث العقيلى ويزيد بن الطثرية وأبى دؤاد الرؤاسى أحد بنى رؤاس ابن كلاب العامرى .

---

(١) ٩٣ المؤتلف ، ١١٦ جـ ٧ الأغانى و ١٤٠ - ١٤٣ جـ ٢٠ من الأغانى أيضا ، وجمع ونشر مابقى من شعره فى مجلة المجمع الأسيوى البريطانى ، ٢٤٩ وما بعدها من طبقات الشعراء لابن سلام ، ٣٣١ معجم الشعراء ، وسنشير إليه هنا فى إيجاز على أن ندرس شعره فى المستقبل بعناية ليكون موضوع الدراسة كتابا مستقلا إن شاء الله ، وراجع أيضا ٣٠١ جـ ٢ ابن خلكان فى رثاء القحيف لابن الطثرية .

وقال القحيف في يوم الفلج حين جاء صريخ بني كعب على بني حنيفة :

ديار الحي تضربها الطلال ... من الخافي ، بها أهل ومال
وأجزع ربما عودا وبدءا ... بدفية تعبقرت السجال
أما ومعلم التوارة موسى ... ومن صلى وصام له بلال
لقد كانت تودك أم عمرو ... بنات الصدر إذ أنسى حلال
أتانا بالعقيق صريخ كعب ... فحن النبع والأسل النهال
ثلاثا ثم وجهنا إليهم ... رحى للموت ليس لها ثفال
وحالفنا السيوف وصافنات ... سواء هن فيه والعيال
وكردست الحريش فعارضونا ... بخيل في فوارسها اختيال
وسالت من أباطحها قشير ... بمثل أتى بيشة حين سالوا
تكاد الجن بالغدوات منا ... إذا اصطفت كتائبنا تهال
فبتن على العسيلة ممسكات ... لهن غدية رهج جفال
فلما شق أبيض ذو حواش ... له حال وللظلماء حال
صبحناهم نواصيهن شعثا ... بهن حرارة وبنا اغتلال
فلما جحدلت مائتان منهم ... وفر جنانهم عنهم فزالوا
فصاروا بين : بتن عليه ، ... ومنصوب له جذع طوال
تكفنهم حنيفة بعد حول ... وكيف يكفنون وقد أحالوا
أمنكم ياحنيف ـ نعم لعمرى ـ ... لحي مخضوبة ودم سجال
ولولا الريح أسمع أهل حجر ... صياح البيض تقرعها النصال

وله ، ويروى لنجدة الخفاجي :

لقد منع الفرائض عن عقيل ... بطعن تحت ألوية وضرب
يرى منه المصدق يوم وافى ... أظل على معاشره بصلب (١)

(١) راجع ١٤٢ جـ ٢٠ أغاني

يقول: عقيل لاتؤدى الزكاة للعمال الذين يأخذونها وتمتنع عن أدائها. وقال(١):

أقسمت لاأنسى وإن شطت النوى عرانينهن الشم والأعين النجلا
ولا المسك من أعطافهن ولا البرى ضمن ـ وقد ألوينها ـ قصبا خدلا

وله أيضا فى خصومات بين قومه والمهير الحنفى وبنى حنيفة:

وماء قد يظل على جباه حمام حائم وقطا وقوع
جعلت عمامتى صلة لدلوى لأبلغ إذ تقاصرت النسوع
لأسقى فتية ومنفهات أضر بنيها سير وجيع
ركبناها سمانتها فلما بدت منها السناسن والضلوع
صبحناها السياط محدرجات فمز بها الضليعة والضليع

وهى من قصيدة قالها فى الفتنة عند قتل الوليد بن يزيد الخليفة الأموى أولها(٢):

أمن أهل الحجاز هوى نزيع ألا سقيا له لو يستطيع
كأن البين يوم حسرت منه دم الحيات أو صبر فظيع

ومنها:

فنعم القوم فى اللزبات قومى بنو كعب إذا فقد الربيع

وله يرثى يزيد بن الطثرية الشاعر وكان قد قتلته بنو حنيفة يوم الفلج سنة ١٢٦ ه وهو يوم انتصر فيه بنو عامر على بنى حنيفة. قال القحيف:

(١) راجع ١٤٣ ج ٢٠ أغانى
(٢) كثير من القصيدة فى الأغانى مع اختلاف فى الرواية (١٤٢ ج ٢٠ أغانى)

ألا تبكى سراة بنى قشير على صنديدها وعلى فتاها
أبا المكشوح بعدك من يحامى ومن يزجى المطى على وجاها ؟

وكان يشبب بخرقاء التى كان يشبب بها ذو الرمة وكانت أصبح من القبس وفيها يقول :

وخرقاء لاتزداد إلا ملاحة ولو عمرت تعمير نوح وجلت

وقد كبرت خرقاء حتى جاوزت التسعين وأحبت أن تنفق بنتها وتخطب فأرسلت إلى القحيف ليشبب بها فقال فى ذلك قصيدة .

وكان القحيف من أجمل الرجال وأشعرهم . وهام بامرأة عبسية وهامت به وكان يدعى أن له مالا ونعما فلما طال عليها واستحيا ارتحل عنها وهو يقول :

تقول لى أخت عبس ما أرى مالا
وأنت تزعم : من والاك صنديد
فقلت يكفى مكان اللوم مطرد فيه القتير بسمر القين مشدود
إنى ليرعى رجال لى سوامهم فلى العقائل منها والمقاحيد (١)

الرحال الخفاجى(٢)

هو الرحال الخفاجى بن عزرة بن المختار بن لقيط بن معاوية بن خفاجة، كان هو وأخوه نجدة(٣) الخفاجى شاعرين . والرحال هو الذى يقول :

إذا ماالبيض بات إلى ذراها غدا من غير راضية وراض

بات : يعنى نفسه ، وذراها يعنى ذرى البيض وهى السيوف .

---

(١) الأغانى ١٤٢ ج ٢٠
(٢) ١٢٤ المؤتلف
(٣) ورد شعر له فى الأغانى ١٤٢ : ٢٠

محرز الخفاجى(١)

هو محرز الخفاجى بن نجدة بن عزرة بن المختار بن لقيط بن معاوية بن خفاجة ، والده نجدة شاعر ، ومحرز هو الذى يقول :

إذا القوم ساموني التي لا أريدها
أبى خلق لى يمنع الضيم أشوس
أبى وإن أعطيت فى الحق خصلة   منوع رضا القوم المعادين أليس(٢)
قريب بعيد يعلم الناس أننى   إذا ماراموني لجارة القوم مردس(٣)

القشيرى الخفاجى

هو الأقرع القشيرى الشاعر من بنى خفاجة وورد ذكره فى معجم الشعراء(٤)

معاذ الخفاجى(٥)

هو معاذ الخفاجى بن كليب بن حزن بن معاوية بن خفاجة ، كان شاعرا فارسا ، وكان يناقض بالشعر جعفر بن علبة الحارثى الشاعر وكانا فى أيام هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى م سنة ١٢٥ هـ وكان جعفر يلقب أبا عارم ، واستعدت بنو عقيل على جعفر لدماء كانوا يطلبونه بها فأخذ جعفر وقتل ، فقال معاذ من قصيدة يخاطب فيها أباه :

---

(١) ٤٠٦ معجم الشعراء
(٢) الأليس الذى لايقوم له شىء من شجاعته
(٣) المردس الحجر الذى يرمى به يريد أنه كالحجر فى الصلابة
(٤) ص ٣٨٠
(٥) ١٩ المؤتلف ، ٣٨٠ معجم الشعراء

أبا جعفر سلب بنجران واحتسب ... أبا عارم والمنفسات العواليا

ومعاذ هو الذى كان يصاول بنى الحرث بن كعب وهو القائل :

تمنيت أن تلقى معاذا بسحبل(١) ... ستلقى معاذا والقصيب اليمانيا
سنقتل منكم بالقتيل ثلاثة ... ويغلى وقد كانت دماء غواليا
فلا تحسبن الدين يا « علب » منظرا ... ولا الثائر الحران ينسى التقاضيا

يريد علبة الحارثى ، وفى هذه الأبيات جواب لجعفر بن علبة الحارثى على الأبيات التى قالها حين لقى بنى عقيل ، وهى :

كأن العقيليين حين رأيتهم ... فراخ القطا لاقين أجدل بازيا
ألا لا أبالى بعد يومى بسحبل ... – إذا لم أعذب – أن يجىء حماميا
فإن بأعلى « سحبل » ومضيقه ... مراق دم قد يبرح الدهر ثاويا
وليس ورائى حاجة غير أننى ... رددت معاذا كان فيمن أتانيا
فنصدقه النفس الخبيثة موطنى ... ويوقن بالعشواء أن قد رآنيا

يريد بالعشواء عين جعفر بن علبة ، وذلك تهكما به .

المضرب الخفاجى(٢)

هو المضرب الخفاجى بن هوذة بن خالد بن معاوية بن خفاجة شاعر فارس قال فى يوم القرن :

وجرثومة لا يدخل الذل وسطها ... قريبة أنساب كثير عديدها

---

(١) اسم وادكان فيه معركة بين بنى الحارث وبنى عقيل
(٢) ١٨٢ المؤتلف ، ٤٧١ معجم الشعراء

الأشهب الخفاجى(١)

هو الأشهب الخفاجى بن عبيد الله بن كليب بن خفاجة الشاعر ، وله بيته المشهور فى هجاء بنى كليب من ربيعة لا من قيس ، وهم بالطبع غير قومه :

أناخ اللؤم وسط بنى كليب   فصار لكلهم منه نصيب

ويلاحظ فى نسب الشاعر أنه « الاشهب بن خفاجة » ، مع أن النساب لم يذكروا هذا الفرع فلعله من كليب بن حزن بن معاوية بن خفاجة .

الشريدى(٢) الخفاجى

هو ابن وهب بن معاوية ولا يعرف اسمه وبنو الشريد رهط من بنى جشم وعدادهم فى بنى معاوية بن خفاجة فهو ليس من صميم بنى خفاجة بل كان حليفا لهم هو وقومه(٣) وكان شريفا فى قومه وله شعر رواه الآمدى فى المؤتلف .

جحوش الخفاجى(٤)

لا نعرف عنه شيئا إلا ما ورد عنه من شعر الخنساء بنت التيحان الشاعر وكانت على فرط الوجد به(٥) :

---

(١) ٣٤ المؤتلف   (٢) ١٨٩ المؤتلف   (٣) ٧ جـ ١٠ أغانى

(٤) ١١١ المؤتلف ، ٧٥ شاعرات العرب ، ٧٤ جـ ١١ اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور مخطوط بدار الكتب

(٥) وكانت أم خالد الخثعمية كذلك مستهامة بحبه قالت فيه :

فاقسم أنى قد وجدت بجحوش   كما وجدت عفراء بابن حزام

إلى آخر هذه الأبيات التى رواها الامالى (١٠ جـ ٢ من الامالى لابى على القالى) ولها فيه شعر آخر أيضا (١٠ جـ ٢ الامالى) وراجع وصف رجل من بنى كلاب لجحوش (١٠ جـ ٢ الأمالى) .

أيا أسفا على الخفاجى جحوش   أرى أنه يزداد عن دارنا بعدا
ويا كبدا حب الخفاجى قاتلى   ويا كبدا ألا يحل بنا نجدا
ويا كبدا إلا لبست شبابه   وجدته حتى يرى خلفنا جردا

ومن قولها فيه :

وإن ولوج البيت حل لجحوش   إذا جاء والمستأذنون نيام

توبة الخفاجى

توبة الخفاجى الشاعر البطل الشريف المشهور (٢٠ — ٥٧ هـ)

وهو شاعر فارس مشهور ويعد من أشهر شعراء البادية فى القرن الأول الهجرى ، شهر بالبطولة والطموح والعزيمة والإقدام ، كما شهر بحب ليلى الأخيلية الشاعرة (٢٥ — ٨٠ هـ) ولهما مواقف رائعة وآثار أدبية خالدة فى الأدب العربى .

وقد أخرجت فى حياته عدة كتب هى :

١ — نشيد الصحراء : وهو قصة تصور حياته وحبه وبطولته تمام التصوير وجاء فى مقدمتها ما يلى :

بطلا هذه القصة هما : توبه الخفاجي ، وليلى الاخيلية ، ولدا فى أوائل خلافة عثمان ، ونشآ فى أسرتين لهما مجدهما فى البادية وكانت منازل القبيلتين متجاورة ، فعاش توبة وليلى معا بنجد ، وأحب توبة ليلى ، وأحبت ليلى توبة ، ونظما أناشيد الحب والهيام ، يصوران بها عواطفهما وحبهما وقصص وفائهما ثم حالت تقاليد البادية بين العاشقين ، فزفت ليلى إلى سوار ابن أوفى القشيرى ولكنهما ظلا على عهد الوفاء حتى مات توبة عام ٥٧ هـ ، فحزنت عليه ليلى حزنا عميقا ، ورثته فى مجالس الأمراء والخلفاء ، وظلت على ذلك حتى توفيت بعده بحين ، ودفنت بجواره ، ومضت حياتهما وذكريات حبهما العذرى الخالد مثلا عظيما فى الحب والوفاء .

وهذه «نشيد الصحراء» تصور هذه الحياة الحافلة بعظمة هذا الحب، وقصة ذلك الوفاء .

٢ — توبة شاعر الحب والبطولة : وهو دراسة لحياة الشاعر وشعره ؛ ويقع فى ١٢٠ صفحة .

٣ — ليلى الأخيلية الشاعرة : وفيه حديث طويل عن توبة وحياته ، وهذا الكتاب مطبوع فى كتابى «قصص من التاريخ» .

فلا داعى للافاضة فى حياة هذا الشاعر البطل فى هذا الموضع .

ومات توبة مقتولا بيد ثور بن أبى سمعان بن كعب بن عامر بن عوف ابن عقيل من أبناء عمومته فى معارك حربية حافلة ، وقد مات توبة تاركا أبناء منهم : حرب الذى كان يلقب به توبة .

مراجع عن توبة الخفاجى

الأغانى فى ترجمة توبة جـ١٠ ص١٦٧ وما بعدها ، وفى مواضع أخرى - الشعر والشعراء لابن قتيبة نشر السقا فى ترجمة توبة ص ١٦٩— ١٧٢ — المؤتلف والمختلف للآمدى نشر القدسى فى ترجمة توبة ص ٦٨ و ٩٣ — زهر الآداب نشر الدكتور مبارك ٧١ و ٧٩ — ٨٧ من الجزء الرابع — الكامل للمبرد طبعة التجارية ٣٨ و ٥٠ و ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٣٠٧ جـ ٢ — فوات الوفيات لابن شاكر فى ترجمة توبة ص ٩٥ جـ١ وترجمة ليلى ص ١٤٠ جـ ٢ — العمدة لابن رشيق طبعة ١٩٠٧ جـ١ ص ٦٧ العقد لابن عبد ربه طبعة ١٩٢٨ جـ ١ ص ١٦٥ ، جـ٢ ص ٢٢٦ و ٢٨١ ، جـ٤ ص ٨٨ — شاعرات العرب طبع بيروت عام ١٩٣٤ — قصائد من شعر ليلى ص ١٣٧ — ٥١ — تزيين الأسواق بتفصيل أحوال العشاق فى ترجمة توبة ص ٩٦ — اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور مخطوط

بدار الكتب ج ١١ ص ٦٤ و ٦٥ — توبة شاعر البطولة للمؤلف مطبوع ١٩٤٩ — أمالى الزجاجى ص ٥٠

رواية الحجاج الثقفى تأليف جورجى زيدان — نشيد الصحراء تأليف محمد عبد المنعم خفاجى طبعة ١٩٤٧ — المنظر الأخير من حياة ليلى مقالة لسهير القلماوى نشرت بالرسالة العدد ٢٢ من المجلد الأول — مختصر شرح حماسة أبى تمام للرافعى ص ١٠٢ و ١٢٥ ج ٢ — وسوى ذلك من كتب الأدب والتاريخ .

ولتوبة ترجمة فى كتاب «رنات المثالث والمثانى فى روايات الأغانى الجزء الثانى صفحة ٢٧٦ — ٣٨٤

عبد الله الخفاجى (١)

هو عبد الله بن الحمير الخفاجى شقيق توبة وأخوه لأمه وأبيه ، وكان شاعرا مجيدا بليغا وموقفه الخالد فى الدفاع عن توبة يوم مصرعه موقف خالد مشهور ، وفى هذا اليوم قطعت رجله فلما رجع إلى قومه بعد ذلك لاموه وقالوا له : فررت عن أخيك !! فقال عبد الله الخفاجى فى ذلك قصيدته :

تأوبنى بغادية الهموم ... كما يعتاد ذا الدين الغريم
كان الهم ليس يريد غيرى ... ولو أمسى له نبط وروم
علام تقوم عاذلتى تلوم ... تؤرقنى وما انجاب الصريم
فقلت لها رويدا كى تجلى ... غواشى النوم والليل البهيم
ألما تعلمى أنى قديما ... إذا ما شئت أعصى من يلوم
وأن المرء لا يدرى إذا ما ... يهم علام تحمله الهموم

(١) راجع ص ٧٢ — ٧٤ ج ١٠ أغانى

ألا من يشترى رجلا برجل تخونها السلاح فما تسوم
تلومك فى القتال بنو عقيل
وكيف قتال أعرج لايقوم
ولو كنت القتال وكان حيا
لقاتل لا ألف ولا سؤوم [1]

يشير عبد الله فى ذلك إلى : عدم غنائه فى القتال مع حلفاء قومه من بنى الشريد بسبب قطع رجله ، وإلى حديث عقيل الذى كانت تتحدث به عن عبد الله وعدم جدواه فى القتال .

قلب الخفاجى

هو قلب بن حزن بن معاوية الخفاجى ، عاصر توبة ونصح توبة بعدم غزوبنى عوف [2] ؛ وكان قلب سيدا كريما له سؤدد وعزة بين قومه .

قابض الخفاجى

وله أخبار كثيرة مع توبة[3] .

مسلم الخفاجى

هو عم توبة . . له أبيات فى رثاء ابن أخيه أنشدتها ليلى فى مجلس مروان ابن الحكم ، وشعر مسلم مطبوع جيد بليغ .

---

(١) والقصيدة طويلة بليغة قوية ذكرها الأغانى (٧٣ و ٧٤ جـ ١٠)
(٢) ٧١ جـ ١٠ أغانى .
(٣) راجع الأغانى ٧١ وما بعدها جـ ١٠ ، وفى ص ٧٤ جـ ١٠ حيث يقول الاصفهانى فيه : قابض بن عقيل أحد بنى خفاجة ، وفى ص ٧٢ جـ ١٠ يقول : قابض بن أبى عقيل الخ .

أبو العيال الخفاجى

هو ابن أبى عنترة ، وأحد بنى خفاجة بن سعد بن هذيل ، لعلهم فرع آخر غير فرع بنى عامر وقد يكون فى كلام الأغانى تحريف أو سقط وهو ماأرجحه .

كان شاعرا فصيحا مقدما أدرك الجاهلية والإسلام فعد من المخضرمين ، وأسلم وعمر إلى خلافة معاوية .

وله ترجمة فى الأغانى (١٦٦ — ١٦٩ ج ٢٠ الأغانى) ، وله فيه شعر كثير . وكان يسكن هو وابن عمه بدر بن عامر الخفاجى مصر ، وكانا خرجا إليها فى خلافة عمر . وسمى أبا العيال لقوله :

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا
من المال يطرح نفسه كل مطرح

(٢٤ ج ١ العمدة لابن رشيق) . . ومن دراسة حياة هذا الشاعر نعلم أن بدء انتقال بعض بنى خفاجة من نجد إلى مصر كان فى خلافة عمر بن الخطاب واستمرت هجرتهم إليها على مر السنين .

خلاصة

وبعد فهذا هو مانعرفه من كتب الأدب والتاريخ عن الطور الأول من أطوار تاريخ بنى خفاجة الذى يمتد من (حوالى م ١٠٠ ق ه — ١٠٠ ه)

ونستخلص من ذلك كله عدة نتائج :

١ — أن بنى خفاجة تم تكوينهم الاجتماعى بين القبائل العربية قبل الإسلام بقليل .

٢ — أنهم كانوا يقيمون طول هذا الطور بنجد مما يلي المدينة بجوار مواطن بنى كلاب العامريين .

٣ — أنهم دخلوا فى الإسلام فى عهد الرسول ثم ثبتوا على الإسلام بعد وفاته .

٤ — أنهم ظهرت بينهم فى هذا العهد كثير من الشخصيات البارزة التى كان لها أثرها ودويها فى الحياة العربية .

٥ — أن بنى خفاجة كانت لهم مكانة عظيمة بين القبائل العربية الضخمة وكانوا قوة يرهب الجميع جانبها .

وقد تفرقوا بعد ذلك فى كثير من البلاد كالعراق والشام ومصر والأندلس وسواها .

يقول ابن حزم :

وخفاجة بطن ضخم ، منهم : ابراهيم قاضى سجستان ، والنحوى محمد بن معارك المعروف بالعقيلى بقرطبة ، وتوبة صاحب ليلى الأخيلية (١) .

ويقول مؤرخ آخر : خفاجة بطن من عقيل بن عامر بن صعصعة ، انتقلوا فى آخر الأيام إلى العراق والجزيرة وكان لهم ببادية العراق دولة ، قال المؤيد صاحب حماة : وهم أمراء العراق من قديم الزمان ، وذكر الحمدانى منهم طائفة بالديار المصرية (٢) .

وهذا دليل قوى على اتصال النسب ووحدة الأرومة .

---

(١) ٢٧٤ أنساب العرب لابن حزم

(٢) ٤٣ سبائك الذهب فى معرفة أنساب العرب للشيخ الفاضل محمد البغدادى ط. ١٢٨ ببغداد .

خفاجيون فى التاريخ

١ — خفاجة بن سفيان أمير صقلية، ومحمد بن خفاجة والى صقلية كذلك.

١ — خفاجة بن سفيان الأغلبي أمير صقلية عام ٨٦٢ م — ٢٤٨ هـ(١)

٢ — ابن القطاع الصقلى وهو على بن جعفر وينتهى نسبه إلى خفاجة ابن عبد الله.

وكان إمام وقته بمصر فى علوم العربية وفنون الأدب، ومن كتبه. تاريخ صقلية، الدرة الخطيرة فى شعراء الجزيرة، ودفن بقرب ضريح الإمام الشافعى (٢).

٣ — فى كتاب كلستان لسعدى الشيرازى ذكر لخفاجة وخروجهم على الدولة (٣).

المجد التليد شاعر يتحدث عن أمجاده

قال الشاعر الخالد نافع الخفاجى المتوفى عام ١٩٤٠ هذه القصيدة التى نظمها عام ١٩٣٤ والتى صور فيها جوانب من مجد قومه وحسبهم وتحدث عن شاعريته ونهجه فى الحياة، وهى :

ذهبت وبى للمجد شوق أغالبه ... وأبت وفى نعلى ذراه وغاربه
ولست أريد المجد مجدا مؤثلا ... ومالى بالمجد الذى مات صاحبه
وإن كان مجد السالفين يقوم بى ... ويهدى سبيلى إن ضللت كواكبه
ويرفع شأنى ذكر قومى «خفاجة» ... وكم ذى خمول نبهته مناسبه

---

(١) ٢٢٩ - ٢٣١ كتاب العرب والروم

(٢) ٣٣١ و ٣٣٢ بغية الوعاة للسيوطى

(٣) كلستان طبع طهران عام ١٣١٧ هـ الباب الخامس حكاية ١٨ - صفحة ١٣٧

فما أنا وان يرتضى العجز ساجداً إذا هاج من بحر الحياة صواخبه
ومالى تـكلان على من يعولنى ولا بى غرور تستلان عقاربه
ولى نفس حر لاترى الذل مشربا وإن مت ظمآنا فما أنا شاربه
ولو قيل إن العز فى ناب حية لقبلته رشفا وطابت مشاربه
ولى همة لامستحيل بدينها ولولا مضاء الدهر كانت تغالبه
أرانى خفاجيا فأبى كما بنوا وما فضل خاف أظهرته أقاربه
وأنى لطماح لـكل عظيمة أرى كل شيء دون ما أنا طالبه
أؤمل آمالا إلى غير غاية وما هو إلا سلم ومراتبه
جعلت لنفسى منزلا فوق ما أرى فعن خيال الوهم ليست تقاربه
يسابقنى غيرى وليس بلاحق وقد رجمته من غبارى حواصبه
وأنى لـكف الوهم إمساك خاطر وهل يدرك الريح الجواد وراكبه؟
ينافسنى دهرى وما هو نافسى يواثبنى حينا وحينا أواثبه
تخذت لحرب الدهر صبرى عدة ففلت على أدراع رأيى مضاربه
رمى بمريشات الصروف نجانبى فطاشت مراميه وطارت نوائبه
وشبت إلى أن صرت شيخا محنكا وتسع وعشرون امترتها تجاربه
فإن كان رأسى أسودا من شبابه فقلبى من خبر قد ابيض جانبه
وإنى لبدر لاتغيم سماؤه إذا كان ليلا لاتجلى غياهبه
وإنى لترياق يلذ مذاقه إذا كان سما مطعم الصاب شائبه
فمهما يكن دهرى فلست أخافه ولست أبالى كيف كانت معاطبه
مخالبه لم تعد جسمى وإنه لفان وإن لم تخترمه مخالبه
وقلبى جرىء لايراع لحادث وإن أرهفت خرصانه وقواضبه
يلين إذا مااستوجب المجد رحمة ويصلب لو أن الصلابة واجبة
ويصفو إذا ما كان فى الصفو عزة ويكدر أحيانا وتطفو رواسبه
ويعرى إذا كان الرياء كساءه فلا خير فى بيت تعار جوانبه
ويصدق لو أن الجميع خصومه ولا خير فى ملك يتوج كاذبه
ورأيى جواد والحقيقة شأوه وعقلى بليل البحث كالنجم ثاقبه

إذا كان عقلى راضيا نظريتى جهرت بها والعقل ريان حالبه
وما أنا عما محص العقل ناكلا وإن عابنى خصمى وماجت مواكبه
وإن أنالم أعمل على نصر فكرتى ففارقنى عقلى وماتت مواهبه
هو الرأى واستقلاله بعض حقه وما الظلم إلا أن يهدد راغبه
أزين بنات الفكر أرجو زواجها أفيه اعتداء أن يرغب خاطبه؟
وإنى لنظام لكل قلادة وما الدر إلا دون ماأنا ثاقبه
وليس القوافى غير طوع إرادتى كأنى شأو والقوافى طوالبه
إذا أمسكت كفى يراعى تسابقت على سنه على تتم مآربه
فأختار منها ما يكون موائما لطبعى وأقصى عنه مالا يناسبه
وأبرزها للناس غيداء يجتلى محاسنها سمع وقلب يجاوبه
وما غار إنسان على بنته كما يغار على بيت من الشعر صاحبه
وما الشعر إلا ما الشعور أمده وماكان شعرا ما التكلف كاسبه
ولست أرى التنقيح إلا تكلفا ولا خير فى غيث تضيق سحائبه
ولست أحب الشعر إلا عواطفا وإن غاب وجدانى فانى مجانبه
ومن قاله طبعاً فـالك أمره ومن قاله صنعاً فذلك غاصبه
فماطفق قولى لأشبع نهمها وان يمت غيرى فما أنا حاسبه
أقلده درا لتـاج مآثرى إذا لبست در البحور ترائبه
فطورا على القرطاس درمدامع تشاركه من سامعيه ضرائبه
وطورا على القرطاس در مباسم يهش إليه عابس الوجه شاحبه
وطورا على القرطاس جد وحكمة إذا قاربت غرا لحذق يقاربه
وطورا مجون يترك الهم شاردا وينسى به ليل السرى وركائبه
كأن قلوب الناس فى سن ريشتى مداد كما سارت تسير سواكبه
أحرك أوتار القلوب بمقولى كما حركت ريشا رياح تجاذبه
فذلك أحييه وهـذا أميته وهذا أمنيه وهذا أداعبه

وما الشعر إلا أن تهز مشاعرا فتسحرها رهباته وكواعبه
وشعرى من قلبي دم وخفوقه ولـكنه فى الرأس مخ وذائبه
يجوس خلال الأمر يكشف سره ويستبطن الأخفى فيحضر غائبه
قريض له إبليس يسجد مرغما وشيمته فى الكبرياء تغالبه
قريض له الأرواح معنى وجسمه حروف ولـكن النظام قوالبه
فـآدم قحطان ونوح خليله ونحن بنو سام وفينا مناصبه
وما أنا فى الأشعار إلا محمد ولى فى القوافى فتحه ومناقبه
قريضى ميراثى عن الجد نافع وما أنا إلا مقتفيه ونائبه
له بذره والزهر لى فلى الجنا له رأسه والرأس لى وذوائبه
له السبق لو أنكرته لجرى دمى يقر به والفضل يتلوه واجبه
ومجدى اثبل من طريف لتالد ومستقبلى سطر وماضى كاتبه
وبيتى طويل فالكواكب عينه ولولا اعتقادى قلت والعرش صاحبه
وصدرى رحب لا يضيق بضيق ولو أثقلتنى روحه وحقائبه
لصحبى ايناسى وبشرى وراحتى ولى ما بنفسى لا عليهم عواقبه
جليسى موفور الكرامة إن يسل يجب ولـكل رأيه ومذاهبه
صديق إن يحسّن يحمد وإن يسيء يسامح وإن يصرر فانى معاتبه
وأخلص الأخوان است أخونهم وماظبي جارى لى بظبي ألاعبه
عرفت لنفسى حقها فرفعتها عن النقص حتى لا يصادف عائبه
وإن أبصرت عينى مثالب صاحبي فبى بكم عن أن تذاع مثالبه
وأنشر مطوى الفضائل جاهدا وإن كان من خصمى فإنى لناسبه
والفضل بيت كالرواسى مشيد يطالعه نور الضحى وهو عائبه
وأعظم بيت ما الفضيلة أسه وأوهن بيت ما بنته عناكبه
ولو جعل الشعب الفضيلة مبدأ لأخصب ركناه وطالت مناكبه
وللؤم فى ذكر الرذيلة نشوة ولا حر إلا والفضيلة كاعبه
ولا خصم لى إلا لئيم مفوه تفاخر أخلاق الكرام معائبه

فما هو لى سلم إذا شاء هدنة ... وإن خاف من حربى فلست أحاربه
ولى قلم لا درع تمنع سنه ... وجيش لسانى لاتولى كتائبه
وإن سكن الليث العرين فغابه ... منيع تحامى ماحماه ثعالبه
وإن لم يسر ذكرى فإن الأثير ما ... تكتم إلا ليشرق غاربه
وسيان طال الليل أم هو لم يطل ... فلابد من صبح لمن هو راقبه
وإن يفتقر جسمى فنفسى لها الغنى ... تكلفه ماكلف الغصن حاصبه
ينوء بأعباء المكارم والعلا ... وتنقله أرباحه ومكاسبه
عليه تكاليف المعالى شديدة ... ومن يطلب العلياء تكثر معاطبه
ومن يبل أحوال الزمان يرى الهوى ... إلاها وما الألباب إلا هيادبه
أعاجيب لم تستبن للحق موضعاً ... وما الوهم والأوهام إلا عجائبه
وماكان حقا قد ينكر باطلا ... ومن يستريب فالعلم بالظن ساحبه
وحسبى ضميرى إنه لى حاكم ... وكل كريم فالضمير محاسبه
كفانى ضميرى واعتدائى بهديه ... فما أنا إلا عبده لا أغاضبه
ومن كان مهديا بهدى ضميره ... ففى صدره جبريل والرشد صاحبه

ولعمرى إن هذه القصيدة الرائعة ليس لها نظير فى الأدب العربى ولقد فقدتها منذ أكثر من عشر سنين ، ثم وجدتها ، وهى جديرة بان تكون أنشودة كل خفاجى فى العصر الحديث كما هى بحق من أروع قصائد الأدب العربى بلاغة وقوة وطبعاً وسحر أسلوب ، وهى فوق ذلك شاهد واضح على مجد الأسرة التليد وحسبها العريق ومكانتها الممتازة .

ذكرى الميلاد(١)

يوم ميلادى حمده صيغ لى اسما ... وارتدت فى سناه روحى جسما

(١) للمؤلف من ديوانه المطبوع «أحلام الشباب» فى ذكرى ميلاده

ورأيت الوجود طفلا صغيرا يستطيب الدنيا رضاعا ونوما
ويحب الحياة مهدا وثيرا وأبا صاغه الحنان وأما
ونشيدا وأغنيات عذاباً تملأ الغرفة الصغيرة نغما
ومناغاة إخوتى لى فى المهـد وقبلات تشبع المهـد لثما
والسماء الزرقاء تسحر عيـنى فأحصى النجوم نجما فنجما
وأرى كل ما أشاهد حلماً وأرى صادق الحقيقة وهما
ماأنا؟ لست غير طيف خيال من قديم يحوم فى الأفق حوما
شاهد الكون وهو سر خفى ورأى الأرض والكواكب سدما
ورأى مبدع الحياة يصوغ الـ ـكون صوغ الحكيم يوما فيوما
ويسوى الانسان خلقاً سويا وخلايا تصاغ لحما وعظما
ثم نادى فلبت الأرض والنا س ومن فى السماء طوعا ورغما
خشعوا ساجدين حمدا وذاقوا لنعيم الحياة والخلق طعما
هى دنيا الفناء أمست حياة وشقاء الحياة أصبح نعمى
ماأنا! نور سار فى حجب الغيب وفوق الأجيال والدهر قدماً
وحياة تنقلت بين أجدا د مضوا ثم خلفونى رسما
أورثونى لونى وشكلى وخلقى وأعدوا سهمى لأبعد مرمى
ماسمائى التى عرفت سماتى إننى قد ورثت قوما وقوماً
وجدودا مضوا وآباء صدق رحلوا قبل ثم خالا وعماً
أنا أنبى عما مضى من حياة لجدودى ولست أسطيع كتما
أنا دنيا من الحياة تهادت ووراثات بنَّ كيفا وكما
اصطفانى الماضون خلقا وخلقا وتولى الميلاد نظمى نظما
ما أنا؟ صورة لجد وجد وكتاب عنهم ينبىء علماً
أنا مرآة صورت كل ماطا ف بوهم الحياة وهما وحلما
أنا أغنيـة تلحنها البيـ ـئة رمزا على الحياة ووسماً

أنا قيثارة العصور ولحن ... ربما بالحياة زادك فهماً
ونشيد فم الخلود يغنيـ ... ـه امانا على الزمان وسلماً
بين نجد والعراق ومصر ... عاش قومى يأبون ذلا وضيما
ملكوا الملك، شيدوا العرش. ساسوا ... الناس بالعدل والشجاعة حزما
أنصت التاريخ القديم إليهم ... ولهم طالما أشار وأومى
فزعت بغداد وأتراك بغدا ... د لقوم لم يقبلوا قط ظلما
ثم أضحى المجد التليد حطاما ... والجلال القديم أصبح وهما
وعيون التاريخ تهزأ بالدهر ... الوفى الذى تحول خصما
بين أرض الريف الجميلة نشئت ... وشممت الحياة صحوا وغيما
وحملت الأعباء طفلا صغيرا ... وحسمت الأمور بالحزم حسما
وبنيت المستقبل الضخم صرحاً ... ودعمت البناء وحدى دعما
أنا روح تسير للعالم الأعلى ... وللمنهل المقدس تظما
سرت بين الأشجان أحمل قيثا ... را من الشعر يشحذ الصدر عزما
أملأ النفس همة ورجاء ... واصطبارا على الخطوب وحلما
أصل الحاضر الطريف بماض ... لم يشيد أجل منه وأسمى
لا أبالى فى المجد حمداً وذما ... وعتابا ولست أسمع لوما
أنا إنسان يبصر النور والحق ... وغيرى تراه فى النور أعمى
أنا قلب مصور من سلام ... لم أرش فى الخفاء للناس سهما
أنا أشدو بالخير لحنا جميلا ... لم أدنس ماضى بالشر لؤما
أنا طهرت من نقائص شتى ... لا أذوق الحياة عابا وإثما
أنا بين الرجال أنف عزيز ... لست أرضى لغير ربى حكما
يالذكرى (ثانى وعشرين يوليو)[1] ... أنت كالروح وأقرب رحما
و(الخميس) المضىء بالبشر أضحى ... ذكريات عنها حفيى نما
هى راح الحياة والواحة الخضـ ... ـراء طابت جنى وظلا وكرما

(١) إشارة إلى ميلاد المؤلف فى الثانى والعشرين من يوليو عام ١٩١٥ .

يالذكرى الميلاد عودى وعودى فالرجاء البعيد بالوصل هما
املأى العيش بهجة وسروراً طالما ذقته شجونا وهما
أنطق الدهر ، أسمعى الدهر لحنى والليالى فطالما كن صما
أنا احيا على الرجاء وأسعى لأنال المنى كفاحا ورغما
أنا ما أبتغى يجل عن الوصـــف وجل ما أرتجى أن يسمى
أنا أحيي التاريخ مجداً وجاها وأعيد الأيام يوما فيوما

بنو خفاجة فى العراق

١ — تحدث المؤرخون عن هجرة بعض بنى خفاجة إلى العراق ومصر والأندلس ، ونعلم أن شاعرا من بنى خفاجة هاجر مبكرا إلى مصر هو وأولاد أعمامه فى عهد عمر بن الخطاب ، وهو أبو العيال الخفاجى . ويمكننا أن نذكر إجمالا عدة حقائق لها أهميتها فى فهم تاريخ فى هذه الحقبة من التاريخ :

فى سنة ١٥ هـ(١) أو فى سنة ١٦ هـ(٢) أو فى المحرم من سنة ١٧ هـ(٣) احتطت الكوفة ، مصرها ابن أبى وقاص وتحول إليها من المدائن وأول شىء خط فيها هو مسجدها وبنى سعد ظلة فى مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام منه بنا الاكاسرة فى الحيرة وبنى لسعد دار بحياله وهى قصر الكوفة ، بناه روزبه من آجر بنيان الاكاسرة بالحيرة ، وجعل الأسواق على شبه المساجد(٤) . وولى سعد الكوفة بعد ما اختطها ثلاث سنين ونصفا ، وكانت ثغور الكوفة أربعة :

حلوان وعليها القعقاع

وماسبذان وعليها ضرار بن الخطاب .

وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك

والموصل وعليها عبد الله بن المعتم(٥)

(١) ٢٠٧ جـ ٢ ابن الأثير
(٢) ٢٢٥ جـ ٢ ابن الأثير
(٣) ١١١ ملحق الجزء الثانى من تاريخ ابن خلدون
(٤) ٢٢٣ جـ ٢ ابن الأثير
(٥) راجع ١١١ ملحق الثانى لابن خلدون ، ٢٢٣ و ٢٢٤ جـ ابن الاثير

والمهم من ذلك كله أن مدينة الكوفة نشأت فى خلافة عمر وكانت فى نهاية بادية نجد وفى أول الخصب من أرض العراق وأن حامية كبيرة من المسلمين أقامت فيها وأنها كانت عاصمة على والسفاح وأن الكوفة امتازت بحسن جوها وخصب سوادها وتوسطها البلاد الاسلامية كلها وحسن مواصلاتها مع كل الاقاليم وكانت عاصمة حكم بلاد العراق وفارس كلها حتى بناء بغداد على عهد أبى جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ ، وامتازت بمساجدها وبسوق الكناسة الذى كان فيها والذى كان له أثره أدبى خالد إلى قيام الدولة العباسية(١) . وقد جذبت الكوفة كثيرا من القبائل العربية إليها فهاجرت نحوها وأقامت فيها أو فى ضواحيها ، وكانت قبيلة بنى خفاجة من ضمن القبائل العربية التى هاجرت إليها وأقامت فى ضواحيها لا نعلم شيئا عن تاريخ هذه الهجرة ولا عن ظروفها ولا نجد عنها شيئا إلا قليلا جدا فى مصادر التاريخ ، فابن خلدون يقول فى بنى خفاجة : « انتقلوا إلى العراق والجزيرة ولهم ببادية العراق دولة(٢) » . ويقول :

« وكان انتقالهم إلى العراق فأقاموا به وملكوا ضواحيه وكانت لهم مقامات وذكر وهم أصحاب صولة وكثرة وهم الآن ما بين دجلة والفرات(٣) » . وجاء فى مصدر آخر : كانت لبنى خفاجة الدولة فى العراق والجزيرة(٤) .

---

(١) راجع وصف الكوفة فى العقد ٢٦٤ و ٢٦٥ جـ ٤ العقد الفريد . وبين البصرة والكوفة ثمانون فرسخا ٢٦٦/٤ العقد

وراجع وصف ابن جبير الاندلسى لها فى رحلته فى أواخر القرن السادس الهجرى (٢١١ — ٢١٣ ابن جبير طبع ليون سنة ١٩٠٧) ووصف ابن بطوطة لها فى القرن الثامن (١٣١ ابن بطوطة طبعة القاهرة سنة ١٢٧٨) — وراجع كتاب الشعر فى الكوفة فى القرن الثانى ليوسف خليف .

(٢) راجع ٢١٢ جـ ٢ ابن خلدون . (٣) ١٢ جـ ٦ ابن خلدون .

(٤) نهاية الأدب ٣٠٧ والسبائك ٤٢

وفى شعر قيس بن معاذ أحد بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة — وهو مجنون ليلى(١) — أشارات كثيرة إلى جبل الثوية بالكوفة(٢). وقد مضى أن بعض الرواة يعدون قيسا هذا من بنى خفاجة(٣) وإذا كان قيس قد عاش فى القرن الأول الهجرى . وعلم أن القحيف الخفاجى المتوفى نحو عام ١٢٥ ﻫ كان يعيش فى الكوفة . فيكون انتقال بنى خفاجة إلى ضواحى الكوفة قد حدث فى هذا القرن الأول أيضا .

وعلى أى حال فقد استقر بنو خفاجة فى ضواحى الكوفة واستمروا على عزتهم ومجدهم كما كانوا قبلا فى بادية نجد .

٢ — وقد اتصلت بأحدى الأدباء المعاصرين من بنى خفاجة فى العراق وهو الأستاذ مجيد أحمد الخفاجى بالكاظمية ببغداد ، فسألته عن معلوماته التاريخية فى ذلك . فبعث إلى برسالة جاء فيها :

«سكنت (خفاجة) العراق منذ زمن بعيد غير أن التاريخ لم يتطرق إلى ذكرهم تفصيلا سوى ما ورد من أن عشائر خفاجة كانت توالى (المناذرة) ثم يسكت التاريخ عن ذكرهم إلى حادثة كربلاء التى وقعت أيام حكم يزيد بن معاوية ، فيقول : إن زعماء خفاجة فى الكوفة لم يتمكن عبيد الله بن زياد من استمالتهم لمحاربة الأمام الحسين . غير أن الواضح المتفق عليه أن خفاجة قد دخلت العراق فى غربيه ، سواء أكان نزوحها من نجد أم من اليمن ، وان تاريخها البعيد والقريب يثبت أن أفرادها لم يمتهنوا الزراعة إلا قبل ما يقارب العشرين سنة حيث كانوا عربا رحلا ينتقلون بين دجلة والفرات فى جنوبى العراق فى المكان المسمى بـ «الجزيرة» طلبا الكلا والرعى لإبلهم ومواشيهم .

---

(١) راجع ١٣٩ و ١٤٠ ج ١ كامل المبرد الطبعة القديمة .
(٢) راجع ١٥١ ج ١ كامل المبرد
(٣) راجع المؤتلف ومعجم الشعراء فى مواضع كثيرة .

وفى سنة ١٩٢٥ ، أبدى جلالة المغفور له الملك فيصل رغبته السامية فى ايصال دجلة بالفرات عن طريق شق نهر سمى أخيرا بـ « الفرات » فى الجزيرة الجنوبية التى ألمحت إلى ذكرها ، فكان نصيب خفاجة فى الأرض التى أحياها هذا المشروع لا بأس به حيث دخلوا ساحة الزراعة ، وهم الآن مزارعون فى لواء المنتفك ، حيث تصل عشائرهم بين دجلة والفرات ، ومع هذا فقد بقيت أقلية منهم تمتهن تربية المواشى والإبل .

ولقد كان رحيلهم سببا مباشرا لانتشارهم ، وسكناهم فى المدن ، ومن ذلك مثلا أن جد والدى وصل مدينة الكاظمية وهى قريبة من بغداد بسفرة بعد محل شديد قضى على إبله ومواشيه فامتهن البيع والشراء ، وأصبحت له دار ومعاملات فآثر السكن بها ، وبقيت ذريته إلى هذا الحين ، وعلى هذا فكثيرون من خفاجة يسكنون الآن بغداد والموصل والنجف الاشرف والبصرة ، وبينهم الموظفون الكبار ، والأطباء والمحامون .

ليس لى إحصاء شامل لكافة عشائر خفاجة فى العراق إلا اننى أتمكن أن أقول لكم إن عدد نفوس الساكنين منهم فى لواء المنتفك فى الفرات يتراوح عددهم بين الـ ٢٥٠٠٠ والـ ٣٠٠٠٠ نسمه عدا الفلاحين منهم الذين يعملون بعيدين عن منازلهم ، وعدا الذين سكنوا المدن منهم ، هذا يرأس خفاجة اليوم الشيخ صكبان العلى الخفاجى ومسكنه فى مدينة الشطرة وهو نائب فى مجلس النواب عن عشائره » ..

الجانب السياسى لبنى خفاجة فى العراق

أقام بنو خفاجة إذا بالعراق بالحلة وبضواحى الكوفة واستقروا بها وتناسلوا وكثر عددهم وأصبحوا من أكثر القبائل العربية بها شوكة وسلطانا ، يرشدنا إلى ذلك هذه الأمور الآتية التى ذكرتها المصادر التاريخية والتى تدلنا على

مكانة الأسرة بعد الإسلام لاسيما فى القرن الرابع الهجرى :

أولا : فى عام ٣٧٤ هـ « قلد الخليفة الأمير أبا طريف عليان بن ثمال الخفاجى حماية الكوفة وهى أول إمارة بنى ثمال »(١)

ثانيا : تنازع المقلد وأخوه الحسن أمراء بنى عقيل فى الموصل على الملك سنة ٣٨٧ هـ فحارب المقلد أخاه الحسن ومعه بنو خفاجة فهرب الحسن إلى العراق(٢) .

ثالثا : فى عام ٣٩١ هـ « سار قرواش العقيلى أمير الموصل إلى الكوفة فأوقع ببنى خفاجة عندها وقعة عظيمة فساروا بعدها إلى الشام فأقاموا هناك حتى أحضرهم أبو(٣) جعفر الحجاج »(٤)

رابعا : فى عام ٣٩٢ هـ حارب قرواش العقيلى أمير الموصل جيش بهاء الدولة وكان قائد بهاء الدولة هو أبو جعفر الحجاج فاستنجد الحجاج ببنى خفاجة وأحضرهم من الشام فاجتمعوا معه واقتتلوا بنواحى « باكرم » فى رمضان، فانهزمت الديلم والأتراك الذين كانوا فى جيش أبى جعفر فجمع أبو جعفر جيشه وخرج إلى بنى عقيل وحليفهم ابن مزيد الأسدى والتقوا بنواحى الكوفة واشتد القتال بينهم فانهزمت بنو عقيل وقتل منهم خلق كثير وأسر مثلهم الخ(٥)

خامسا : فى عام ٣٩٣ قامت الحرب بين أبى جعفر الحجاج نائب بهاء الدولة على العراق وبين عميد الجيوش العباسية بنواحى النعمانية وكانت

---

(١) راجع ٩/١٥ ابن الأثير (٢) راجع ٥٠و٥١ ج ٩ ابن الأثير
(٣) راجع ٦٢ ج ٩ ابن الاثير (٤) توفى أبو جعفر هذا عام ٤٠٠ هـ
(٥) ٦٤ ج ٩ ابن الاثير

بنو خفاجة مع أبي جعفر فانهزم أبو جعفر ورجع إلى الكوفة واستنجد بنى خفاجة واستنجد عميد الجيوش ببنى عقيل وبنى أسد ودارت بين الفريقين معركة طاحنة(١)

سادسا : فى محرم عام ٣٩٧ هـ قامت الحرب بين قرواش العقيلى أمير الموصل وبين أبى على بن ثمال الخفاجى وسببها أن قرواشا جمع جمعا كبيرا وسار به إلى الكوفة وأبو على غائب عنها فدخلها ونزل بها ثم علم أبو على الخفاجى بالأمر .

فسار إليه واقتتلوا فانهزم قرواش وعاد إلى الأنبار مهزوما وملك أبو على الخفاجى الكوفة وأخذ أصحاب قرواش فصادرهم(٢)

سابعا : فى سنه ٣٩٩ هـ قتل أبو على بن ثمال الخفاجى وكان الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ولاه الرحبة فسار إليها الخفاجى فخرج إليه عيسى بن خلاط العقيلى فقتله فى معركة(٣)

ثامنا : حدثت فتنة بالكوفة بين العلويين والعباسيين فاستمد كل واحـــد منهم بنى خفاجة فأمدوهم وافترقوا عليهم واقتتل العلويون والعباسيون(٤) .

تاسعا : فى عام ٣٥٦ هـ اجتمع بنو خفاجة إلى الحلة والكوفة وطالبوا باعطائهم اقطاعيات ينالون منها ما يكفيهم من الطعام وكان على الكوفة أرغش وعلى الحلة قيصروهما من مماليك الخليفة المستنجد فمنعوا بنى خفاجة

---

(١) راجع ٦٥ جـ ٩ ابن الأثير (٢) راجع ٧٤ جـ ٩ ابن الأثير

(٣) راجع ٧٨ و ٧٩ جـ ٩ ابن الاثير ، ٢٥٧ جـ ٤ ابن خلدون

(٤) راجع ٤٤٥ جـ ٣ ابن خلدون

ولعل هذه الفتنة هى التى أشار إليها ابن الأثير فى حوادث عام ٤١٥ هـ ٤٢٥ جـ ٩

فأخذوا بالقوة ما يريدون فخرجوا إليهم فى أثرهم واتبعوهم إلى الرحبة فطلبوا الصلح فلم يجبهم أرغش ولا قيصر فقاتلهما بنو خفاجة وهزمت عساكرهما وقتل قيصر وهرب أرغش إلى الرحبة فاستأمن له واليها من بنى خفاجة فجهزت بغداد جيشا بقيادة « عون الدين هبيرة » لطلب خفاجة فدخلوا البادية وانتهت خفاجة إلى البصرة ثم حدث صلح بينهم وبين قائد الخليفة(١)

عاشرا : فى سنة ٣٨٦ اجتمع بنو عامر بن صعصعة وقصدوا البصرة للقيام بغارة عليها وعاثوا فيها قتلا ونهبا ثم بلغ بنى عامر أن بنى خفاجة وبنى المنتفق قد ساروا لقتالهم فرحلوا إليهم وقاتلوهم فهزموهم وعادوا إلى البصرة فنهبوها ورحلوا عنها(٢)

وبعد فهذه الأحداث التاريخية العظيمة التى وردت فى بعض مصادر التاريخ تدل دلالة كبيرة على الأسرة ومجدها ونفوذها السياسى وبطولتها الحربية فى القرن الرابع الهجرى وسنفصل الكلام على ما يتصل بهذه الأحداث التاريخية العظيمة فى الفصل التالى .

بنو خفاجة فى قمة مجدهم السياسى فى القرن الخامس الهجرى

تمهيد :

كان القرن الخامس الهجرى (من ٤٠١ هـ — ٥٠٠ هـ) حافلا بأحاديث البطولة والمجد والخلود لبنى خفاجة ولأبطالهم الخالدين .

لاتستطيع أيها القارىء أن تفهم سلسلة الحوادث الآتية إلا بعد أن نمهد الكلام على الحياة السياسية فى هذا القرن بإيجاز شديد .

---

(١) راجع ٥٢٣ جـ ٣ ابن خلدون

(٢) راجع ٥٣٠ / ٣ ابن خلدون

كان العالم الأسلامى خلال القرن الخامس تتناوبه عدة دول كبيرة :

فى الأندلس ملوك بنى أمية وملوك الطوائف الأندلسيون .

وفى الغرب ومصر والشام والحجاز ملوك الفاطميين الذين اتخذوا القاهرة عاصمة لملكهم العظيم من عام ٣٦٢ ﻫ .

وفى بغداد وضواحيها الخلافة العباسية التى كان الحكم فيها اسما للخليفة وإن كان فى الواقع أمور الحكم كلها فى يد البويهيين ثم الأتراك الذين استبدوا بالخلافة العباسية وأقاموا فى بغداد وجمعوا فى أيديهم كل السلطات وأقصوا الخلفاء عن شئون الملك والسياسة وقصروهم على مظاهر الخلافة ونفوذها الروحى .

وبجانب هذه الدول قامت دويلات أخرى :

١ — ففى حلب قامت دولة بنى صالح بن مرداس الكلابيين(١) التى ورثت ملك الحمدانيين(٢) فى حلب ، وقد ابتدأت دولة صالح بن مرداس الكلابى من عام ٤٠٢ ﻫ حيث استولى على حلب فى قصة تاريخية تشبه السحر والأساطير ذكرها ابن الأثير فى تاريخه(٣)، ولكن الدولة الفاطمية ناوأته حتى كان عام ٤١٤ ﻫ

---

(١) راجع تاريخها مفصلا : فى ابن خلدون ٢٧١ — ٢٧٥ ج ٤ وفى أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء ٣١٥ — ٣٤٤ ج ١ ، و ٥٨ — ٦٦ تجديد ذكرى أبى العلاء لطه حسين طبعة ١٩٣٧

(٢) ابتدأت الدولة الحمدانية بالموصل سنة ٢٩٣ ﻫ ثم ملكت الموصل وحلب سنة ٣٣٣ ثم انهارت بعد موت سيف الدولة سنة ٣٥٦ حيث خلفه أبناؤه وكانوا دونه فى البطولة والسياسة واختلفوا فيما بينهم على العرش وجاورهم دول قوية زعزعت عرشهم فانتهى أمرهم سنة ٣٩٤ﻫ .

(٣) ٨٤ - ٨٧ ج ٩ ابن الأثير وكان صالح قبل ذلك أمير الرحبة وهو من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقد أقام بالرحبة دعوة الفاطميين العلويين (راجع ٢٧١ ج ٤ ابن خلدون) .

فاجتمع أمراء العرب : حسان أمير طيء ، وصالح أمير بنى كلاب ، وسنان بن عليان ، وتحالفوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح ومن الرملة إلى مصر لحسان وتكون دمشق لسنان، وفعلا تم ذلك عام ٤١٤ هـ (١) وملك صالح حلب فى هذا العام وظل حاكما لها .

وفى عام ٤٢٠ هـ قتل صالح فى حرب بينه وبين الفاطميين بالأقحوانة على الأردن عند طبرية وقتل معه ولده الأصغر ونجا ابنه الآخر أبو كامل نصر بن صالح حيث عاد إلى حلب وملكها وكان يلقب شبل الدولة واستمر على عرشها إلى عام ٤٢٩ حيث قتل فى حرب مع الفاطميين الذين استولوا عليها إلى سنة ٤٣٣ هـ وفى عام ٤٣٤ ملك ثمال بن صالح بن مرداس حلب من أيدى الفاطميين وكان قبل ذلك مقيما بالرحبة ولقب نفسه معز الدولة واستمر على عرش حلب إلى عام ٤٤٠ هـ حيث استعادها منه الفاطميون فى حرب عنيفة ، ولكن جيش الفاطميين هزم فى حرب مع جيوش بغداد فعاد ثمال إلى عرشه فى حلب ، وأخيرا اتفق معز الدولة المسيطر على شئون الخلافة العباسية فى بغداد مع الفاطميين على أن يترك لهم حلب فتسلموها من ثمال عام ٤٤٩ (٢) وسار ثمال فى ذى الحجة من هذا العام إلى مصر وسار أخوه عطية بن صالح إلى الرحبة ، ثم استعادوا عرش حلب ثانيا من أيدى الفاطميين وتولى ملكها محمود بن نصر بن صالح عام ٤٥٢ هـ ، فأرسل إليه الفاطميون جيشاً كبيرا أخذ منه حلب ولكنه عاد فأخذها ، فأرسلوا إليه جيشا آخر بقيادة عمه ثمال بن صالح الذى حاصره فى آخر عام ٥٢ ، فاستنجد محمود بخاله منيع بن شبيب بن وثاب النميرى (٣) أمير حران ففر ثمال إلى البادية فى محرم سنة

---

(١) راجع ٨٥ و ٨٦ جـ ٩ ابن الأثير

(٢) تسلمها أبو على الحسن بن ملهم الملقب مكين الدولة نائب الخلافة الفاطمية (٦٥ تجديد ذكرى أبى العلاء) .. وللأمير ابن سنان الخفاجى قصائد فيه .

(٣) كانت أم محمود منيعة بنت وثاب النميرى (راجع ٢٤ جـ ١٠ ابن الأثير)

٤٥٣هـ ولما عاد منيع النميرى بجيشه إلى بلاده عاد ثمال إلى حلب فأخذها من ابن أخيه بعد قتال عنيف وحكمها باسم الفاطميين وظل بها إلى أن توفى بها عام ٤٥٣هـ ، فملك عرش حلب بعده أخوه عطية بن صالح ولكن محموداً حاصر حلب عام ٤٥٤ ففر منهما عمه عطية وذهب إلى الرقة وملكها(١) ، ودخل محمود حلب وظل ملكا عليها وتوسع فى الفتح ثم مات سنة ٤٦٨ فى حلب ووصى بالملك بعده لابنه .

ولكن أخاه الأكبر نصراستولى عليها وجده لأمه الملك العزيز بن الملك جلال الدين بن بويه ، وقتل نصر فملك العرش بعده أخوه سابق إلى عام ٤٧٢هـ حيث أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلى عام ٤٧٢ وانقرضت دولة بنى صالح منها(٢) .

٢ — وبجانب دولة الكلابيين فى حلب قامت دولة العقيليين فى الموصل(٣) (٣٨٦ — ٤٨٩هـ) ، وكان قيامها على يد أبى محمد بن المسيب العقيلى الذى استولى على الموصل عام ٣٨٠هـ(٤) وظل يحكمها إلى أن مات سنة ٣٨٦ فخلفه أخوه المقلد (٣٨٦ — ٣٩١هـ) ولقب حسام الدولة وكان تحت حكمه كثير من البلاد كالموصل والكوفة وسواهما وعظم شأنه وطمع فى ملك بغداد(٥) فقتله مواليه الأتراك عام ٣٩١هـ ، فتولى حكم البلاد بعده ابنه معتمد الدولة قرواش بن المقلد (٣٩١ — ٤٤١هـ) حيث ظهر فى عام ٤٤١هـ

---

(١) ثم سار الأمير عطية إلى بلد الروم (القسطنطينية) ومات بها سنه ٤٨٠
(٢) راجع ٨٦و٨٧ ج ٩ ابن الأثير ، ابن خلدون ٢٧١ — ٢٧٥ ج ٤
(٣) أخبارها فى ابن خلدون ٣٥٤ — ٢٧٠ ج ٤ ، والخاشع عبادة رسالة ماجستير من آداب القاهرة عام ١٩٦٦ عن « دولة بنى عقيل فى الموصل » . بإشراف د/م . ج . سرور
(٤) راجع ٢٨ ج ٩ ابن الأثير
(٥) راجع ٦١ ج ٩ ابن الأثير ، ٤٧ ج ٩ أيضا

خلاف بين قرواش بن المقلد وأخيه أبى كامل بن المقلد فاستولى أبو كامل على مملكة أخيه قرواش(١) عام ٤٤٣ هـ فتولى الملك بعده ابن أخيه قريش بن بدران بن المقلد وتوفى قريش عام ٤٣٥ هـ ، فخلفه ابنه مسلم بن قريش العقيلى ولقب شرف الدولة وحكم الموصل وقتل عام ٤٧٨ هـ بعد حرب شاقة بينه وبين فخر الدولة وجيوش بغداد سنة ٤٧٧ هزم فيها قريش ونهبت أموال بنى عقيل وأسر منهم كثير حتى افتك أسرهم صدقة الأسدى أمير الحلة وكان شرف الدولة قد اتسع ملكه وكانت بلاده فى غاية الخصب والأمن وكان حسن السياسة كثير العدل(٢) . وخلفه على بلاده أخوه إبراهيم عام ٤٨٢ هـ ، ولكن السلطان ملك شاه استدعاه إلى زيارة بغداد وفى أثناء الزيارة اعتقله وأقطع محمد بن شرف الدولة مسلم العقيلى مدينة الرحبة وحران وسروج والرقة والخابور وزوجه بأخته خاتون وبعد أن قتل ملك شاه خرج إبراهيم من الاعتقال وعاد إلى الموصل فملكها من ابن أخيه على بن مسلم العقيلى(٣) ولكن تتش صاحب الشام وأخا ملك شاه حاربه وهزمه بالمغيم وقتل إبراهيم فى المعركة وقتل كثير من نساء العرب أنفسهم خوفا من الفضيحة واستولى تتش على الموصل وأعاد على بن مسلم العقيلى ولكن كربوقا انتزعها من(٤) يده سنة ٤٨١ ، وبذلك انقرض ملك بنى عقيل بالموصل بعد أن استمر مائة عام .

٣ — وبجانب هاتين الدولتين قامت دولة بنى مزيد الأسدى بالحلة (٤٠٣ - ٥٤٥) ، ابتدأت هذه الدولة بالحسن بن مزيد وكان يتولى حماية جزء من أرض

---

(١) وتوفى قرواش عام ٤٤٤ هـ ودفن بتل توبة من مدينة نينوى شرق الموصل وكان من رجال العرب وذوى العقل وله شعر حسن (٢١٩ جـ ٩ ابن الأثير)

(٢) راجع ٢٦٩ جـ ٥ ابن خلدون ، ٥١ جـ ١٠ ابن الأثير

(٣) راجع ٢٧٠ جـ ٤ ابن خلدون

(٤) ٨١ جـ ٥ ابن خلدون

العراق للخلافة العباسية وخلفه ابنه على بن مزيد (من ٤٠٥ إلى ٤٠٨) ثم قام بعده ابنه نور الدولة أبو الأغر دبيس (١) بن على بن مزيد الأسدى الذى ظل فى الحكم من سنة ٤٠٨ إلى عام ٤٧٤ حيث توفى عن ثمانين عاما وطالت مدة إمارته وكان ممدحا وزناء الشعر ، وولى بعده ابنه أبو كامل منصور بن دبيس ولقب بهاء الدولة ولكنه مات سنة ٤٧٩ ؛ فتولى بعده ابنه صدقة بن منصور الأسدى وهو الذى بنى مدينة الحلة بالعراق (٢) وقد عظم أمره بين الملوك وكان جوادا حليما عادلا فى رعيته كما يقول ابن خلدون وقتل فى معركة حربية بينه وبين جيوش السلطان (٣) سنة ٥٠١ هـ وشتت شمل بلاده وعائلته ، ثم تمكن ابنه دبيس بن صدقة أن يعود إلى حكم بلاده سنة ٥١١ هـ وقتل عام ٥٢٩ فتولى بعد ابنه صدقة بن دبيس وقد زوجه السلطان مسعود بنته سنة ٥٣٠ ثم قتل وتولى بعده أخوه محمد بن دبيس فاستقام أمره ثم تغلب عليه أخوه على بن دبيس وأخذ الحلة منه سنة ٥٣٦هـ ، وفى عام ٥٤٢ أخذ السلطان الحلة من يد على وأعادها إلى أخيه محمد وتوفى على عام ٥٤٥ هـ ، وفى عام ٥٤٧ ملك سلاركرد الحلة فانقرضت دولة بنى مزيد الأسديين بعد أن حكمت نحو قرن ونصف من الزمان .

٤ — وبجانب هذه الدويلات قامت دولة بنى وثاب النميريين فى حران وما جاورها من البلاد ، ، وكان من ملوكها وثاب بن سابق النميرى م ٤١٠ هـ ، ثم ابنه شبيب بن وثاب النميرى صاحب حران وسروج والرقة والمتوفى سنة ٤٣١ ، ثم ابنه منيع بن شبيب الذى حكم البلاد إلى عام ٤٥٣ هـ ، ثم أخذ شرف الدولة مسلم العقيلى مدينة حران سنة ٤٧٤ من يد بنى وثاب النميريين .

---

(١) راجع ١١٤ جـ ٩ ابن الأثير

(٢) بناها عام ٤٩٥ هـ وسكنها - ١٣١ جـ ١٠ ابن الأثير

(٣) راجع ١٦٥ — ١٦٩ جـ ١٠ ابن الأثير والجزء الرابع من ابن خلدون فى كلامه على دولة بنى مزيد بالحلة

٥ — وبجانب هذه الدويلات قامت دولة الخفاجيين فى ضواحى الكوفة وسقى الفرات .. وسنتكلم عليها وعلى رجالاتها بتفصيل .

قيام دولة بنى خفاجة

كانت فروع بنى خفاجة الضخمة فى العراق وحوالى الكوفة تحتل مكانا كبيرا فى الحياة الإسلامية والعربية منذ بداية القرن الرابع الهجرى (٣٠١ — ٤٠٠ هـ) .

ولما ضعفت الخلافة العباسية عن حفظ ماتحت يدها من بلاد وأقطار ألقت العبء على عظماء هذه البلاد وكبار الأسر والقبائل فيها .

وكان ممن ألقت إليهم الخلافة العباسية بمقاليد الأمور بنو خفاجة فى الكوفة ونواحيها وكان أول أمير خفاجى قام بهذ العبء هو الأمير أبو طريف الخفاجى عام ٣٧٤ هـ .

الأمير أبو طريف الخفاجى

٣٧٤ — ٣٩٠ هـ

هو أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجى .

شخصية بارزة فى تاريخ الأسرة وكان عميد بنى خفاجة وله مكانة واسعة بين أمراء العرب ، قلده الخليفة حماية الكوفة سنة ٣٧٤ هـ ، وهى أول أمارة بنى ثمال (١) الخفاجيين .

الأمير أبو على الخفاجى

٣٩٠ — ٣٩٩ هـ

هو أبو على بن ثمال الخفاجى .

---

(١) ١٥ ج ٩ ابن الأثير

تولى رئاسة بنى خفاجة بعد أخيه أبى طريف الخفاجى وفى عام ٣٩٧ تولى قيادة الحرب بينه وبين قرواش العقيلى صاحب الموصل،وسببها كما يقول ابن الأثير أن قرواشا غزا الكوفة ودخلها وأبو على الخفاجى غائب عنها فلما وصله الخبر سار إلى قرواش والتقى به فى معركة هزم فيها قرواش وفر إلى الأنبار فملك أبو على الكوفة وأسر كثيرا من أصحاب قرواش(١) .

وقلد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله أبا على بن ثمال الخفاجى عام ٣٩٩ ولاية الرحبة فسار إليها فخرج إليه عيسى بن خلاط العقيلى بجيش كبير فقتله وملك الرحبة من يده(٢) .

الأمير سلطان الخفاجى

هو الأمير سلطان بن ثمال الخفاجى تولى أمور بنى خفاجة بعد أبى على الخفاجى سنة ٣٩٩ وتوجه هو وأخواه : علوان ورجب أولاد ثمال الخفاجى ، على رأس وفد كبير من أعيان عشائر بنى خفاجة إلى الملك فخر الدولة لما فتح دير العاقول سنة ٤٠٢ هـ، وضمنوا له حماية سقى الفرات ودفع بنى عقيل عنها وساروا معه إلى بغداد فأكرمهم وخلع عليهم وأشار عليهم بالمسير مع ذى السعادتين إلى الأنبار فساروا معه فلما صاروا بنواحى الأنبار أرادوا أن يوسعوا نفوذهم فيها فأغاروا على بعض من نواحيه فقبض ذو السعادتين على نفر منهم ثم أطلقهم ، فدبر سلطان الخفاجى مكيدة للقبض على ذى السعادتين فوصل إلى ذى السعادتين الخبر فصنع مأدبة كبيرة دعا إليها جماعة من أعيان بنى خفاجة وفى أثنائها أمر أصحابه بقتل كثير منهم ففعلوا وقبض على سلطان ونهب بيوتهم وما فيها وحبس سلطان ومن معه

---

(١) ٧٤ جـ ٩ ابن الأثير

(٢) ٧٨ و ٧٩ جـ ٩ ابن الأثير ، ٢٧٥ جـ ٧ ابن خلدون .

ببغداد حتى شفع فى إطلاقهم الحسن بن مزيد الأسدى و بذل مالا عنهم فأطلق الملك فخر الدولة أسر الأمير سلطان ومن معه (١).

معارك عام ٤٠٢ هـ

لم ينس بنو خفاجة هذه الحادثة الكبيرة التى تمس كرامتهم فانتهزوا فرصة قافلة الحجاج القادمة من بغداد سنة ٤٠٢ هـ ، وكان فيها كثير من جنود الخلافة وكثير من الأموال الخاصة بدولة الخلافة العباسية فسارت بنو خفاجة إلى واقصة وتعرضت لهذه القافلة ومنعوا عنهم الماء ثم قاتلوهم ولم يسلم منهم إلا اليسير فأرسلت بغداد جيشا كبيرا للفتك ببنى خفاجة وأمرت الحسن بن مزيد الأسدى بمحاربتهم فأوقع بهم قرب البصرة بأمر فخر الدولة وقتل وأسر من بنى خفاجة جمعا كثيرا(٢).

معارك عام ٤٠٤ هـ

وفى هذه السنة جاء الأمير سلطان بن ثمال الخفاجى واستشفع بأبى الحسن ابن مزيد إلى فخر الدولة ليرضى عنه فأجابه إلى ذلك فأخذ عليه العهود بلزوم الهدوء وإطاعة أوامر الخليفة فلما خرج وصلت الأخبار إلى بغداد بأن بنى خفاجة لايقبلون صلحا مع فخر الدولة وأنهم يريدون أن ينتقموا لكرامتهم وأنهم نهبوا سواد الكوفة وقتلوا طائفة من الجند فسير إليهم فخر الدولة جيشا كبيرا وكتب إلى ابن مزيد بمحاربتهم فأوقع بهم بنهر الرمان وأسر محمد بن ثمال الخفاجى وجماعة معه من أعيان بنى خفاجة نجا الأمير سلطان الخفاجى ، ودخل الأسرى بغداد مقيدين بأغلال وحبسوا ثم هب على المنهزمين من بنى خفاجة ريح شديدة حارة قتلت منهم نحو ٥٠٠ رجل وأفلت منهم جماعة ممن كانوا قد أسروهم من الحجاج عام ٤٠٢ هـ

---

(١) راجع ٨٧ و ٩٨ جـ ٩ ابن الأثير

(٢) راجع ٨٨ جـ ٩ ابن الأثير

معارك عام ٤١١ هـ

وفى سنة ٤١١ هـ قامت الحرب بين قرواش العقيلى أمير الموصل وبين غريب ابن مقن (١) ودبيس الأسدى صاحب الحلة وكان معهما عسكر من بغداد فهزم قرواش ومن معه وأسر فى المعركة ثم نجا من الأسر وقصد الأمير سلطان بن الحسين بن ثمال الخفاجى أمير بنى خفاجة فسار إليهم جيش من الأتراك فانهزم الخفاجى وقرواش ثم طلب قرواش الصلح من بغداد(٢).

الأمير أبو الفتيان الخفاجى

٤١٥ — ٤٢٣ هـ

هو أبو الفتيان منيع بن حسان الخفاجى تولى أمور بنى خفاجة بعد سلطان الخفاجى.

وفى عام ٤١٧ هـ، وقعت حرب طاحنة بين قرواش العقيلى أمير الموصل وبين بنى أسد وبنى خفاجة فقد اجتمع دبيس بن على بن مزيد الأسدى أمير الحلة وأبو الفتيان الخفاجى أمير بنى خفاجة وجمعا عشائرهما وانضم إليهما جيش بغداد لقتال قرواش بن المقلد العقيلى.

وكان سبب ذلك أن بنى خفاجة تعرضوا لأعمال ولايات قرواش بالسواد فسار إليهم من الموصل وجاء دبيس وعسكر من بغداد فسار أبو الفتيان بهم فعلم قرواش أنه لا طاقة له بقتالهم ففر ليلا وسار مهزوما إلى الأنبار فاتبعوه فرحل عنها فاستولوا على الأنبار ثم تركوها فاستردها قرواش(٣)

---

(١) توفى سنة ٤٢٥ فى كرخ سامرا وكان يلقب سيف الدولة وقام بالأمر بعد ابنه أبو الريان

(٢) راجع ١٢٠ جـ ٩ ابن الأثير، ٢٥٩ جـ ٤ ابن خلدون.

(٣) ١٣١ و ١٣٢ / ٩ ابن الأثير، ٢٥٨ / ٤ ابن خلدون.

وفى نفس عام ٤١٧ هـ، وقعت الحرب ثانيا بين قرواش وبين بنى خفاجة وسببها أن الأمير منيع الخفاجى أمير بنى خفاجة وصاحب الكوفة سار إلى الجامعين، وهى لنور الدولة دبيس الأسدى فنهبها فخرج دبيس فى طلبه إلى الكوفة ففارقها وقصد الأنبار وهى لقرواش العقيلى فقاتل أهلها أباالفتيان الخفاجى فلم يكن لهم ببنى خفاجة طاقة فدخلوا الأنبار ونهبوها وأحرقوا أسواقها ثم عادوا إلى الأنبار فأحرقوها مرة ثانية فخرج قرواش العقيلى ودبيس الأسدى فى عشرة آلاف مقاتل لقتال بنى خفاجة الذين كانوا فى ألف مقاتل فقط فلم يقدر قرواش وهو فى ذلك الجيش العظيم على بنى خفاجة وهم فى الألف، ثم إن الأمير منيع الخفاجى سار إلى الملك كليجار فأظهر له الطاعة فخلع عليه فأتى الخفاجى الكوفة فخطب فيها له وأزال حكم بنى عقيل عن سقى الفرات (١).

معارك عام ٤٢٥ هـ

وفى عام ٤٢٥ هـ، قامت الحرب بين نور الدولة دبيس الأسدى ملك الحلة وأخيه ثابت، فهزم دبيس وخرج من بلده فاجتمع معه بنو خفاجة وبنو أسد وساروا لإعادته إلى ملكه وولاياته، فكانت حرب قتل فيها جماعة من الفريقين ثم اصطلحوا (٢).

الأمير على الخفاجى
٤٢٣ — ٤٢٦ هـ

هو الأمير على بن ثمال أمير بنى خفاجة، وفى عام ٤٢٦ هـ فى ذى الحجة

---

(١) ٢٥٩ / ٤ ابن خلدون، ١٣٢ و ١٣٣ / ٩ ابن الأثير.
(٢) ١٦٣ / ٩ ابن الأثير.

وثب عليه ابن أخيه الحسن بن أبي البركات بن ثمال الخفاجي فقتله وقام بإمارة بني خفاجة بعده (١) .

الأمير الحسن الخفاجي

٤٢٦ — ٤٤٠ هـ

قام بأمور بني خفاجة بعد عمه ، وفي سنة ٤٢٦ هـ سارت بنو خفاجة بقيادته الى البصرة فنهبوها وأرادوا تخريبهـــا وذلك نكاية في أمراء بني عقيل (٢) .

الأمير منيع الخفاجي

٤٤٠ — ٤٤٦ هـ

هو الأمير منيع بن منيع بن حسان أمير بني خفاجة

وفي عهد إمارته في عام ٤٤٦ هـ قصد بنو خفاجة تهديد دولة بني أسد فأغاروا على « الجامعين » وهي من ولايات نور الدولة دبيس الأسدي ملك الحلة فاستنجد دبيس بالبساسيري قائد جيوش الخلافة فجاء بنفسه وعبر دبيس الفرات معه وقاتلوا بني خفاجة وأجلوهم عن « الجامعين » فدخلوا بادية نجد فاتبعوهم إلى خفان وهو حصن فيها وأوقعوا بهم فيه وحاصروا الحصن ثم اقتحموه وقتلوا من بني خفاجة ونهبوا أموالهم وجمالهم وعبيدهم وإماءهم وشردوهم ، ورجع البساسيري بغداد ومعه خمسة وعشرون رجلا من بني خفاجة أسرى وقتل منهم جماعة وصلب منهم جماعة ثم توجه الى حربي فحاصرها وفرض عليها أموالا فالتزموها وأمنهم (٣) .

---

(١) ١٦٥ و ١٦٦ جـ ٩ ابن الأثير .
(٢) راجع ١٦٦ جـ ٩ ابن الاثير .
(٣) ٢٧٨ و ٢٧٩ جـ ٤ ابن خلدون ، ٢٢٤ جـ ٩ ابن الأثير .

الأمير محمود خفاجى

٤٤٦ — ٤٦٥ هـ

هو محمود بن الأخرم الخفاجى .

تولى إمارة بنى خفاجة بعد الأمير منيع،وقد أراد أن يغسل هذه الإهانة الكبيرة فخطب فى بلاده للخليفة الفاطمى المستنصر بالله العلوى صاحب مصر « بشفاثا والعين » وصار فى طاعته وخرج عن الولاء لبنى العباس (١) وذلك سنة ٤٤٧ هـ وحرض نور الدولة دبيس الأسدى ففعل مثل ذلك .

ولكن السلطان طغرلبك استرضاه فعاد الأمير محمود ونور الدولة إلى حالهما الأول مع السلطان(٢) وذلك فى سنة ٤٤٩ ، وفى سنة ٤٥٢ خلع السلطان طغرلبك على الأمير محمود الخفاجى ورد إليه إمارة بنى خفاجة وولاية الكوفة وسقى الفرات وصرف عنها رجب بن منيع الخفاجى(٣) .

وفى سنة ٤٥٦ هـ تولى المعمر العلوى نقابة العلويين ببغداد ، وكان المرتضى العلوى قد استعفى منها وصاهر بنى خفاجة وانتقل معهم إلى البرية وتوفى سنة ٤٧٢ (٤) .

الأمير رجب بن منيع الخفاجى

هو الامير رجب بن منيع بن حسان أمير بنى خفاجة بعد أبيه منيع وظل فى الأمارة إلى أن صرفه عنها السلطان وأعطاها للأمير محمود الخفاجى

---

(١) ٢٣٠ ج ٩ ابن الأثير .
(٢) ٢٣٨ ج ٩ ابن الأثير .
(٣) ص ٥ ج ١٠ ابن الأثير .
(٤) ١٦ ج ١٠ ابن الأثير .

عام ٤٥٢ هـ وله ذكر فى التاريخ . فقد هرب البساسيرى إلى ولاية دبيس الأسدى بعد أن غضب عليه السلطان فسير السلطان طغرلبك وراءه عسكرا وأنفذ معهم ابن منيع الخفاجى فواقعوا البساسيرى وأوقعوه سنة ٤٥١ هـ(١)

بنو هلال والأمير الخفاجى بالعراق

تمهيد :

قبيل عام ٤٦٠ هـ حدثت مجاعة فى بلاد نجد استمرت سبع سنوات ، ففكر الهلاليون فى الهجرة من نجد إلى تونس لما بلغهم من خصبها وخيراتها وكان أميرهم السلطان حسن الهلالى (٢) ، فأرسل أبا زيد الهلالى مع جماعة من الهلاليين إلى تونس عام ٤٦٠ هـ لمعرفة أحوالها قبل الرحلة إليها .

ولكن الهلاليين أسروا فى تونس ، فتخلص أبو زيد من الأسر وعاد إلى نجد ليستنجد بقومه لفك الأسرى ؛ فرحلت بنو هلال كلها إلى تونس .

الهلاليون فى ضيافة الأمير الخفاجى

رحل الهلاليون فى نحو أربعمائة ألف على ماتقول قصة أبى زيد الهلالى وقد ساروا من نجد إلى بلاد ابن مزيد الدبيسى ، ثم واصلوا السير حتى وصلوا إلى بلاد الأمير الخفاجى عامر فى العراق ؛ وهنا تقول قصة « تغريبة بنى هلال » المطبوعة المعروفة مانصه :

(١) راجع ص ١٧ من تاريخ دولة آل سلجوق اختصار الأصفهانى المطبوع بشركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠٠ م

(٢) كان متزوجا بنافلة أخت دياب وولدت منه مرعى ، وكان له ثلاث شقيقات هن : الأميرة عمرة وابنها يحى ، والأميرة سروة وابنها يونس ، والجازية وكانت زوجة للشريف ابن هاشم أمير مكة :

« وذهب أبو زيد ويحيى ومرعى ويونس إلى الخفاجى عامر ، حاكم بلاد العراق ، وتلك البرارى والآفاق (١) .

« وكان رجلا كريم الأخلاق ، فدخلوا وسلموا عليه ، ومثلوا بين يديه ، فرد عليهم السلام ، وأجلسهم بجانبه فى صدر المقام ، وأكرمهم غاية الإكرام ، ومدحه أبو زيد - وهنا تذكر القصة هذه المدائح - فأجازهم الجوائز الحسان ، وأقاموا عنده فى عز وإكرام ، ثلاثة أيام (٢) » .. وتقول أيضا :

« وصل الهلالية إلى العراق ، وكان الحاكم على تلك البلاد رجلا من الأجواد قد انصف بالفضائل وحسن المآثر ، يقال له الخفاجى عامر ، وكان يحكم على البصرة وبغداد والموصل والعراق وما يلى تلك البلاد ، وكان عنده من الأبطال والفرسان نحو مائتى ألف عنان » (٣) .

« فبينما هو جالس فى الديوان وحوله الوزراء والأعيان ، أخبر بدخول بنى هلال دياره » ثم ظهر عليه الألم ، فاستشار وزيره عميرة فأشار عليه بأن يرسل إلى الامير حسن يطلب منه عشر ما معه من أموال نظير السماح له ومن معه بالمرور فى بلاده ، فوافق الأمير الخفاجى ، وكتب للأمير حسن يطلب عشر المال والنوق والجمال والجوارى (٤) ، فأرسل الأمير حسن إلى الخفاجى خطاب مودة وإجلال يعبر فيه عن تقديره له ويرجو السماح له بالمرور فى بلاده فى رحلته إلى المغرب (٥) .

---

(١) ص ٢١ تغريبة بنى هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب .
(٢) ص ٢٢ المصدر نفسه .
(٣) ص ٩٤ من المصدر نفسه .
(٤) ٩٥ المرجع .
(٥) ٩٦ المرجع :

فعطف الخفاجى عليهم ، ورأى ألا يشهر الحرب فى وجوههم لأنهم عابروا طريق ، وركب الأمير الخفاجى فى جماعة من الأبطال ، وركب معه والدة الأمير ضرغام للسلام على الأمير حسن، ورحب الخفاجى به وبقومه غاية الترحيب(١) .

ثم ركبت سادات بنى هلال مطاياهم والخفاجى عامر معهم ، ودخلوا بلده فى فرح وسرور ، وتفرقت عرب بنى هلال فى تلك الأراضى ، وأما الأمير حسن والسادات فبقوا عند الخفاجى عامر على أكل وطعام مدة ثلاثة شهور(٢) ، ثم استأذنوا فى الرحيل(٣) ، فعزم الخفاجى على السفر معهم إلى تونس لمساعدتهم فى تخليص أسرى الهلاليين(٤) ، ورحلت مع الخفاجى زوجته وابنته(٥) ، وساروا جميعا إلى حلب فالقدس فمصر فالصعيد فتونس وحارب بنو هلال ومعهم الأمير الخفاجى الزناتى ملك تونس .

وبرز الخفاجى للزناتى فى يوم من الأيام فتعادلا ، وكذلك فعل فى الثانى ، وفى اليوم الثالث ضعف الزناتى وولى هاربا من قدام الخفاجى(٦)

ورأى الخفاجى مناما أفزعه ، فتردد فى حرب الزناتى فى اليوم الرابع وأخيرا لبس وخرج لحربه(٧) ، وهرب الزناتى أمامه ، فجرى خلفه الخفاجى ، فخرج له كمين فضربه فخر الخفاجى صريعا(٨)

---

(١) ص ٩٧ المرجع
(٢) ٩٩ المرجع
(٣) ١٠٠ و ١٠١ المرجع
(٤) ١٠١ و ١٠٢ المرجع
(٥) ١٠٤ المرجع
(٦) ٣٢٤ المراجع
(٧) ٣٢٥ و ٣٢٦ المرجع .
(٨) ٣٢٧ المرجع .

فأخذ بنو هلال جثة الخفاجي ، وأفزع المصاب ابنته ذؤابة فندبته في بيته وبكته بكاءا حارا(١) .

وأخذ الخفاجي يتكلم وهو في الرمق الأخير(٢) ثم فاضت روحه فحزنت العرب عليه ودفنته(٣) .

خلاصة :

هذا هو ماتذكره قصة تغريبة بنى هلال عن أمير خفاجى كان يحكم بلاد العراق نحو عام ٤٦٠ هـ ، وهذا هو وصفها له وللملكه وجيشه .

والقصة أساسها التاريخي صحيح ، ولكننا لا نزال نبحث عن مصادر تاريخية توضح لنا الأمير الخفاجي الذى تقصده القصة لنستطيع أن نكمل جوانب هذا البحث التاريخي الواسع . ونحن نرجح أنه هو الأمير محمود الخفاجي السابق الذكر .

معارك عام ٤٨٥ هـ

وفى عام ٤٨٥ هـ قدم الحجاج الكوفة ثم رحلوا عنها وكان فيهم أموال وجنود كبيرة للخلافة فخرجت عليهم بنو خفاجة فأوقعوا بهم ثم قصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها فسيرت بغداد جيشا لمحاربتهم فلما سمع بنو خفاجة بهم انهزموا وأدركهم العساكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعف بنو خفاجة بعد هذه الموقعة(٤)

(١) ٣٢٧ المرجع (٢) ٣٢٨ المرجع
(٣) ٣٢٩ المرجع
(٤) ٨١ جـ ١٠ ابن الأثير

معارك عام ٤٩٩ هـ

بين بنى خفاجة و بنى عبادة بن عقيل

سببها أن رجلا من عبادة أخذ منه جماعة من بنى خفاجة جملين فطالبهم بهما فلم يعطوه شيئا فأخذ منهم فى غارة أحد عشر جملا فلحقته بنو خفاجة فقتلوا رجلا من أصحابه وقطعوا يد رجل آخر وذلك بالموقف من بلاد الحلة بلد سيف الدين الأسدى ، ففرق بينهم أهل البلد فتواعدت عبادة وانحدرت إلى العراق للأخذ بثأرها وهم فى سبعمائة فارس وكانت بنو خفاجة دون ذلك فراسلوهم يبذلون الدية ويصطلحون فرفض بنو عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة فكمنت لهم بنو خفاجة فى ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد فى القتال ثلاثة أيام ثم اشتد بهم القتال حتى اختلطوا وتركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبيناهم كذلك وقد أعيا الفريقان من القتال إذ طلع كمين بنو خفاجة وهم مستريحون فانهزم بنو عبادة وانتصر عليهم بنو خفاجة وقتلوا من وجوهم اثنى عشر رجلا وقتل من خفاجة جماعة وغنمت خفاجة أموالهم وما معهم من جمال وإبل وغنم وعبيد وإماء وكان الأمير صدقة الاسدى قد أعان بنى خفاجة سرا(١)

معارك عام ٥٠٠ هـ

وفى ربيع الأول من سنة ٥٠٠ هـ وقعت حرب بين بنى خفاجة وبنى عبادة ومعهم سيف الدولة صدقة الأسدى .

وسببها أن صدقة أرسل ولده بدران فى جيش إلى طرف بلاده مما يلى « البطيحة » ليحميها من بنى خفاجة فقرب منه بنو خفاجة وتهددوا

---

(١) ١٤٩ و ١٥٠ جـ ١٠ ابن الأثير .

أهل البلاد التي تحت يده فكتب إلى أبيه يشكو منهم فأرسل إلى عبادة لتساعده في قتالهم ولتأخذ بثأرها منهم فساروا في مقدمة عسكره فأدركوا جماعة من بني خفاجة من بني كليب ليلا وهم غير متيقظين لم يشعروا بهم فقاتلوهم وصبرت بنو خفاجة فبينما هم في القتال إذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت عبادة من بني خفاجة جماعة وكان فيهم عشرة من أمرائهم وتركوا حرمهم فأمر صدقة بحراستهن وحمايتهن وأخذت عبادة أموال بني خفاجة خلفا لهم عما أخذوا منهم في العام الماضي ، وأصاب بني خفاجة من مفارقتهم بلادهم ونهب أموالهم وقتل رجالهم أمر عظيم وانتزحت إلى نواحي البصرة وقامت عبادة في بلادهم وجاءت امرأة من بني خفاجة إلى صدقة فقالت له : إنك سبيتنا وسلبتنا قواتنا وعريتنا وأضعت حرمتنا ، قابلك الله في نفسك وجعل صورة أهلك كصورتنا ، فكظم صدقة الغيظ ووهب لها أربعين جملا ، ولكن لم يمض غير عام حتى نزلت جيوش السلطان بصدقة فأخذت بلاده وشردت ملكه وقتلته وأسرت زوجته وأولاده وقابله الله في نفسه وأولاده(١) .

وبعد فهذا هو تاريخ بني خفاجة الحافل في القرن الخامس الهجري أشبعنا الكلام عليه اعتمادا على المصادر التاريخية التي أمكن العثور عليها .

القرن السادس الهجري

وتاريخ بني خفاجة فيه في العراق

١ — أما التاريخ الأدبي للأسرة في هذا القرن في العراق فلم نعط عنه اللثام إلى الآن .

وإن كان قد نبغ من الأسرة شخصية كبيرة في الأندلس هي شخصية

---

(١) راجع ١٥٧ و ١٥٨ جـ ١٠ ابن الأثير

ابن خفاجة الأندلسي شاعر الطبيعة والوصف فى الأدب العربى والمتوفى عام ٥٣٣ هـ .

ومن المصادر الهامة للبحث فى هذه الناحية كتاب بغية الطلب فى تاريخ حلب تأليف العلامة المؤرخ كمال الدين أبى حفص عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة العقيلى الحنفى المعروف بابن العديم الحلبى المولود سنة ٥٨٦ هـ ، والمتوفى عام ٦٦٠ هـ(١) ويوجد بدار الكتب الملكية المصرية منه نسخة مخطوطة وسيتسنى لنا فى المستقبل القريب إن شاء الله دراسته والإفادة بما فيه من معلومات تاريخية هامة عن الأسرة فى ماسنكتبه عنها فى الجزء الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله .

٢ — وأما التاريخ السياسى للأسرة فى هذا القرن فنجمله فيما يلى :

أولا : فى عام ٥٥٦ هـ اجتمعت بنو خفاجة إلى الحلة والكوفة وطالبوا باقطاعهم أرضا واسعة تكفى لحاجتهم من الطعام فنعهم أمير الحاج أرغش وكان بيده إقطاعية الكوفة ووافقه الأمير قيصر حاكم الحلة فخرجت بنو خفاجة لتأخذ حقوقها بالقوة ونهبوا سواد الكوفة والحلة فحاربهم قيصر وأرغش فانهزمت خفاجة من بين أيديهم وتبعهم العسكر إلى رحبة الشام فأرسل بنو خفاجة يطلبون الصلح فلم يجابوا إلى طلبهم وكان قد اجتمع مع بنى خفاجة كثير من العرب فتصافوا واقتتلوا فانهزم العسكر العباسى وقتل كثير ومنهم قيصر وجرح أرغش جراحات بالغة وكثر النواح والبكاء على القتلى فى بغداد فجهز الوزير جيشا كبيرا وخرج فى طلب خفاجة فرحلوا إلى البادية ثم طلبوا الصلح فتم ذلك (٢) .

---

(١) ٢٧ ج ٨ فهرس الدار الكتب الملكية
(٢) راجع : ١١٢ ج ١١ ابن الأثير ، ٥٢٣ ج ٣ ابن خلدون

الأمير الغضبان الخفاجى

٥٦٠ — ٥٦٨ ﻫ

ثانيا : فى سنة ٥٦٨ ﻫ أغار بنو حزن من خفاجة على سواد العراق .

« وسبب ذلك أن الحماية كانت لهم بسواد العراق فلما تسلم يزدن « الحلة » أخذها منهم وجعلها لبنى كعب بن خفاجة فأغار بنو حزن الخفاجيون على السواد فسار يزدن فى عسكر ومعه الغضبان الخفاجى ـ أمير بنى كعب ـ الخفاجيين ـ لقتال بنى حزن الخفاجيين ، ولكن بعض الجند قتل الغضبان ولما قتل عاد العسكر إلى بغداد وأعيدت خفارة السواد إلى بنى حزن الخفاجيين(١) .

* * *

ثالثا : فى سنة ٥٣٦ ﻫ غزا بنو خفاجة بلاد العراق وأفسدوا فيها فسير السلطان مسعود جيشا إليهم فنهبوا بلدهم وقتلوا من ظفروا به منهم (٢) .

رابعا : فى سنة ٥٨٨ ﻫ نهبت بنو عامر البصرة ثم فارقوها لما بلغهم أن بنى خفاجة وبنى المنتفق قد جاءوا لقتالهم وساروا إليهم وقاتلوهم فظفرت عامر وغنمت أموال بنى خفاجة وبنى المنتفق(٣) .

خامسا : رحل ابن جبير الأندلسى فى آخر القرن السادس الهجرى إلى بلاد المشرق وزار الكوفة وكتب عنها مايلى مما ننقله باختصار :

الكوفة مدينة كبيرة استولى الخراب على أكثرها ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها فهى لاتزال تضر بها وبناء هذه المدينة بالآجر خاصة

---

(١) ١٦٠ ج ١١ ابن الأثير
(٢) ٣٧ ج ١١ ابن الأثير
(٣) ٣٤ ج ١٢ ابن الأثير

ولا سور لها ، ثم أفاض ابن جبير فى وصف مسجد الكوفة وأنه ليس فى الأرض مسجد أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفا (١) .

ثم ذكر ابن جبير رحلته من بغداد إلى الموصل فى صحبة خاتون بنت مسعود وخاتون أم معز الدين صاحب الموصل وكان فى هذه القافلة بصحبتها حجاج الشام والموصل وبلاد فارس إلى أن قال : ولهما جنود برسمهما وقد زادهما الخليفة جندا يشيعونهما مخافة العرب الخفاجيين بمدينة بغداد (٢) .

فابن جبير يذكر عدة أمور :

١ — أن حروب بنى خفاجة الكثيرة المتعددة قد أثرت فى الكوفة وسرعة خرابها .

٢ — أن فى بغداد فرعا عظيما من الخفاجيين كان موجودا بها فى القرن السادس الهجرى .

وهذا هو كل ماتركه لنا التاريخ من أخبار بنى خفاجة فى القرن السادس الهجرى ، ولا شك أن كثيرا من تاريخ الأسرة مايزال مدفونا فى ثنايا المصادر التاريخية والأدبية المختلفة التى لم نطلع عليها إلى الآن ، وسنميط اللثام عن كثير من جوانب هذا التاريخ فى الجزء الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله .

وإذا ماعلمنا أن الخليفة وجيوشه قد أجلت بنى أسد أهل « الحلة المزيدية » من العراق وشتت شملهم فى البلاد سنة ٥٥٨ وقد اشترك فى إجلائهم ابن معروف أمير بنى المنتفق وكان بأرض البصرة فسكن بلادهم وورثها بعدهم ، وأن جيوش الخليفة قد أجلت أيضا بنى معروف من البطائح عام ٦١٦ ﻫ ونكبوهم نكبة هائلة محت كيانهم التاريخى .

(١) راجع ٢١١ - ٢١٣ من رحلة ابن جبير الأندلسى طبع ليدن سنة ١٩٠٧
(٢) راجع ٢٤٠ من رحلة ابن جبير الأندلسى طبع ليدن سنة ١٩٠٧

إذا ماعلمنا ذلك ورأينا بنى خفاجة تعيش فى القرن السادس فى نفوذها القديم وسلطانها ، مع النكبات الحربية الجسيمة التى منيت بها أدركنا مدى مجد بنى خفاجة فى هذا العصر ومدى عظمتهم التاريخية الحافلة الخالدة .

بنو خفاجة فى القرنين السابع
والثامن الهجرى فى العراق

أما التاريخ السياسى والأدبى للأسرة فى القرن السابع الهجرى فلا يزال فى حاجة إلى جهود كبيرة لكشفه كشفا تاريخيا جديداً .

وأما تاريخ الأسرة فى القرن الثامن الهجرى فلم يصلنا عنه شىء اللهم إلا مانراه فى رحلة ابن بطوطة .

وصف ابن بطوطة الكوفة فى هذا القرن فقال :

هى إحدى أمهات البلاد العراقية المتميزة فيها أفضل المزية مثوى الصحابة والتابعين ومنزل العلماء والصالحين وعاصمة على بن أبى طالب . ألا إن الخراب قد استولى عليها ، وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها فإنهم يقطعون طريقها . ولا سور لها وبناؤها بالآجر وأسواقها حسان ، ثم وصف مسجدها وقال : وهناك فضاء متصل بالجدار القبلى من المسجد فى آخره دار على بن أبى طالب والبيت الذى غسل فيه ، ومن الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد إليه فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبى طالب ، وبمقربة منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة بنتى الحسين (توفيا عام ١١٧ هـ) ، وأما قصر الأمارة بالكوفة الذى بناه سعد بن أبى وقاص فلم يبق منه إلا أساسه ، والفرات من الكوفة مسافة نصف فرسخ من الجانب الشرقى منها (١) .

---

(١) ١٣١ رحلة ابن بطوطة طبعة سنة ١٢٨٧ هـ الطبعة الأولى

وقال ابن بطوطة فى موضع آخر : وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد ولا سبيل للسفر فى تلك الأقطار إلا فى صحبتهم وكان أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجى (١) .

فهذا الرحالة الأندلسى يثبت لنا :

أولا : مجد الأسرة ونفوذها وسطوتها وبأسها فى العراق فى هذا العهد .

ثانيا : أن الحروب التاريخية العظيمة التى كانت تقوم بها الأسرة أدت إلى قطع طريق الكوفه وخرابها .

ثالثا : أن أمير القافلة التى كان فيها الرحالة الأندلسى هو « شامر بن دراج الخفاجى » ، وهذه هى الشخصية الوحيدة التى وصلنا اسمها فى هذا القرن .

وبعد فإن هذا المجد التاريخى العظيم مالا يستطيع أن يكشف عنه نقاب التاريخ ولا أن يدونه وتحيط به جهود فرد واحد وهو فى حاجة إلى جهود جبارة جديدة للكشف عن آثاره المدفونة المجهولة .

بنو خفاجة فى العراق

فى العصر الحديث

وقد سبق أن ذكرنا كلمة كتبها الأستاذ عبد المجيد أحمد الخفاجى من أدباء كاظمية بغداد ووجهائها وساداتها عن الحالة الاجتماعية لبنى خفاجة فى العراق

---

(١) ص ١٠٨ من الرحلة

وأن عددهم يزيد فيها الآن عن ثلاثين ألف نفس ومنهم القضاة والمحامون والأطباء وكبار الموظفين ، وعميدهم الأكبر زعيم العشيرة الخفاجية هناك عضو بمجلس النواب العراق وهو يمثل عشيرته فيه وهو الشيخ صكبان العلى الخفاجى ، وجميع عشائر خفاجة بالعراق رئيسها الحالى الشيخ صكبان العلى . وتنقسم إلى ستة عشر فرعا ، ويقطن كل فرع فى خمس أوست قرى ، ولكل قرية عمدة ، ويرأس كل فرع رئيس ، وهذه الفروع هى :

١ —	فرع العبد السيد	ورئيسه	منشد العلى
٢ —	« العويد	«	الحاج موسى المطر
٣ —	« العليوى	«	فرهود آل شيحان
٤ —	« الزيادات	«	كاظم الفهد
٥ —	« الطلاحية	«	الحاج مطشر الشطب
٦ —	« البوشاب	«	سعود الطلب
٧ —	« الشمخى	«	عطشان النعيمه
٨ —	« بنى رحاب	«	إبراهيم الشاتى
٩ —	« الطونيات	«	دياب الحاج عيسى
١٠ —	« السعيد	«	شمش الطمه
١١ —	« الجام	«	تجيل الفيصل
١٢ —	« العصيدة	«	شباع الدهام
١٣ —	« المشاخير	«	تامر الرامى
١٤ —	« بنى الدجه	«	سليمان الشمخى
١٥ —	« الساعة	«	خضر المحسن
١٦ —	« الروائح	«	عجمى السلمان

والمركز الرئيسى لعشائر خفاجة فى العراق هو الشطرة بنواحى الكوفة ولهم فروع أخرى فى ناحية الحلة .

وعند زيارة الشيخ فيصل للعراق شاهد آثار الخفاجيين فى العراق وأهمها قصر «الأخيضر» والخفاجيون فى العراق يسكنون فى قضاء شطرة التابع للواء الناصرية إلى الشمال من بغداد بمسافة ٣٠٠ كم ويقيمون فى ٨٥ قرية . عدا ١٢ قرية فى لواء الموصل. ويرأس جميع خفاجى العراق الشيخ (صكبان العلى) وكان الشيخ صكبان نائباً فى برعان العراق عدة مرات . ويبلغ من العمر ٧٥ سنة . وخفاجيو العراق من السنة والشيعة . أما خفاجيوا لاقيمة السورى مستويون .

وقد حدثنى الأديب الشاعر العراقى الأستاذ إبراهيم الوائلى عن بنى خفاجة فى العصور الحديثة ، فقال :

« إن لبنى خفاجة وأمرائهم ورؤسائهم أثرا كبيرا فى تاريخ العراق فى العصور الحديثة . ولهم مع الأتراك العثمانيين حروب كثيرة . وفى كتاب عشائر العراق للأستاذ عباس العزاوى المحامى العراقى تصوير موجز لمكانتهم وحروبهم فى العراق فى العصر الحديث . وفى زاد المسافر للكعبى أيضا حديث عنهم . وزعيم الخفاجيين الآن الأمير الشيخ صكبان العلى الخفاجى، ولقب صكبان يشيع فى العراق ، ومدينته هى الشطرة ، وأكثر الخفاجيين فى العراق ينزلون الآن بين الشطرة والناصرية ، والشطرة على بعد نحو ٢٠٠ كيلو من الكوفة : ومن الخفاجيين فى العراق أدباء كثيرون ، منهم الشاعر المشهور الأستاذ عبد الهادى محى الخفاجى «وهو عضو بجمعية الرابطة الأدبية بالنجف بالعراق» هـذا هو مجمل حديث الأستاذ الوائلى ، وهو يكشف لنا عن عدة حقائق تاريخية مهمة ، منها أن بنى خفاجة بعد القرن السابع الهجرى ظلوا قوة كبيرة فى العراق مرهوبة الجانب عزيزة الشأن كبيرة النفوذ والسلطان ، وأنهم استمروا يحافظون على استقلالهم الداخلى

ويمنعون الحكام الأتراك من التدخل فى شئونهم ، ويحاربونهم بقوة السلاح على نمط حروبهم مع الخلفاء العباسيين .

وفى كتاب « لقطة العجلان » لمحمد صديق خان صفحة ١١٣ طبعة الجوائب عام ١٢٩٦ يقول : وخفاجة مازالت لها إمرة العراق من قديم وإلى الآن .

وفى كتاب « جغرافية العراق » تأليف الأستاذ هاشم السعدى العراقى أحاديث مفرقة عن قبيلة خفاجة فى العراق .

فى صفحة ١٠٣ من الكتاب تحدث المؤلف عن إقليم المنتفق وذكر من عشائره عدة قبائل منها « خفاجة » وهذه القبائل كلها هى المعروفة سابقا الأجواد . .

وفى صفحة ١٠٦ من الكتاب يذكر أن من أهم فروع الأجواد قبيلة خفاجة فى قضائى الشطرة والناصرة .

وفى صفحة ١٦٥ من الكتاب يذكر أيضاً خفاجة — من بين القبائل القاطنة — فى هذا الإقليم .

وفى صفحة ١٦٧ يتحدث عن قضائى (مركز) الشطرة ، ومركزه قرية الشطرة الواقعة على نهير الشطرة بالقرب من صدره على شط الغراف ويبلغ سكانها نحو سبعة آلاف نسمة ، ومن القبائل التى تقطن أراضى نهر الشطر : « خفاجة » .

وقد اطلعت على الجزء الأول من كتاب « عشائر العراق » لمؤلفه الأستاذ عباس عزاوى المحامى المطبوع فى بغداد عام ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٧ م فلم أجده قد عنى باستقصاء تاريخ القبائل العربية الكبيرة فى العراق ، وإنما عنى بتاريخ قبيلته التى ينتمى إليها وما يتصل بها من القبائل ، وكان صديق المرحوم الأستاذ رفائيل بطى المستشار الصحفى بالمفوضية العراقية سابقا

قد أعارنى هذا الجزء ولم أجد الجزء الثانى فى مكتبة المفوضية العراقية .

وراجع طرائف من تاريخ الخفاجيين فى العراق فى كتاب « الحقائق الناصعة لآل فرعون وهو فى مكتبتى .

وفى كتابى من تاريخنا المعاصر أخبار عن تاريخ خفاجة فى العراق فى العصر الحديث .

ومن فروع الخفاجيين فى العراق بنومطر بالنجف ، وهم أصلهم من بنى خفاجة ، وهاجروا إلى النجف ونسبوا إلى اسم جدهم الذى هاجر بأسرته من إقليم الكوفة إلى النجف . ومن بنى مطر أعلام كثيرون وعلماء أفاضل منهم الشيخ عبد الحسين مطر العالم الكبير المشهور الذى أسقط الوزارة العراقية عام ١٩٣٦ ونفى من بلاده ومات مشلولا . وابنه وخليفته الآن هو فضيلة الشيخ عبد المهدى مطر بالنجف ، ومن أفاضل هذه الأسرة الخفاجية الشيخ محمد جواد مطر أخو سماحة فضيلة الشيخ المرحوم عبد الحسين مطر ، وله ابن هو الأستاذ عبد الغنى مطر المحامى ببغداد .

ومن الخفاجيين فى العراق آل الحاج عجيل فى العراق والبوكمال ويرأسهم صبرى الحاج عجيل الخفاجى .

وفرع الخفاجيين فى الحلة فى العراق فرع كبير مشهور يعادل فرع نواحى الكوفة قوة ونفوذا وسلطانا .

ومن الخفاجيين فى العراق : الأستاذ مجيد أحمد الخفاجى ، والأستاذ خليل مطر الخفاجى ، والشاعر الأستاذ هادى الخفاجى ، والأستاذ كريم مبارك العلى الخفاجى ، واللواء عباس موسى خفاجى ، وعلوان يسن الخفاجى .

عشيرة خفاجة فى العراق(١)

تنقسم العشائر العراقية التى تسكن الأرياف إلى قسمين (معدان) و (عرب) ، يختلف الواحد عن الآخر باللهجة والنطق ، فالمعدان ينطقون الجيم الموحدة بالجيم المثلثة فاسم جابر عندهم جابر بالجيم السورية وأما العرب فيبدلونها ياء فيقولون يابر ، وكذلك اختلافهم فى اللهجة . وعشيرة خفاجة من القسم الثانى كما أن القسمين يختلفان فى زرعهم وضرعهم ، فالمعدان يزرعون الرز ويرعون الجاموس والبقر والعرب يزرعون الحنطة والشعير ويرعون الأغنام .

تقطن عشيرة خفاجة فى ثلاث مواقع مهمة فى العراق :

الأول وهو أهم المواقع وأكثرها عددا ولعله الأصل فى تفرع الموقعين الآخرين منه ، هم خفاجة الذين يقطنون فى لواء المنتفك (المنتفق) بين بلدة الناصرية وبلدة الشطرة .

والثانى وهو يقع فى الدرجة الثانية عددا وكثرة وهم خفاجة الذين يقطنون فى لواء الحلة ،ولعل فى التاريخ مايدل على أن هؤلاء هم الأصل ومنهم تفرعت الفروع الأخر .

والثالث وهو يقع فى الدرجة الثالثة فى العدد والكثرة وهم خفاجة (غرب الدغافيل) الذين يسكنون بالقرب من بلدة (الشنافية) التابعة للواء (الديوانية) وهناك أشتات متفرقة من خفاجة يسكن بعضها بضواحى بغداد وبعضها فى نواحى البصرة فى (السبخاية) وفى أمكنة أخرى ، لكن المهم منها هو الفروع الثلاثة المتقدمة .

---

(١) من قلم الإمام الشيخ عبد المهدى مطر الخفاجى ـ العراق ـ من رسالة بعث بها إلى المؤلف .

أما أنا فالصالى إنما هو بالقسم الأول منهم وهم خفاجة (المنتفك) وهذه العشيرة تأتي إلى (أفخاذ) أسلاف : بعضها عريقة فى الخفاجية وبعضها لصيقة وكل سلف من هذه الأسلاف ينشعب إلى عدة طوائف وأكبر أسلافهم (آل علوى) ثم آل سعيد ثم الطلاحية ثم آل سالم وآل عصيدة والمشاخيل وآلعبد السيد . ومنهم الرئيس العمومى الشيخ صكبان آل عويد. الطوينات، وآل شمخي . وآلبو شهاب وكنانة جنانة و لمرادنه ، وهناك سلفان كبيران ملحقان بعشيرة خفاجة وتابعان لها فى الراية والحروب من قديم ، وهما : عبودة العرب وبنو ركاب الشرقيين والغربيين .

والأول يتشعب فى عشيرة عبودة المعدان المحاددة إلى عشيرة خفاجة من الشمال الغربى ، والثانى يتشعب من عشيرة بنى ركاب المحاددة إلى عشيرة عبودة المعدان من الغرب .

فهذه هى أسلاف عشيرة خفاجة المنتفك وهم أهل منعة وأهل سخاء وكرم يمتازون به عن العشائر المجاورة لهم . أما منعتهم فقد كان زعيم المنتفك (سعدون باشا) آلمنصور أبو أعجمى باشا أكثر مايعتمد عليهم فى غزوه على آل رشيد أمراء حايل وعلى آل سعود أمراء الرياض وعلى آل الياور أمراء عشاير شمر وعلى تأديب العشاير العراقيين المجاورة له .

وحدث فى آخر العهد التركى أن سخطت الحكومة التركية على زعيم عشيرة عبودة المجاورة لعشيرة خفاجة (خيون العبيد) الذى لايزال فى قيد الحياة وسخطت عليه كذلك أكثر أسلاف عشيرته عبودة فانهزم داخلا ولاجئاً عند رئيس عشيرة خفاجة (على آل فضل) والد الشيخ صكبان فاجلبت عليه الحكومة التركية جميع العشائر المجاورة إلى عشيرة خفاجة وهى عشائر كثيرة كل واحدة منها تعادل عشيرة خفاجة كثرة وعددا وطلبوا من خفاجة تسليم الحاج خيون إلى الحكومة أومبادرتهم بالحرب فامتنعت خفاجة

من دفعه وصممت على الدفاع عن نفسها فهوجمت من قبل هذه العشائر ، غير المتناهية العدد، ومعهم الجنود والمدافع والرشاشات وكان يقودهذه الحملة الزعيم (يوسف آل خير الله) رئيس عموم عشاير الشويلات وآل حميد ، فما مرت ثلاث ساعات على هذه المعركة الكبرى حتى انهزمت هذه العشائر الكثيرة وعساكرها شر هزيمة، وجاءت عشيرة خفاجة بمسلوباتهم الكثيرة واحتلوا بلدة الشطرة وركزوا فيها خيلهم (خيولهم العبيد) ، وغنت في هذه الواقعة الأغاني الشعبية في العراق عامة (كالوخفـــاجه تملكو ، وصلو سويلم واحركو) وبقيت هذه الأغنية مدة من الزمن يغنى بها في المسارح والملاعب والمقاهي والشوارع .

تسود على هذه العشيرة الأمية كأكثر عشائر العراق الجنوبية لعدم عناية الحكومة بتهذيبهم والشيخ صكبان بالرغم من كونه يشغل النيابة في مجلس النواب منذ تكوين وتأسيس المجلس النيابي إلى اليوم إلا أنه أمي لايقرأ ولا يكتب .

إن عشيرة خفاجة تمون كثيرا من البيوت الروحانية وشبه الروحانيين في النجف ، فكل سلف من أسلافها يرتبط بها معمم ممن يسكنون بلدة النجف لطلب العلم الديني فتجعل له الطائفة على نفسها من عادات وزكوات مايمونه وعائلته طول سنته ،أما أنا فلا أرتبط إلا بطائفتي (آل طربوش) وهي طائفة من سلف (آل اعلوى) في أوسطهم وكان لرئيسهم المتوفى قبل ستين عاما الرياسة العمومية على عشيرة خفاجة وهو (مزعل آل طربوش) ثم انتقلت من بعده وتنازعها اثنان (محمد آل شيجان) رئيس طائفة آل شيجان من آل اعلوى (وعلي الفضل) رئيس عشيرة آل عبد السيد أبو الشيخ صكبان ومات (محمد آل شيجان) بنتيجة مبارزة بينه وبين أسد وحشي ومصارعة أدت إلى قتل الأسد وإصابة محمد برضوض وخدوش مات منها فانتهت

الرياسة العامة إلى على الفضل ومنه إلى ولده الشيخ سكبان .

وكان يرتبط بطائفة على الفضل من الروحانيين المرحوم (الشيخ جواد الشبيبي) والد معالى الشيخ رضا الشبيبي وزير المعارف السابق ورئيس مجلس الأعيان الأسبق... أما بيتنا آل مطرفانما يتصل بخصوص طائفة آل طربوش الذين نحن منهم ، وطائفة أخرى من سلف آل شمخى فلم أعرف رجال ومشاهير الأسلاف الأخر إلا نادرا ولم يعرفنى منهم إلا النادر ، وهذا من تقصير هذه العشيرة الواسعة الأطراف .. إنها تهتم بشئون وإعاشة كثير من المعممين الذين ليس لهم مكانتنا ولا شهرتنا العلمية والأدبية ولم ترتبط بنا بشىء من الصلات .

وأما بقية المواقع الأخر من عشيرة خفاجة أى من يقطن منهم بنواحى الحلة وبغرب الدغافيل فلا أعرف منهم إلا الاسم لا أسلافهم ولا رؤساءهم .

لقد كثرت عشيرة خفاجة وانتشرت فى الأرض حتى ضرب فيهم المثل بين الناس فى التفرق والهجرة وقد اشتهروا فى العزة واكرام الضيوف حتى ضرب فيهم المثل (خطار خفاجة أقوى من معازيبه) والخطار هو الضيف والمعزب صاحب المحل .

لقد حدث قبل أعوام أن أحد المعممين فى النجف وليس من أهل العلم ولا الثقافة فتح له سجلا لتدوين أسماء البيوت التى تسكن بلدة النجف من عشيرة خفاجة ، ولا يعرف بعضهم بعضا فتجاوز سجله عن الثلاثمائة بيت منهم أهل الثروة ومنهم الرؤساء وأكثرهم من الكسبة والعمال والضعفاء ، ولقد حدثنى شيخ من شيبتهم الذين كانوا يترددون فى السفر إلى بلاد إيران لزيارة الإمام الرضا المدفون فى خراسان ، حدثنى أنه وجد كثيرا من عشيرة خفاجة يقطنون فى الأراضى الإيرانية وأنهم أكرموه لما علموا أنه خفاجى وكان هذا الشيخ المرحوم (الحاج نهار) من عشيرة الشيخ سكبان

وكان يقول : إن عشيرة خفاجة فى إيران يمتازون بسخاء وكرم لا مثيل له ولكننى ما كنت يومئذ أعنى بمثل هذه القضايا فلم أسأله أين موقعهم ومن هم رؤساؤهم .. ولعل فى كتاب (بنو خفاجه) ما يوضح هذه الجهد إيضاحاً كاملا .

بنو خفاجة فى الشام

١ — يقول ابن خلدون فيلسوف التاريخ : كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة وكلهم من عامر بن صعصعة قد انتشروا مابين الجزيرة الفراتية والشام ؛ واستفحل أمرهم عند فشل دولة بنى حمدان وصاروا إلى ملك البلاد(١) .

ونحن لانعلم شيئا عن ظروف إقامتهم بالشام ، وما أحاط بهم فيها من أحداث تاريخية ، ولكنه قد وصلنا الكثير عن الأمير عبد الله بن سنان الخفاجى الإمام الأديب الناقد المشهور مؤلف كتاب سر الفصاحة .

والأمير ابن سنان من بنى حزن الخفاجيين ، وكان بين بنى حزن وأبناء أعمامهم بنى كعب الخفاجيين خلافات شديدة فى العراق كما علمنا من قبل ، كما كان بينهم وبين أبناء أعمامهم من بنى عقيل وبنى كلاب كثير من الخصومات ، ولعل ذلك كان السبب فى هجرتهم من نجد أو أرض العراق إلى الشام فى القرن الثالث الهجرى (٢٠١ — ٣٠٠ ﻫ) ، ولما قامت دولة بنى حمدان بحلب كان بنو خفاجة خاضعين لحكمها فلما ضعف الحمدانيون زاد نفوذ بنى خفاجة وحكموا البلاد كما يقول ابن خلدون .

ومن كلام ابن خلدون ومن دراستنا لحياة الأمير ابن سنان نعلم أن إقامة الأسرة كان بحلب من بلاد الشام . وكانوا على أى حال أبناء أعمام للأسر الحاكمة فى الكوفة والموصل والحلة وحلب والشام .

(١) ٢٥٥ ج ٤ تاريخ ابن خلدون .

الأمير ابن سنان الخفاجي (١)

حياته - ثقافته - آثاره العلمية - أدبه

تمهيد :

ابن سنان هو الأمير العالم الشاعر الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحي بن الحسين بن محمود بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجي .

وكتب على ديوانه عنه: الشاعر المفلق الشهير ، والكاتب النحرير ، والخطيب

---

(١) راجع ترجمته فى فوات الوفيات ٢٢٢ - ٢٣٥ ج ١ ، وقد نقلت فى مقدمة ديوانه المطبوع بالمطبعة الأنسية ببيروت عام ١٣١٦ هـ (ص ٢ و ٣ من الديوان) ، ونقلها أيضا مؤلف « أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء ص ٢٠١ - ٢٠٤ ج ٤ .

وقد ترجم له كثير من علماء الأدب كجورجى زيدان وسواه ، وورد ذكره فى معجم البلدان عند الكلام على حلب ، كما ورد استطرادا فى معجم الأدباء ؛ وفى ص ٣٤٥ من حلبة الكميت للنواجي شعر له .

وقد ترجم الأستاذ كامل الفقى لابن سنان وحلل كتابه سر الفصاحة فى عدة مقالات نشرت بمجلة الأزهر عام ١٣٦١ - ١٣٦٢ هـ

وخلاصة بحث الأستاذ كامل الفقى هى :

١ - حياة ابن سنان كما ذكره صاحب فوات الوفيات ، ومؤلفاته

٢ - تحليل لكتاب سر الفصاحة وتعليق على نهج المؤلف فيه .

٣ - ذوق ابن سنان الفنى ، وتوفيته لما يعرض له من بحوث وفطنته وتواضعه وبعده عن الفخر والزهو ، وأمانته العلمية ، ومن تأثر بهم ابن سنان من المتقدمين كالرمانى وقدامة والمبرد ، وشيخ ابن سنان المعرى ، وتأثر ابن الأثير بابن سنان ، وتأثر الخطيب القزوينى به ، وإثبات أن ابن سنان من المتكلمين .

وراجع ما كتبه سامى الدهان عن ابن سنان فى كتابه « قدماء ومعاصرون ص ٦٧ - ٨٣ » .

وقد كان ابن سنان وكتابه « سر الفصاحة » موضوع الرسالة الدكتوراه المقدمة إلى كلية اللغة العربية من الأستاذ عبد الحميد . . . .

المصقع ، البليغ ، الأمير أبى محمد عبد الله بن سعيد بن محمد(١) المشهور بابن سنان الخفاجى الحلبى المتوفى عام ٤٦٦ هـ .

فإذا ما أردنا أن نعرف شيئا عن ابن سنان ، فإننا لا نظفر من كتب الأدب والتاريخ إلا بشيء يسير جدا من حياته ، وهو أنه ولى قلعة عزاز للسلطان محمود ، فشق عصا الطاعة عليه ، واستقل بها ، فاحتال السلطان حتى قتله مسموما سنة ٤٦٦ هـ .

وإذا ما رجعنا إلى ديوان الشاعر ، وجدنا فيه ما يسد هذا النقص الكبير فى معارفنا عن ابن سنان وحياته وشخصيته ، مما نستطيع أن نلخصه لك فيما يلى :

أسرة ابن سنان :

ابن سنان من بنى خفاجة ، من سلالة بنى حزن الخفاجيين أولاد خفاجة ابن عمرو بن عقيل ، يقول ابن سنان :

وبالشهباء من حزن بن عمرو بيوت ما رفعن على لئيم(٢)

وحلب كانت موطن فرع كبير ضخم من بنى خفاجة العقيليين العامريين ، ولا ندرى متى استقروا فى حلب ، ولعل ذلك قد كان من أول القرن الثالث الهجرى أو قبله بقليل وكان بنو حزن يقيمون فى العراق والجزيرة الفراتية ولعلهم رحلوا منها واستقروا فى حلب وهى قريبة جدا من هذه البلاد .

ويقول ابن سنان أيضا :

يقول بنو حزن طلبنا لك العلا فلم أخذت كفاك فى طلب الفقر(٣)

ويقول فى الحديث عن رجل :

وأشعث حيينا به غرة الضحى وقد نشط التهويم عن غرة الركب

(١) هذا خطأ فى ذكر النسبة من ناشر الديوان (راجع ص ١ من الديوان)

(٢) ص ١٠١ من الديوان ، والشهباء هى حلب ، وحزن بن عمرو : هم أجداده الخفاجيون

(٣) ص ٢٧ الديوان .

دعا آل حزن والرماح تنوشه　　فياقرب ما لبيت بالطعن والضرب(١)

ويقول(٢) :

وهل علمت بنو حزن بن عمرو　　إباى على مثاورة الخطوب

وإذا فأسرة ابن سنان هى من بنى حزن أحد الفروع الكبيرة لقبيلة خفاجة العقيلية العامرية المشهورة ، وهى قبيلة كبيرة لها تاريخها الحافل فى الحياة العربية قبل الإسلام وبعده(٣) . وموطنها حلب الشهباء عاصمة الحمدانيين ومقر العقيليين والخفاجيين ، وإحدى ثغور الإسلام وموطن من مواطن العروبة والثقافة الإسلامية ، وتاريخها حافل بالكثير من أعلام الدين واللغة والأدب والسياسة مما نجده مسطورا فى كتب الأدب والتاريخ .

وجد مؤلفنا العالم الأديب الشاعر هو سنان الخفاجى العقيلى العامرى ، الذى كان مجده فى قومه مما تغنى به شاعرنا الأمير ابن سنان فى شعره .

ووالدته من أسرة مبارك التميمى أعز العرب من بنى تميم ، وفى ذلك يقول ابن سنان يهدد أحد خصومه :

مهلا فإنك ما تعد « مباركا »　　خالا ولا تحصى سنانا والدا

بيت له النسب الجلى وغيره　　دعوى تريد أدلة وشواهدا

ويقول له :

ضلالك ما نسبت إلى « سنان »　　ولا ضربت خؤولك فى تميم

ويقول فى مجد جده سنان والربيع وأنه يعيش على الثروة التى خلفها له أجداده :

---

(١) ص ١٢ من الديوان　　(٢) ص ١٠ الديوان

(٤) راجع كتاب « بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى » الجزء الأول ، — نشر المطبعة الفاروقية الحديثة عام ١٩٥٠ .

ميراث قومى كفانى بعد عهدهم   فتوى الظنون بإحرام وإحلال
سقى الربيع ربيع جاد هاطله   بكل أسحم ضافى الذيل هطال
وخص رمس سنان من مواهبه   ببارد كسلاف الخمر سلسال
فقد أعانا على زهد بميسرة   وأغنيانى عن شد وترحال

أما محمد والد ابن سنان فلا نعلم عنه شيئا إلا فى قصيدة ذكر الديوان أنه نظمها فى صباه . ويقول فيها :

أنا ابن من لم يدع ذخرا لوارثه   إلا الجياد وسمرا ذات زعزع

وابن سنان فى هذه القصيدة يعاقب قومه بنى خفاجة لإهمالهم أمره بعد موت والده (١) . . وإذا فنستطيع أن نقول إن والده توفى وابنه طفل صغير أو بعد أن جاوز عهد الطفولة بقليل . . ولا ينبئنا التاريخ بشىء عن رجال بنى خفاجة فى حلب اللهم إلا ما نراه فى الديوان من هـــذه الأبيات التى كتبها إلى « ابن عمه القاضى أبى الحسن على بن عبد المنعم ابن سنان الخفاجى (٢) » .

وإذا فخلاصة ما نقوله فى أسرة ابن سنان أنها أسر كبيرة من فروع بنى حزن الخفاجيين أقامت بحلب ، وكان منها شاعرنا الأمير ابن سنان الخفاجى .

ميلاده :

ولا نعلم كذلك شيئا عن ميلاد ابن سنان ولكننا نجد فى ديوانه قصيدة (٣) لها نظمها عام ٤٤٣ هـ كما يقول الديوان وفيها هذه الأبيات :

---

(١) راجع القصيدة فى ص ٦٣ من الديوان .
(٢) راجع الأبيات فى ص ١١ من الديوان .
(٣) راجعها فى ص ٥ و ٦ من ديوانه .

إذا عامر فرعت فى العلا ولم يبق من فوقها مرتقى
علقت بأطراف ذاك النجار وجلت بعادية ذاك البنا
وقورا إذا طرقتنى الخطوب وحل من الخوف عقد النهى
بعشرين أنفقتها فى الصدود وجدت بها فى زمان النوى

يقول: أضعت من عمرى عشرين عاما وأنا أقارع فيها الخطوب المدلهمة وأثر فراق الآباء فى جلد وصبر ووقار .

فقد كان عمره عام ٤٤٣ هـ عشرين عاما فيكون ميلاده نحو عام ٤٢٣ هـ (١) .. ويؤيد ذلك هذه الرسالة التى كتبها ابن بطلان إلى صديق له عام ٤٤٠ هـ تقريبا يصف له فيها حلب ، ويقول « إن فيها شابا حدثا يعرف بأبى محمد بن سنان الخفاجى قد ناهز العشرين وعلا فى الشعر طبقة المحنكين ، وقد رواها معجم البلدان فى الكلام على حلب ونقلها عنه مؤلف اعلام النبلاء(٢) .

نشأته :

توفى أبوه محمد وهو طفل صغير كما سبق أن ذكرناه. وقد نشأ الأمير نشأة علمية وأدبية كبيرة وكان من تلامذة أبى العلاء المعرى(٣) الفيلسوف الشاعر م ٤٤٩ هـ، ويذكره الأمير كثيرا فى كتابه سر الفصاحة فيقول عنه :وشيخنا

---

(١) ويؤيد ذلك أيضا قوله فى قصيدة كتبها للهاشمى الشريف محمد سنة ٤٤٠ هـ :

سبقت وما بلغت عشرا كواملا فكيف وقد جاوزتها بثمان

فيكون عمره عام ٤٤٠ ثمانية عشر عاما فيكون ميلاده عام ٤٢٢ هـ وهو قريب من التاريخ السابق .

(٢) ٣٣٣ جـ ١ أعلام النبلاء .

(٣) راجع ١٠٦ جـ ٤ أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء .

أبو العلاء (١)، ولعل ابن سنان قد تتلمذ عليه فى معرة النعمان وهى قريبة من حلب .

وقد أهلته هذه النشأة ليكون فيما بعد العالم الكبير والشاعر البليغ والمؤلف العظيم .

حياته :

عاش ابن سنان فى حلب فى ظلال دولة بنى صالح بن مرداس الكلابيين العامريين (٢) ومدح أمراءهم ورجال دولتهم بشعره وتوثقت صلاته بهم طول حياته إلى حد بعيد .

اتصل بالأمير أبى المغيث منقذ بن نصر بن منقذ(٣) ثم رثاه سنة ٤٣٩هـ وهو فى سن السابعة عشرة من عمره بقصيدة منها بيتان فى الديوان (٤) (راجع ٢٧ من الديوان) .

---

(١) راجع سر الفصاحة ص ٦٧ وسواها من الصفحات .

(٢) ملوك هذه الدولة هم :

صالح بن مرادس ٤٠٢ - ٤٢٠

نصر بن صالح ٤٢٠ - ٤٢٩

معز الدولة ثمال بن صالح ٤٣٤ - ٤٤٩

عطية بن صالح ٤٥٢

محمود بن صالح ٤٥٢ ثم من ٤٥٤ - ٤٦٨

نصر بن محمود ، وقتل فخلفه سابق بن محمود الذى أخذ منه شرف الدولة ملكه عام ٤٧٢ هـ ، وقد تخلل حكم بنى صالح لحلب فترات اخذها من أيديهم الفاطميون .

(٣) وهو جد أسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ) صاحب كتاب « الاعتبار » فى التاريخ ، وكتاب « لباب الآداب » .

(٤) يشير إليها أسامة فى لباب الآداب ص ٣٦٨

وفى عام ٤٤٠ هـ ، وابن سنان فى سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة كما أرجح اعتقل الشريف محمد الهاشمى فكتب إليه الأمير قصيدة طويلة (ص ١٠ - ١٠٨ من الديوان) يقول فيها :

سبقت وما بلغت عشرا كواملا   فكيف وقد جاوزتها بثمانى
ولى فى قراع النائبات عوازم   تريك بلوغ النجم بالزملان

إلى أن يقول :

أخا هاشم كم قدتها هاشمية   يغص بها من نقعها الملوان

وهذه القصيدة تدل على روح شيعية تميل إلى العلويين وهى تؤكد ماروى عن شيعيته مما ذكره صاحب فوات الوفيات .

واتصل أيضا بشرف أمراء العرب الأمير أبى سلامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابى من أمراء دولة حلب الكلابيين ومدحه عام ٤٤٣ هـ وهو فى سن العشرين أو الحادية والعشرين بقصيدته (١) التى مطلعها :

إذا حدت الريح عيس الحيا   وهتك بالبرق ستر الدجى

ويقول فيها فى هذا الأمير :

فتى وجد العز حيث الحسام   ومن دوحة المجد يجنى الردى
مدحتك أخطب منك الوداد   إذا حاول القوم منك الغنى
ولى فى نجاركم شعبة   وفى الأفق بدر الدجا والسها
علقت بأطراف ذاك النجار   وجلت بعادية ذاك البنا

والأمير الشاب يرسم لنا فى قصيدته هذه صورة لنفسه الطموح ، ولمجد قومه وأسرته بنى خفاجة العامريين أبناء أعمام أسرة حلب الحاكمة من بنى كلاب العامريين .

---

(١) تجدها فى ص ٥ و ٦ من الديوان .

وله قصيدة أخرى (١) له فى هذا العام أيضا عام ٤٤٣ هـ مطلعها :

يحاربنى فى كل نائبة دهرى ... كأن الرزايا تدرك الفخر فى قسرى
ومن دون دلى عصبة عامرية ... يلوون أعطاف المثقفة السمر

وله قصيدة ثالثة مدحه بها فى عيد النحر من العام (٢) نفسه .. وله فيه قصائد كثيرة أخرى سنشير إليها فى هذه الكلمة لنفهم روحه وشخصيته فى كل مرحلة من أطوار حياته الحافلة العظيمة .

وفى عام ٤٤٤ هـ ، وابن سنان فى سن الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين اتصل بمعز الدولة ثمال الكلابى ، ومدحه بقصيدته (٣) التى يقول فيها :

أرى إبلى شوارع من قنوعى ... موارد ما يبل بها غليل
ولم تعرف لمصعبها قيود ... ولم يملك لشاردها جديل
وآمالى مطوحة بطاء ... ينازع دونها قدر مطول
وما يسمو الزمان إلى قراعى ... وظل جنابكم أبدا ظليل

والقصيدة تدل على طموح الشاعر فى هذه الفترة من حياته رغبة فى المجد السياسى ونخار الولايات ، لا طمعا فى مال وثروة .

وفى عام ٤٤٦ هـ ، والشاعر فى سن الرابعة والعشرين من عمره توفيت والدته بعد عودتها من الحج لحزن عليها حزنا عميقا ، ورثاها بقصيدته (٤) التى مطلعها :

أبكيك لو نهضت بحقك أدمع ... وأقول لو أن النوائب تسمع

---

(١) نجدها فى ص ٣٧ وما بعدها من الديوان
(٢) نجدها فى الديوان ص ٨١ وما بعدها
(٣) نجدها فى الديوان ص ٦١ وما بعدها
(٤) نجدها فى الديوان ص ٣٩ وما بعدها

وهى قصيدة حافلة بالذكريات الحزينة التى مرت على الأمير ووجد أثرها فى نفسه وفى قومه .

وفى هذا العام اتصل بالأمير عز الدولة ثابت بن معز الدولة الكلابى، ومظهر هذه الصداقة قصيدته (١) التى يقول فى مطلعها :

أتظن الورق فى الأيك تغنى   إنما تضمر حزنا مثل حزنى

ويقول فيها : قد رضينا بإباء عن غنى   وبعز اليأس عن ذل التمنى

وله فى هذا الأمير قصيدة (٢) أخرى مدحه بها عام ٤٤٨ هـ ، وهو فى سن السادسة والعشرين .

وفى عام ٤٤٩هـ توفى أستاذه الفيلسوف أبو العلاء المعرى فحزن عليه حزنا عميقا وقصائده فى رثائه مفقودة وقصيدته الرائية (٣٥ من الديوان) التى رثى فيها جماعة من أهله وأصدقائه فيها حزن عميق على فيلسوف المعرة أبى العلاء . وفى هذا العام أيضا بلغت شهرته الأدبية إلى دولة بنى أسد فى الحلة فأرسل ظهير الدولة ابن عبد الرحيم وزير أبى الأغر الأسدى (ملك الحلة وضواحيها من عام ٤٠٨ إلى عام ٤٧٤ هـ) يسأله أن يرسل له قصائد من شعره فبعث ابن سنان الخفاجى إليه بعدة قصائد ومنها قصيدة (٣) فى الإشادة به ، يقول فيها ابن سنان :

قل للأمير أبى الأغر ودونه   للطالبين سباسب ومجهول
يثوى ابن عمك بالعراق وقومه   كالذود حن وخله معقول
ما صدهم عنك الجفاء وإنما   مالوا مع الأيام حيث تميل

---

(١) راجعها فى الديوان ص ١٠٤ وما بعدها
(٢) راجعها فى الديوان ص ٨٤ وما بعدها
(٣) راجعها فى الديوان ص ٧٩ وما بعدها

وابن سنان فى هذه القصيدة يريد أن يؤكد للوزير أن قلبه وقلوب قومه الخفاجيين مع ابن عمه الأسدى ملك الحلة .

فما الذى حال بين ابن سنان وبين الإخلاص لبنى أعمامه الكلابيين العامريين ملوك حلب الشهباء ؟

والجواب عن ذلك سهل يسير ، فنفوذ الفاطميين كان ممتدا إلى الشام ، والأمير طموح متطلع إلى المجد السياسى ينشد له دولة وسلطانا وولاية تخفق فيها فوق رأسه الرايات كما يقول فى إحدى قصائده :

أرأيتما مثلى يرام قياده ... من بعد ما نشط العقال وجرجرا
ويسام أن يرضى الخمول وقد أبى ... إيماض وجه الصبح أن يتسترا

وكما يقول فى إحدى قصائده :

أعنى على نيل الكواكب فى العلا ... فأنت الذى صيرتها من مآربى

وفى عام ٤٥٠ هـ ، والشاعر فى سن الثامنة والعشرين من عمره ، كانت حلب فى يد الفاطميين الذين استولوا عليها فى حرب طاحنة وأخذوها من يد معز الدولة الكلابى عام ٤٤٩ هـ ، وكان أميرها من قبل الفاطميين هو مكين الدولة ابن ملهم فاتصل به الخفاجى ومدحه بقصيدة أنشده إياها فى حلب عام ٤٥٠ هـ (١) ، ويقول فيها متحدثا عن نفسه :

ومشتت العزمات ينفق عمره ... حيران لا ظفر ولا إخفاق
أمل يلوح اليأس فى أثنائه ... وغنى يشف وراءه الإملاق
يمرى عفافة ثروة لو أنها ... نوم لما شعرت به الأحداق
وتروقه خدع المنى فكأنها ... حق وكاذب وعدها ميثاق

---

(١) راجعها فى الديوان ص ٧٥ وما بعدها

وهذه الأبيات تدل على نفسه الطامحة المخفقة فى طموحها وآمالها فى هذه الفترة العصيبة من تاريخ حياة الأمير .

وفى هذا العام أيضا عام ٤٥٠ هـ توفى صديقه أبو المتوج مخلص الدولة مقلد بن نصر فرثاه بقصيدته[١] التى يقول فى مطلعها :

حبتك السماء بأمطارها وكيف تضن على جارها[٢]

وظل نفوذ الفاطميين فى حلب بين مد وجزر إلى عام ٤٥٣ هـ حتى استردها الكلابيون من أيديهم .

وفى عام ٤٥٣ هـ ، والشاعر فى سن الحادية والثلاثين سافر ابن سنان من حلب إلى القسطنطينية ، ولا ندرى سبب هذه الرحلة ولا ظروفها ، وقد أرسل الأمير الخفاجى من القسطنطينية إلى إخوانه فى حلب أربعة قصائد - ربما يكون فى فهمها ما يكشف لنا أسرار هذه الرحلة الغريبة .

(ا) وأولى هذه القصائد هى القصيدة التى ذكر الديوان أنه كتبها وهو فى القسطنطينية ، وأرسلها إلى ابن ملهم (والى حلب من قبل الفاطميين سنة ٤٥٣ هـ) ويقول الشاعر فى هذه القصيدة :

وا أسفى من رحلة طوحت فيها إلى الروم الأعاريب
قادنى الدهر إليها ومن يجاذب الأقدار مغلوب

ويقول فيها فى مدح بنى ملهم :

ذوائب من عامر ضمها
بيت على الجوزاء مضروب

(١) راجعها فى الديوان ص ٥٣ وما بعدها
(٢) وكانت بينه وبين الخفاجى صلات وثيقة نجد مظهرها فى قصيدته الحائية التى تجدها فى الديوان ص ١٩ وما بعدها وهى قصيدة رائعة بليغة .

أبعدنى منك زمان له   فى طلبى وخد وتقريب(١)

(ب) والقصيدة الثانية هى قصيدة ثانية فيها دعابة ورقة وخفة روح أرسلها من القسطنطينية يداعب بها بعض أبناء أعمامه ويقول فيها :

أأغيب عن حلب ثلاثة أشهر   لم تكتبوا فيها إلى بلفظة
قلتم شغلنا بالحصار وصدنا   ماكان بعدك من معز الدولة(٢)
لو شئت أهرب مرة من عندكم   ما كنت أقصد غير قسطنطينية
ولأكتبن إذا شططت إليكم   من دير أرمانوس بالروحية
أبلغ أبا الحسن السلام وقل له   هذا الجفاء عداوة للشيعة
ولأجلسنك للقضية بيننا   فى يوم عاشوراء بالشرقية
دع ذا وقل لى أنت يابن محسن   وجفاء مثلك من تمام الحرفة
ماكان حقك أن تمل وإنما   تاريخ وصلك من حصار القلعة
كانت ولايتك التى دبرتنى   فيها كمثل الخدمة الرجبية
صاح الغراب بنا ففرق شملنا   قد رمت فيه الخطوب فأصمت(٣)

وتدل هذه القصيدة على أن ابن محسن الخفاجى وابن سنان الخفاجى قد انتهزا فرصة الخلافات السياسية على ملك حلب بين الفاطميين والكلابيين فثارا بها أو ببعض ولايات حلب وأقام له هو وابن سنان فيها دولة ثم غلبا على أمرهما ففر الأمير ابن سنان إلى القسطنطينية خوفا من أن يفتك به أحد .

---

(١) راجع القصيدة فى ص ٩ وما بعدها من الديوان .

(٢) هو معز الدولة ثمال بن صالح الكلابى الذى أخذ الفاطميون منه حلب عام ٤٤٩ وسار إلى مصر فأقام فيها فى ظلال الفاطميين ثم أرسلوه عام ٣٥٢هـ لأخذ حلب من ابن أخيه محمود فحاصرها سنة ٤٥٣هـ وأخذها وحكمها إلى وفاته عام ٤٥٤ هـ حتى استردها الكلابيون .

(٣) راجع القصيدة فى الديوان ص ١٧ وما بعدها .

(حـ) والقصيدة الثالثة نظمها وهو فى طريقه إلى القسطنطينية فى رثاء مؤتمن الدولة أبى طاهر بمصر[1] .

(ء) والقصيدة الرابعة أرسلها من القسطنطينية إلى الوزير فخر الدولة ابن جهير بميا فارقين[2] .

وعلى أى حال فرحلة ابن سنان إلى القسطنطينية لم تطل ، وعاد منها بعد موت معز الدولة الكلابى سنة ٤٥٤ هـ

وفى عام ٤٥٥هـ والشاعر فى سن الثالثة والثلاثين قلد صديقه الأمير نصير الملك ابن ملهم ولاية طبرية وعكا وجعل أميرا على بنى سليم وفزارة القيسيين فدحه ابن سنان الخفاجى بقصيدته الرائية (ص ٤٨ ومابعدها من الديوان) فى ربيع الأول من هذا العام ، وفى أواخر هذا العام نفسه عقد حلف بين فزارة وسليم القيسيين وبين الكلبيين فدح ابن سنان صديقه الأمير ابن ملهم بقصيدة[3] فى ذى الحجة عام ٣٥٥ هـ

ويدل ذلك على أن ابن سنان حين عاد من القسطنطينية لم يقصد حلبا وإنما قصد ولاية صديقه الأمير ابن ملهم وأقام معه فيها من عام ٤٥٤

وفى عام ٤٥٦ هـ توفى صديقه أبو العلاء صاعد الكاتب بأنطاكية فرثاه ابن سنان الخفاجى بثلاث مراث رائعة :

أولاها عيفيته التى تراها فى ديوانه ص ٦٤

---

(١) راجع القصيدة فى الديوان صـ ٦٦ ومابعدها

(٢) ويقول فيها :

يابرق طالع من ثنية جوشن حلبا وحى كريمة من أهلها
مالى وللأقدار ضاق بصرفها ذرعى وماظفرت يداى بقيلها

(صـ ٨٦ وما بعدها من الديوان)

(٣) راجعها فى الديوان صـ ٧١

والأخرى قصيدته القافية التى تراها فى ديوانه أيضا ص ٧٧

والثالثة أبيات ذكرها الديوان فى ص ٩٩

وفى هذه الأثناء كان ابن سنان مقيما فى أنطاكية بعد أن فارق ولاية صديقه الأمير ابن ملهم وكانت أنطاكية حينئذ فى يد الروم .

وكان بين أبى العلاء الكاتب وبين الأمير ابن سنان الخفاجى صداقة وطيدة من بدء عهد الصبا نجد مظهرها فى قصيدته البائية[1] التى كتبها فى صباه إلى أبى العلاء ويقول فيها :

فقل لجناب بالغوير تضوعت عليك الخزامى وهى تلعب باللب
سقاك رسيل الدمع تحسب جوده أكف الخفاجيين فاضحة السحب

وفى خلال وجود ابن سنان بأنطاكية تشوق إلى بلاده حلب الشهباء وضواحيها فأرسل إلى صديقه الأمير سعد الدولة أبى الحسن على بن منقذ الكنانى وأحد أصدقاء أمير حلب محمود الكلابى عدة قصائد منها : قصيدته الدالية[2] التى أرسلها من أنطاكية إليه والتى يقول فيها :

عذيرى من الروم جار الفراق على بحكمهم واعتدى
دعوتك من أرضهم عاتبا فناهلتنى ذلك الموردا
لعل مقالك هذا الطويل يكون لحينهم موعدا
فهل عند رأيك من حيلة تغيث بها هائما مفردا
فقد طالما أنقذتنى يداك وقد علقتنى حبال الردى

وله إليه قصيدة أخرى[3] يقول فيها :

بينى وبينك حرمة ماغالها ولع الخطوب ، وذمة لا تخفر

(١) ص ١٢ الديوان ،
(٢) ص ٢٦ الديوان .
(٣) ٣٠ ومابعدها من الديوان .

ومودة مزجت بأيام الصبا ورأت تغيره فلم تتغير
أهون به ما كنت يا ابن مقلد عونى عليه وكان قومك معشرى

وكتب إليه الأمير ابن منقذ(١) :

فما بالكم لا أوحش الله منكم مواطن فيها للذمام وفاء
رفعتم منار الغدر بعد هبوطه وأخفق منكم مطلب ورجاء
أخصك عبد الله من بينهم فما أقول وما عندى عليه غطاء
وما بك إلا إن ملكت فلا تقل شؤونى فيها دقة وخفاء

وابن منقذ يصرح هنا بكل ما يعرفه عن ابن سنان الخفاجى ويقول له : إنك لا تريد إلا الملك ولا تطمع فى شىء سواه ، فأجابه ابن سنان بقصيدة(٢) طويلة يقول منها :

على أى حكم فيك أعجب للغدر وما أنت إلا واحد من بنى الدهر
عهدتك مطراق الهوى كل ليلة تروح إلى وصل وتغدو إلى هجر
رضاك على سخط وصفوك فى قذى وحبك من بغض وحلمك عن غمر
فمالك ترمينى بعتب جهلته فلم أر فيه وجه ذنبى ولا عذرى
وكيف أضلتنى الخطوب وطوحت بلبى حتى صرت أجنى ولا أدرى

وكتب إليه الأمير أبو الحسن قصيدتين أخريين أجابه عليهما ابن سنان(٣) ثم كتب ابن سنان إليه قصيدة أخرى(٤) يقول فيها :

لو وفيتم واصلتمونا على عهد وكان التقاؤنا باتفاق
لا بأمر السلطان قسرا إذ استدعى بنى جعفر إلى الإنفاق

---

(١) من قصيدة تراها فى ص ٧ وما بعدها من الديوان
(٢) ص ٥٥ وما بعدها من الديوان .
(٣) راجع الديوان ص ٣٠ و ص ٥٨
(٤) راجع الديوان ص ٧٧ وما بعدها .

أو بحكم المودعين إذا عن ... له أن يسير نحو العراق
ثم ياصاحب الجناية منهم ... قد لقينا فى البعد مالم تلاقى

وهى أبيات غامضة لم نهتد بعد إلى سرها التاريخى الذى يفسر لنا مشكلات حياة الخفاجى فى هذه الفترة الحافلة ، وعلى أى حال فقد عاد ابن سنان الخفاجى إلى حلب ومدح أميرها محمود بن صالح بن مرداس فى صفر عام ٤٥٧ هـ بقصيدته(١) التى يقول فيها :

نزلت على رحب الفناء مريعه ... ولذت بعادى البناء رفيعه
فمذ سمح الدهر البخيل بقربة ... صفحنا له عما مضى من صنيعه
ولى فيك آمال طوال ترددت ... بقلب جميل الظن فيك وسيعه

ثم مدحه فى هذا العام نفسه بقصيدته التى مطلعها :

أبى الله ألا يكون لك السعد ... فليس لما تبغيه منع ولارد

ومنها :

هنيئا لك النصر الذى نلت حقه ... بسمر العوالى لا تراث ولا رفد

وابن سنان يهنئه فى هذه القصيدة بانتصاره على الثائرين عليه الذين أخذوا حلب من يده .

وفى عام ٤٥٨ والشاعر فى سن السادسة والثلاثين من عمره مدح محمودا أمير حلب بقصيدته(٢) التى يقول فيها :

أحييت سيوفك ميت العز فى مصر ... وأسفرت بسناها عنهم الظلم

وأقام فى ظله يؤمل أن يقلده ولاية إقليم من الأقاليم التابعة لدولة حلب، ولكن محمودا لم يفعل فنظم ابن سنان سنة ٤٥٩ هـ قصيدة(٣) مطلعها :

ما على إحسانكم لو أحسنا ... إنما نسأل شيئا هينا

(١) راجع الديوان صـ ٦٩ ومابعدها .
(٢) صـ ١٠٢ ومابعدها من الديوان ،
(٣) صـ ١١١ وما بعدها من الديوان .

ويقول فيها :

لا أرى عينك إلا ظاهرا ... خير شكوى عاشق ما أعلنا
أنكروا حرصى على السلم وما ... ادعى أنى أحب الفتنا
كيف يهوى الحرب من أن فزتم ... لم يكن بالخير منكم قمنا

إلى آخر ما يقول ، وتدل هذه القصيدة على أن أعداء الأمير ابن سنان حذروا أمير حلب منه وأوهموه أنه سيثور عليه فحاول ابن سنان رد هذه الوشاية .

وفى نفس العام ٤٠٩ هـ خرج الأمير محمود بجيش إلى طرابلس وخرج معه الأمير أبو الحسن بن منقذ وقائده ابن أبى الثر ولم يستدع ابن سنان الخفاجى معه فأرسل ابن سنان إلى ابن منقذ قصيدة(١) يعاتبه فيها هو والأمير محمودا ويقول منها :

حفظ الله معشرا ضيعوا ... العهد وحالوا فى سائر الأحوال
كان شملى بهم جميعا ولكن ... فرقت بيننا صروف الليالى
يا أجل الملوك عما وخالا ... عند ذكر الأعمام والأخوال
ليت شعرى بأى شىء أداريك ... فقد قل فى رضاك احتيالى
أتراني أرضى بهذا وفى الدنيا ... ظهور الفلا وأيدى الجبال
افتحوا دونى الطريق وردوا ... لى إلى عسقلان بدر الحجال
ودعونى أصبح عند ابن حمدان ... صياحا يشق حلو السلال
ما اتفقنا إلى على صحبة الدهر ... ولكن بدا لكم فبدالى

والقصيدة تفيض عاطفة وقوة وتدل على أن روح الوئام قد تغير بين الخفاجى والأمير محمود .

وعزم ابن سنان الخفاجى على الخروج من حلب إلى ولاية ابن حمدان عام ٤٥٩هـ فأهدى إليه قصيدته(٢) :

(١) ١٤ وما بعدها من الديوان . (٢) ٩٤ وما بعدها من الديوان

أأحبابنا هل تسممون على النوى ... تحية عان أو شكية عاتب
وما أدعى إنى أحن إليكم ... ويمنعنى الأعداء من كل جانب
جزى الله عنى العيس خيرا فطالما ... فرقت بها بينى وبين النوائب

إلى أن يقول فى ابن حمدان :

يظن العدى انى مدحتك للغنى ... وما الشعر عندى من كريم المكاسب
أعنى على نيل الكواكب فى العلا ... فأنت الذى صيرتها من مطالبى

فهو يطلب منه أن يساعده على بلوغ آماله العظيمة فى مجد الحياة وسلطانها :
ثم أهدى الخفاجى إلى ابن حمدان قصيدة(١) أخرى فى رمضان عام ٤٥٩ يشكره فيها على جميل فعله مع أهله ويقول :

جاد لقومى سحاب منك هاطلة ... ماغيبت منة منها وقد حضروا
شكرت عنهم وإن أحسنت عندهم ... فإننى ناظم بعض الذى نثروا
وغادرتنى صروف الدهر بعدهم ... كالصل أطرق لاناب ولا ظفر
فى بلدة تحتوى الأحرار ساحتها ... فما لهم وطن فيها ولا وطر
فهل لرأيك أن ينتاش مطرحا ... له من الفضل ذنب ليس يغتفر

ثم أهدى إليه قصيدة(٢) أخرى فى نفس عام ٤٥٩ يمدحه بها ويذكر إطلاقه حميد بن محمود وحازم بن على بن جراح من الاعتقال ويقول فى هذه القصيدة :

ولى همة لو أبعد الله دارها ... عن الشام لم يعرف لمثلى نظيرها
ومنها: أعدتم على طى حميدا وحازما ... فأمرع واديها وفاض غديرها
وما فاتنى خير نداك كفيله ... ولاغبت عن نعمى وقومى حضورها

---

(١) ٤٣ وما بعدها من الديوان .
(٢) ٤٦ وما بعدها من الديوان .

ولكن أمير حلب عاد فاسترضى ابن سنان الخفاجى سنه ٤٦٠ ﻫ فعرض إليه بآماله فى قصيدته(١) التى يقول منها :

أهون بشعرى بعد ما سبقت ... مدحى إليك ذرائع أخر
فلطالما فاضت يداك على ... قوم وما نظموا ولا نثروا
وما أخرتنى عنهم قدم ... لو كان فى وفيهم نظر
لكنه قدر رضيت به ... قسرا وكيف يغالب القدر
بينى وبين الحظ داجية ... عمياء لا نجم ولا سحر

وتوسط وزير الأمير محمود بينه وبين ابن سنان الخفاجى حتى قلده ولاية قلعة عزاز فى آخر عام ٤٦٠ ﻫ ، واستقر ابن سنان الخفاجى بها . وفى صفر عام ٤٦١ وصل ملك الروم إلى ضواحيها ولكنه انصرف عنها فكتب ابن سنان الخفاجى إلى الأمير محمود قصيدة(٢) يذكر له فيها ذلك ويشيد به .

وفى منتصف عام ٤٦١ سار الأمير محمود إلى حصن « اسفونا » بجيش كبير فأرسل إليه الخفاجى قصيدة ينوه فيها بهذا الحادث التاريخى(٣) .

وفى عام ٤٦٢ أرسل إليه أيضا قصيدة(٤) شعرية من قلعة عزاز . وفى عام ٤٦٣ ﻫ دعا الأمير محمود للخليفة العباسى القائم فى حلب فأشاد الخفاجى بهذا فى قصيدة(٥) أرسلها من قلعة عزاز إلى حلب .

وبعد ذلك شق ابن سنان الخفاجى عصا الطاعة على الأمير محمود واستقل

---

(١) ٤١ وما بعدها من الديوان
(٢) ١٠٣ وما بعدها من الديوان
(٣) ١١٣ وما بعدها من الديوان .
(٤) ١١٣ من الديوان
(٥) ٩٦ من الديوان ، ١٠/٢٤ ابن الأثير ، ١/٣٣٩ أعلام النبلاء

بولاية عزاز فتحايل عليه الأمير محمود حتى أرسل السم إليه بواسطة وزيره ابن النحاس عام ٤٦٦ هـ فمات وحملت جثته إلى حلب فدفن بها(١) .

وهكذا انتهت حياة حافلة بالطموح والمجد والإباء والعزة احتذى صاحبها حذو الآباء والأجداد ، فرحمه الله وأكرم مثواه، وجعل الفردوس مأواه مع الملائكة والشهداء والصالحين . وبعد فهذه الحياة الحافلة للأمير ابن سنان الخفاجي كانت مطمورة فى ثنايا التاريخ البعيد المجهول فكشفنا عنها النقاب بدراستنا هذه لعصره ولشعره دراسة مستفيضة .

ثقافة ابن سنان :

وثقافة ابن سنان ثقافة واسعة :

فهو أديب ملم بالأدب متذوق له ، وهو علم من أعلام النقد الأدبى كما يتجلى ذلك من كتابه سر الفصاحة ؛ وهو شاعر مبدع ملهم تتجلى فى شعره سمات الشاعرية المجددة الساحرة ، وهو فوق ذلك كله عالم بشتى العقائد والفلسفات والمذاهب العقلية والدينية كما يتجلى ذلك فى كتابه « سر الفصاحة » وفى كثير من شعره ، وكان ينتصر للرأى القائل بأن سبب إعجاز القرآن هو أن الله عز وجل صرف العرب وسواهم عن معارضته وقد أيد هذا الرأى فى كتابه « سر الفصاحة » ، وألف فيه كتابا سماه الصرفة(٢) ، وهو فوق ذلك العلم الفذ فى البلاغة ، وكتابه يعد أول تأليف مفصل فى علوم البلاغة والبيان وأجمع دراسة لشتى ألوان البلاغة وفنونها وصورها وجميع أسبابها من اللفظ والمعنى والتأليف والنظم .

---

(١) راجع ٢ و ٣ من الديوان ، ٢٣٣ جـ ١ فوات الوفيات
(٢) راجع ١٣٩ جـ ٣ معجم الأدباء وقد نقل عنه ياقوت .

وكل هذه الثقافات تدل على عقلية واسعة عميقة ولا شك أن مما نماها فيه تلمذته على أستاذه أبي العلاء وسواه من علماء العربية وأدبائها فوق عكوفه على المطالعة والقراءة والبحث والتأليف ، وفي أستاذه المعري يقول من قصيدة رثى بها جماعة من أهله وأصدقائه :

ومقيما على المعرة تطويه   الليالي وذكره منشور (١)

مؤلفات ابن سنان :

وقد ألف ابن سنان كتبا عديدة ، منها :

١ — سر الفصاحة .

٢ — كتاب الصرفة ذكر فيه قضية إعجاز القرآن وأن سبب الإعجاز هو صرف الله العرب عن معارضته (٢) .

ومذهب الصرفة ينسب إلى ابراهيم بن سيار النظام المعتزلي وقد جرى الكلام به على ألسنة قوم قبله من أشهرهم عيسى بن صبيح المزدار المعتزلي البغدادي . وكان الجعد بن درهم مؤدب مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين يقول قولا قريبا من ذلك . وقد رجح هذا المذهب ابن سنان في كتابه .

٣ — وله ديوان شعر صغير .

شعر ابن سنان وشاعريته

وابن سنان شاعر مشهور ، وله ديوان شعر يقع في ست عشرة ومائة صفحة ، ويمتاز شعره بامتلائه بالمعاني والأفكار العقلية وبقوته وجمال

---

(١) ص ٣٥ من الديوان

(٢) ١٣٩ ج ٣ معجم الأدباء.

العاطفة فيه وظهور شخصية الشاعر وغلبتها عليه ، وسندرسه دراسة واسعة فى كتاب مستقل إذا وفق الله .

ونشير فى هذا المقام إلى أن البارودى قد جعل فى مختاراته ابن سنان من روى الشعراء الذين عنهم شعرهم .

نذكر له نحو «٧٨» بيتا ، منها :

١٠ فى الأدب
٥٨٧ فى المديح
٥٦ فى الرثاء
١١ فى الصفات
١١٦ فى النسيب
٢ فى الهجاء
٣ فى الزهد

وكان من الشعراء الذين عاصروا ابن سنان فى حلب : أبو الفتح بن أبى حصينة المتوفى عام ٤٥٠ (راجع ١٨٨ ج ٤ أعلام النبلاء) .

ومنهم أبو العباس الملقب بالمشكور (راجع ٣٣٣ و ٣٣٤ ج ١ أعلام النبلاء) وسواهما من الشعراء .

ومن ديوانه نسخة خطية بدار الكتب وأخرى بمكتبة الأزهر وطبع الديوان ببيروت فى ١١٦ صفحة .

وشعر ابن سنان الخفاجى كله مختار جيد لاسيما مانظمه من بعد عصر صباه وهو مظهره لشخصيته فى يأسه وأمله وفقره وغناه وظفره وفشله وفى فضائله الخلقية الكريمة وفى طموحه البعيد الوثاب وفى نظراته الفلسفية التى استمدها من أستاذه أبى العلاء .

وهو فى رثائه وفى عتابه وفى غزله وفى مدحه وفى وصفه وفى التعبير عن وجداناته وعواطفه رائع بالغ حدود الجمال الفنى والعاطفى .

ولا مانع من أن نعرض هنا عدة نماذج لشعر ابن سنان :

قال الخفاجى :

أيها النوام ويحكم   قد حملنا عنكم السهرا
نحن فى ظلماء داجية   مالها صبح فينتظرا
فجرها والصبر بعدهم   ماسمعنا عنهما خبرا

وقال من قصيدة يرثى بها جماعة من أهله وأصدقائه :

ياديار الأحباب غيرك الدهر   فكانت بعد الأمور أمور
أين أيامنا بظلك والشمل   جميع والعيش غض نضير
يانجوم العلى غربتم وما فى   الليل من بعدكم نجوم تغور
حال عما عهدتموه ولم   يجر على رسمه الصباح المنير
وعفا الجود فالكريم بخيل   فى الملمات والغنى فقير
لايجاوركم الصعيد بسوء   فهو للنازلين بئس المجير
وسقاكم من السحاب ضاع   الكف يسدى فى روضكم وينير
ما أرى الشعر كافيا فى مراثيكم   ولكن قد ينفث المصدور

وقال :

تجاهلت حتى أنكرتنى خفاجة   وقالت : وهل ضل الأعز المشيع ؟

وقال فى صباه :

وحى من خفاجة رحت فيه   على جرداء حالية الأديم
أباح الخمر فيه حمى هموى   فأشربها وتفتك بالنديم

وقال ابن سنان الخفاجى :

ومعدد فى الفخر طارف ماله   حتى تلوت عليه مجدا تالدا
طوقته بأوابدى ولطالما   أهديت أغلالا بها وقلائدا
مهلا فإنك ماتعد «مباركا»   خالا ولا تحصى «سنانا» والدا
بيت له النسب الجلى ، وغيره   دعوى تريد أدلة وشواهدا

وقال :

عاذت بنو حواء من إبليس فى الدنيا م   وكم فيهم فنون أبالس
درسوا العلوم ليملأوا بجدالهم   فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة   فى أخذ مال مساجد وكنائس(١)
إيوان كسرى صار مرتع ثلة   وديارة باتت مناخ عرائس

ترجمة ابن شاكر له :

وقد ترجم مؤلف فوات الوفيات لابن سنان ترجمة قصيرة ، ذكر فيها موته مسموما فى قلعة عزاز(٢) .

وكانت وفاته فى سنة ٤٦٦ هـ . وحمل إلى حلب(٣) . . ويلى ذلك عدة

---

(١) وينسب هذا البيت والذى قبله لابن خفاجة الأندلسى (راجع ديوان ابن خفاجة شاعر الأندلس ت ٥٣٣ هـ طبعة سنة ١٢٦٦ بمصر ص ٧٨) .

(٢) بلدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب . بينهما يوم ، وهى طيبة الهواء ، عذبة الماء ، صحيحة لايوجد فيها عقرب وليس بها شىء من الهوام (٦ / ١٦٧ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦) .

(٣) جاء فى معجم البلدان لياقوت عند ذكر حلب من رسالة لابن بطلان كتبها سنة ٤٤٠ هـ مانصه : وفيها حدث يعرف بأبى محمد بن سنان قدناهز العشرين ، وعلا فى الشعر طبقة المحنكين ، فمن قوله :

مختارات صغيرة من شعره (١) .

بنو خفاجة فى الشام فى العصر الحديث

وفى العصر الحديث يقيم بنو خفاجة فى الشام بجهة دير الزور ويبلغون عدة آلاف ، ومنهم ممن عرفتهم :

١ — فيصل العريف المدلجى الخفاجى وهو رئيس عشيرة خفاجى فى دير الزور ، وعددهم نحو ثلاثمائة أسرة .

٢ — ثابت المدلجى الخفاجى بن محمد زكى وقد انتقل إلى حلب ، ويعمل محاميا فيها .

وغيرهم كثيرون . وفى منطقة دير الزور قرى كثيرة خاصة بالخفاجيين ومنها قرية خفاجة .

ويقول أحد الخفاجيين المعاصرين فى الشام ، وهو الشيخ فيصل الخفاجى :

« أصل الخفاجيين عدنانى من بنى عامر المعروفين فى الحجاز منذ العهد الجاهلى . وقد ذكر ذلك كتاب (السبائك الذهبية فى أنساب القبائل العربية) ، وأول من اشتهر منهن فى التاريخ الإسلامى الأمير الخفاجى عامر الملقب بسلطان العراقين وكان قصره « الأخضر » بين (الكبيسه وكربلاء) ولا تزال آثاره قائمة حتى الآن . وقد هاجر ولده ضرغام بن الخفاجى عامر إلى سوريا

= إذا هجوتكم لم أخش صولتكم وإذ مدحت فكيف الرى باللهب
فحين لم ألق لا خوفا ولا طمعا رغبت فى الهجو إشفاقا من الكذب
(٣١٣ ج ٣ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦ م) .

(١) ص ٢٩٧ - ٣٠٠ / ١ فوات الوفيات لابن شاكر ط ١٢٨٣ هـ .

واستقر فى (مسكنة) ـ وهى تبعد عن حلب بنحو ٨٠ كم إلى الشرق ـ وتزوج ابنة أميرها . و بلدة مسكنة بلد أثرية قديمة لم تزل آثارها باقية المعمور منها الآن قليل ، وأطلال قصورها على جبل مسكنة شاهقة مرتفعة . وكانت تسمى فى التاريخ القديم الرومانى (إيمار) ثم سميت (بالس) واتخذها الملك الأيوبى نور الدين زنكى حصناً ومدخراً لتموين الجيوش الأيوبية بسبب موقعها الحصين على شاطىء الفرات . وأما اسم مسكنة الحالى ، فقد حدث بعد خراب (بالس) فى معارك الغورى قانصوه والسلطان سليم العثمانى . وهذا الاسم بمعنى المكان المسكون وهو فى أسفل الجبل الذى تقوم عليه آثار (بالس) .

أما الخفاجيون الموجودون فى مسكنة فيشكلون عدة قرى متجاورة هى : مسكنة ـ ومسكنة القديمة ـ وشعيب مسكنة ـ ورسم الغزال فى بادية مسكنة ـ والجديعة ـ والمحمودية ويبلغ عددهم / ١٦٠٠ / نسمة . ويرأسهم الشيخ فيصل العريف ، وهو من سلالة الأمير ضرغام بن الخفاجى عامر ، ويحفظ من أسماء أجداده عشرة أسماء على التتابع هم : حميدى (وهو والد الشيخ فيصل) ، بن موسى ، بن عيسى ، بن عريف ، بن الملحم ، بن عيسى ، بن ضايا ، بن ناعس ، بن ناصر ، بن محمد . كما يحفظه المعمرون من العشيرة .

وفى دير الزور ، فرع للخفاجيين ، عميدهم الحالى أمين بن محمد العليوى المطر ، ويبلغ عددهم على التقريب / ١٠٠٠ / ألف نسمة ، منهم / ٥٠٠ / وخمسماية من عبيد القبيلة الذين نزحوا معهم من العراق .

ولهم ـ للخفاجيين ـ فرع آخر فى قضاء البوكمال ـ على حدود العراق ـ منهم : الحاج عبد الله الدبس ، رئيس البلدية فيها ـ ويبلغ عددهم / ١٠٠ / مئة نسمة . وهذه الفروع متواصلة متصاهرة وتشترك فى التقاليد العشائرية ،

كالدية ومشاكلها ، ويقال إن فرع (دير الزور) من سلالة أخ لضرغام ابن عامر المسمى (عمار) .

وأسماء الأفخاذ فى هذه العشيرة الخفاجية داخل الإقليم السورى كما يلى :

١ — فى مسكنة : الملحم ، العلى الحمد ، العداد ، الفارس ، القويدر ، العلى العبد الله .

٢ — فى دير الزور : المطر العليوى ، الطه ، الكنعان ، المدلج ، البوخريس .

٣ — فى البوكمال : الدبس ـ البخيت .

هذا فى سوريا ماعرف من عشيرة خفاجة ، وأشهر من عرف من رجالها هو المرحوم الشيخ حميدى العريف الذى كان فارساً شجاعاً وله عدة غزوات عشائرية ، وله نضال مع الفرنسيين ، وفى عام ١٩٢٦ اشترك فى حركة ثورية فى حلب ، سجن على أثرها مدة سنتين ـ وفى قضاء الباب ـ عند مستشار العشائر فى محافظة حلب الضابط الفرنسى (توويست) . وكان سلاحه فى مواقعه كلها السلاح القديم (السيف والرمح) ، وكان من العوارف الذين يقفون فى الخلافات العشائرية . توفى مقتولا عن ٩٩ سنة عام ١٩٣٣ .

ويعرف رجال الخفاجيين الحاضرون نسبتهم إلى الخفاجيين فى العراق ، وقد قام محدثنا الشيخ فيصل العريف ، عام ١٩٤٩ م ، بالاتصال مع المشهورين من خفاجيي العراق وبعث رسالة إليهم فتلقى جوابها دعوة لزيارة العراق ولبى الدعوة عام ١٩٥٤ وفيما يلى :

ومن الخفاجيين المعاصرين فى سوريا : الشيخ فيصل العريف الخفاجى ، والشيخ أحمد العريف الخفاجى ، والشيخ سطام العريف الخفاجى ، وأحمد

المحيل الخفاجى ، ومحمد الجمعة الخفاجى ، وحسن المحمد السليمان الخفاجى ، وعلى الحميدى الخفاجى ، وحاجم المحمود الخفاجى ، والحاج حميدى الحسين الخفاجى .

وللشيخ فيصل الخفاجى عدة أبناء منهم : محمد ، وماجد ، وللشيخ سطام الخفاجى ولد هو فلاح سطام الخفاجى .

* * *

وكان فى فلسطين بعض فروع من الخفاجيين ، وهم اليوم من اللاجئين فى الأردن ، ومن بينهم حمدان عليان الخفاجى .

بنو خفاجة فى الأندلس

لما فتحت الأندلس عام ٩٢ ﻫ واستقر بها المسلمون ، أقبلت القبائل العربية على الهجرة إليها أفرادا وجماعات ، وكان ممن هاجر إلى الأندلس جماعة من القيسيين والعامريين والخفاجيين ، يقول ابن حزم : «وخفاجة بطن ضخم ، منهم : النحوى محمد بن معارك المعروف بالعقيلى بقرطبة (١).

وليس أمامنا الآن مراجع واسعة نعرف منها كيف هاجر الخفاجيون ولا من هاجروا عنهم ولا فى أى مكان أقاموا ولا الكثير من شخصياتهم هناك .

وإنما نعرف بكل تأكيد أن الشاعر المشهور أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الاندلسى وأسرته كانوا يقيمون فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى ، وأنه ولد ونشأ ومات بشقر من أعمال بلنسية ، ويبدو أن إقامة أسرته كان بها ، وابن خفاجة الأندلسى علم مشهور من أعلام الأدب العربى عامة والأندلسى خاصة .. وقد تحدث عنه كثير من الأدباء والنقاد والباحثين .

ونجد كثيرا من علماء الأندلس فى آخر اسم كل واحد منهم هذا اللقب : القيسى ، أو العامرى (٢) ، وهذا يرشد إلى هجرة كثير من القيسيين والعامريين والعقيليين من جزيرة العرب إلى بلاد الأندلس ، ومن العامريين فى الأندلس من ينسب إلى غير ابن عامر أو إلى قشير بن كعب .

ومن علماء الاندلس : محمد بن عبد الملك العبسى ، وقد عاش فى القرن الخامس الهجرى (٣) ، ومحمد بن عريب العبسى وعاش فى القرن

---

(١) ١٧٤ أنساب العرب لابن حزم .
(٢) راجع : المكتبة الأندلسية .
(٣) ١٢٣ التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار المتوفى عام ٦٥٩ ﻫ :

السادس(١) ، وأبو بكر محمد بن عمر العقيلى(٢) المتوفى ٥٣٠ هـ .

وفى نفح الطيب(٣) أن من سكان الأندلس من ينسب إلى نمير بن عامر ابن صعصعة وهم بغرناطة كثير ، ومنهم من ينسب إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ومنهم بلج المتوفى عام ١٦٥ هـ صاحب الأندلس ، ومنهم من ينسب إلى كلاب بن ربيعة وسواهم .

ويعد ابن حزم من الخفاجيين فى الأندلس : العالم النحوى محمد ابن مبارك المعروف بالعقيلى بقرطبة(٤) .

---

(١) ٢٣٢ المرجع السابق .

(٢) ١٢١ المعجم لابن الأبار ، و ١٦٦ التكملة لابن الأبار أيضا .

(٣) ٢ : ٢٨٢ و ٢٧٣ نفح الطيب المقرى نشر فريد رفاعى .

(٤) ١٧٤ أنساب العرب لابن حزم .

ابن خفاجة الأندلسى (١)

٤٥٠ — ٥٣٣ هـ

مولده ونشأته :

ولد أبو إسحق الخفاجى إبراهيم بن أبى الفتح بن عبد الله بن خفاجة سنة ٤٥٠ هجرية ببلدة شقر وتوفى بها سنة ٥٣٣ هـ ، فعاش فى أواخر عصر بنى أمية وزمن ملوك الطوائف ، وإبان دولة المرابطين .

وهذه العصور أزهى عصور الأندلس ، وكانت الحياة حياة ترف ورخاء ، وتبع هذا الترف الميل إلى اللهو والمجون وأنواع السرور ، وتغلبت هذه الحال على عقول الأدباء والشعراء ، فكان الشعر ضربا من التفكه ، وكان الترف وبهاء الطبيعة يولدان فى النفس حب الجمال ، وسعة الخيال ، وقد كان لابن خفاجة حظ وافر فى مناجاة الطبيعة وجمالها ، لأن بلدته التى عاش فيها ومات بها كانت من أجمل البلاد وأحسنها بهاء .

شعره وأثر الطبيعة فى نفسه وصفاته العامة :

انقطع ابن خفاجة للنظر فى جمال الطبيعة فكان كثير التأمل فى

---

(١) له ترجمة طويلة فى قلائد العقيان للفتح بن خاقان الأندلسى (ص ٢٤١ - ٢٥٣) ، وفى نفح الطيب وسواه من كتب الأدب تراجم واسعة له .

وطبع ديوانه فى بيروت عام ١٩٥٢ طبعة جديدة ، وفى الجزء الرابع ٣٠٢ - ٣٠٩ كتاب نفح الطيب نشر فريد رفاعى نماذج لنثره ، وفى ٣٧٨ - ٣٧٩ / ٥ من المرجع نفسه ترجمة له .

المشاهدات ، وكانت نظراته تقود عقله ، وترسم له طرق التفكير وأنواع الخيال ، فكانت كل معلوماته وأخيلته من طريق النظر والتأمل فى جمال الألوان وتناسق الأشياء . وقد حملته دقة النظر على دقة التعبير ، فلم يميز من من الأشياء التى يراها إلا مايتفق مع صفاته النفسية ، فكان دائما فرحا مسرورا ، لاتكاد تجده يصف منظرا محزنا أو شيئا قبيحا ، أو نفسا منقبضة ، أو يتكلم عن بؤس الأيام وأهوال حوادثها ، إلا فى آخر حياته ، فكان شعره صورة لنفسه المملوءة بالسرور والإعجاب بالجمال ، وكانت نفسه مطمئنة هادئة ميالة إلى اللهو والمجون ، فكان شعره أيضا به هذا الاطمئنان النفسى ، والهدوء الفكرى ، لأنه كان يريد أن يعيش فى نوع من الأحلام اللذيذة . لذلك كان أثر هذه الحياة عظيما فى نفسه ، فولدت فيها كثيرا من المعانى الشعرية ، واندفع إلى تصويرها ، وإلى التعبير عنها بما فطر عليه من دقة الإدراك . فكان الجمال مثار شعره ، ومبعث خياله وافتنانه ، يتتبع روائعه ويخرج إلى البساتين ليسمع خرير الماء ، ولينعم بمشاهدة جريانه ، ويصف ذلك فى شعره ، ويجارى الشعراء أحيانا فى أوصافهم .

فنون شعره — معانيه — صناعته :

يشتمل شعر ابن خفاجة على المدح ، والعتاب ، والرثاء ، والشكوى ، والوصف والمداعبات . ولكن أجود شعره فى الوصف ، فإن الخيال هو كل شىء فى شعره لكنه خيال يدعو إلى حب الجمال ، ورقة الشعور ، ويهذب الذوق ، ويملأ القلب بهجة وسرورا ، لأن ابن خفاجة مصور ماهر ، ووصاف مبدع المشاهدات ، وقد امتلأت نفسه بذلك حتى فى المدح والرثاء ، فتجده إذا مدح يصف الثناء بأنه ثناء رطب ، وأن الصباح ضحك فكشف عن ثناياه البيض ، وأن ممدوحه وضاح المحيا وأنك :

تشيم بصفحتيه بروق بشر ‌ ‌ ‌ ‌ تعيد بشاشة الروض الجديد

ويقول :

وقد ضحك الصباح بمجتلاه ... وراء الليل عن ثغر شنيب
أشيم به سنا برق يمان ... يحفزنى إلى المرعى الخصيب

فإذا رثى لا يغيب عنه الوصف حتى فى موقف البكاء ، لأنه يمزج بكاءه بوصفه الجميل ، وبما فى نفسه من المعانى التى ملكت منه كل شىء ، فيقول :

فى كل نادٍ منك روض ثناء ... وبكل خد فيك جدول ماء
ولكل شخص هزة الغصن الندى ... غب البكاء ورنة المكاء

وهو فى ذلك يشبه الدموع السائلة على الخدود بجداول الماء ، ويشبه اضطراب أجسام الباكين وانسكاب دموعهم ، بهزة الغصن الذى غمرته السماء بالماء ، ويشبه أنينهم وإجهاشهم بالبكاء بصوت قبرة تصفر وتنوح .. وأكثر قصائده مبدوء بالوصف ..

أما فى أسلوبه فهو كثير التصنع لإمعانه فى تتبع أنواع البديع والبيان ، حتى لا يكاد يجد القارىء شيئا من كلامه إلا استعارة أو مجازا أو تشبيها ، وقد يدعو ذلك أحيانا إلى استغلاق المعنى . ولكن شعره فى جملته يعتبر معجما لألفاظ مختارة وعبارات جميلة . وتشبيهات بديعة ، ومعرضا لكل أنواع الصناعة اللفظية . وقد اشتهر بقوة الخيال وسلامة العبارة .. مع ميله أحيانا إلى ذكر المعانى الخفية والألفاظ الغريبة والمبالغة فى تشبيهاته (١) .

ولابن خفاجة ديوان شعر كبير مطبوع ، شرحه الأستاذ محمد رضوان أحمد شرحا مطولا لا يزال مخطوطا .

---

(١) راجع : المفصل الجزء الثانى لطه حسين ، وكتابى قصة الأدب فى الأندلس للمؤلف .

ويقول عنه الفتح بن خاقان فى كتابه « قلائد العقيان » :

تصرف فى فنون الإبداع كيف شاء ، فجاء نظامه أرق من النسيم العليل ، وآنق من الروض البليل ، يكاد يمتزج بالروح ، وترتاح إليه النفس كالغصن المروح (١) .

وترجم له ابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان » (٢) .

ولابن خفاجة نثر رائع جميل كذلك ، وفى الجزء الرابع ص ٣٠٢ - ٣٠٥ من كتاب نفح الطيب للمقرى رسائل أدبية لابن خفاجة ، وفى الجزء الخامس من الكتاب (نشر فريد رفاعى) ترجمة له أيضا (٥ : ٣٧٨ - ٢٧٩) .

وفى نسبة ابن خفاجة الأندلسى إلى بنى خفاجة يقول صاحب بغية الملتمس عنه ما نصه : إبراهيم بن الفتح بن عبد الله بن خفاجة ، أبو إسحاق الخفاجى ، شاعر مشهور متقدم مبرز ، حسن الشعر جدا ، وشعره كثير مجموع وكانت له همة رفيعة ، وتوفى لأربع بقين من شوال سنة ٥٣٣ هـ (٣) . . أى فى عصر يوم الأحد السادس والعشرين من شهر شوال (٤) .

---

(١) ٢٤٢ قلائد العقيان .

(٢) ١ : ٢٣ و ٢٤ وفيات الأعيان .

(٣) ص ٢٠٢ ص ٢٠٣ بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس الضبى - ولابن خفاجة ترجمة فى المعجم لابن الأبار ، وفى مجلة الرسالة السنة الأولى عدة مقالات عن ابن خفاجة والطبيعة فى شعره بقلم عبد الرحمن جبير .

(٤) ٥٩ - ٦٠ المعجم لابن الأبار .

بنو خفاجة فى مصر

فتحت مصر على يد عمرو بن العاص فى سنة ١٩ ﻫ واستقر بها عمرو وحامية كبيرة من جيوش المسلمين ثم هاجر إليها كثير من القبائل العربية وأقاموا فى ريفها الخصب .

ومن هؤلاء « بنو سليم وعدة قبائل من قيس نزلوا أرض مصر سنة ١٠٩ ﻫ . وأمير مصر إذ ذاك الوليد بن رفاعة الفهمى — القيسى — ولم يكن بأرض مصر أحد من قيس قبل ذلك ، إلا ما كان من فهم وعدوان — وهما من قيس — فوفد عبد الله بن الحبحاب مولى بنى سلول — القيسيين — عامل هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى — على مصر ، فسأله أن ينقل إليها من قيس أبياتا فأذن له هشام فى إلحاق ثلاثة آلاف منهم على أن لا ينزلوا بالفسطاط ، فقدم بهم ابن الحبحاب وأنزلهم الحوف الشرقى وفرقهم فيه ، وكان ممن قدم منهم مائة أهل بيت من بنى عامر ابن صعصعة البطن المشهور التى منها بنو كلاب وعقيل وقشير وهلال ونمير ، فأنزلهم ببلبيس وأمرهم بالزراعة ثم تحمل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فاقاموا سنة فأتاهم نحو ١٥٠٠ أهل بيت من قيس حتى إذا كان زمن خلافة مروان بن محمد وولى على مصر الحوثرة بن سهيل الباهلى هاجرت إليها قيس فات مروان (سنة ١٣٢) ، وبها ثلاثة آلاف أهل بيت من قيس ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم ، فأحصوا فى ولاية محمد بن سعيد فوجدوا ٥٢٠٠ ما بين صغير وكبير(١) » .

وذكر المقريزى طائفة من القبائل فيما بين الاسكندرية والعقبة الكبرى ، ومنها خفاجة(٢) .

(١) ٦٤ — ٦٦ البيان والأعراب عما بمصر من الأعراب للمقريزى ت ٨٤١ هـ
(٢) ٦٩ البيان والأعراب

وذكر الحمدانى طائفة من بنى خفاجة ببلاد البحيرة(١) .

وذكر صبح الأعشى بنى عقيل ونزولها بالوجه البحرى(٢) .

وإذاً فهناك قبائل من قيس ومن بنى عامر ومن عقيل نزلت بمصر ، ولا نستبعد أن يكون نزول بعض قبائل بنى خفاجة إلى مصر فى هذه الفترة أيضا وقبلها لاسيما وقد علمنا أن شاعرا هو وأولاد أعمامه أقاموا بمصر فى عهد عمر بن الخطاب وهو أبو العيال الخفاجى .

هذا ويصح ابن الأثير فى كتابه اللباب — صفحة ٣٨١ الجزء الأول طبعة ١٣٥٧ ه — أن لقب الخفاجى نسبة إلى خفاجة بن عمرو بن عقيل ، وهو ابن أخى عبادة ، وقيل إن اسم خفاجة معاوية ، وينقل عن السمعانى أن بنى خفاجة كانوا يسكنون بنواحى الكوفة وهم القبيل المشهور ، وينسب إليهم الشاعر المفلق الأمير أبو سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى .

آل خفاجى فى مصر

أسرة خفاجى بمسهلة مركز السنطة غربية .

« « بهورين مركز السنطة غربية .

« « بدمليج مركز منوف

« « بمرصفا

« « بالقارة مركز أبى طشت مديرية قنا

« « بالعوكلية بجرجا

« « بأبو عمورى بنجع حمادى

---

(١) نهاية الأرب ١٠٧ والسبائك ٤٢ .

(٢) ٦٩ ج ٤ صبح الأعشى للقلقشندى

أسرة خفاجى بهتيم

« « بطنطا ، ومنها عزت خطاب خفاجى وغيره

« « بمنية شبين القناطر

« « بطحانوب

« « يلبيس

« « فى بشالوش

« « فى كفر بهيدة مركز ميت غمر

« « فى مزغونة بنى سويف

« « بسنورس مركز الفيوم

« « بنبروه

« « ببنى سويف

« « بالمنزلة

« « بالغفارية مركز بلبيس بالقرب من مشتول

« « بالاسكندريه

« « بمتبول

« « بكفر العرب مركز بنها

أسرة خفاجى بكفر ربيع منوفية ، ومنها المرحوم مصطفى خفاجى المحامى (توفى فى أول يوليو ١٩٦٩) .

أسرة خفاجى فى شنوان .

عائلة خفاجى بكفر سعد المجاور لمحافظة دمياط ومنها المرحوم الأستاذ مصطفى خفاجى .

ومن أبنائه :

١ — المرحوم ابراهيم خفاجي .
٢ — محمود مصطفى خفاجي .
٣ — عواد مصطفى خفاجي .
٤ — أحمد مصطفى خفاجي .
٥ — محمد مصطفى خفاجي ،
٦ — السيدة بهية مصطفى خفاجي .
٧ — زينب مصطفى خفاجي .
٨ — على مصطفى خفاجي .
٩ — سرى مصطفى خفاجي ،
١٠ — المهندس مصطفى مصطفى خفاجي .

وله حفيد هو رجائى خفاجي المولود عام ١٩٢٨

ومن الخفاجيين فى مصر أسرة خفاجي فى العادين شرقية تبع الغابة شرقية ، ومنهم : إبراهيم أمين مصطفى خفاجي ، وغيره .

أسرة خفاجي بكفر شبين مركز شبين القناطر قليوبية ، ومنها الدكتور عبد الحكيم سالم خفاجي .

ويوجد فى بلدة طاليا مركز أشمون منوفية ضريح يسمى ضريح الشيخ خفاجي ، ولعل الشهاب خفاجي هو المدفون فيه .

الخفاجيون فى شنوان فى مصر

وشنوان قرية مصرية صغيرة من قرى سبك بمديرية المنوفية ، وبها فرع كبير من فروع بنى خفاجة .

وأول ما يلفت الذهن من تاريخ هذه الأسرة هو الشهاب الخفاجى العالم المصرى الكبير الذى ترك آثارا خالدة على مر العصور ، والشهاب فى غنى عن التنويه والإشادة ، فهو علم من أعلام الأدب المصرى ، وشيخ المحققين والباحثين فى عصره . وصاحب الآثار العلمية والأدبية المشهورة ، وقد عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى ومات فيه . والخفاجيون فى شنوان تثبت المراجع التاريخية أنهم من بنى خفاجة العامريين القيسيين ، ذلك أن كثيرا من المؤرخين أثبتوا انتساب الشهاب الخفاجى إلى بنى خفاجة إذا يقول فيه ابن معصوم . فروع تهدل من خفاجة(١) ، ويقول فنديك فيه : الخفاجى يرجع نسبه إلى قبيلة خفاجة(٢) .. والشهاب هو أحد أبناء هذه الأسرة : فتكون نسبة الأسرة إلى الخفاجيين العامريين أمرا لا يقبل الشك .

محمد بن عمر الخفاجى ٩٢٧ — ١٠١٩ هـ

هو والد الشهاب الخفاجى ، وهو محمد بن عمر الخفاجى المصرى الشافعى أحد علماء عصره ، وأعلام دهره .

وكان من الفضلاء والأدباء البارعين ، المتعمقين المحققين المتقنين ،

---

(١) ٤٢٠ سلافة العصر

(٢) ٣٥١ اكتفاء المطبوع .

وأخذ عن كبار الشيوخ ، وتصدر للإفادة ، فانتفع به جماعة من كبار العلماء، من جملتهم ابنه الشاعر العلامة الشهاب الخفاجي صاحب طراز المجالس وسواه من المؤلفات القيمة .

وتوفى الخفاجي عام ١٠١٩ هـ بعد حياة حافلة ، وخدمات جليلة أسداها للعلم والدين والأدب واللغة (١) .

(١) ٤١١ جـ ٧ دائرة المعارف للبستانى ، وورد فى هذا المرجع أن وفاته عام ١٠١١ هـ ، وهو غير صحيح إذ قد ذكر الشهاب فى الريحانة فى ترجمته لخاله أبى بكر الشنوانى أنه توفى هو ووالده فى وقت واحد (١١٦ الريحانة) ، وقد توفى خاله سنة ١٠١٩ هـ .

الشهاب الخفاجى المصرى

٩٧٧ هـ : ١٥٦٩م — ١٠٦٩ هـ : ١٦٥٩ م

نسبه ـ حياته :

أما الشهاب الخفاجى(١) فمجال الحديث عنه واسع ، والمراجع التاريخية والأدبية عنه وعن حياته وشعره كثيرة .

---

(١) ترجم لنفسه فى الريحانة (٢٧٢ — ٣٠٩) . وترجم له المحبى فى الجزء الأول من تاريخ خلاصة الأثر (٣٣١ — ٣٤٣) كما ترجم له ابن معصوم فى سلافة العصر (٤٢٠ — ٤٢٧) ، وأشار إلى كتابه الريحانة فى ص ٨ وأثنى عليه وله ترجمة فى مصباح العصر فى تواريخ شعراء مصر طبع بيروت ١٢٨٨ ، وترجم له جورجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ص ٢٨٧ ج ٣

وترجم له الأستاذ محمود مصطفى فى الجزء الثالث من تاريخ الأدب العربى . وفى الجزء الثانى من المفصل ترجمة له (٣٠٨ — ٣١١) . وترجم له فنديك فى اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٣٥١ . وترجم له البستانى فى دائرة المعارف ٥٨٧ و ٥٨٨ ج ١٠ - كما ترجم له كثير من علماء الأدب فى شتى المؤلفات وله ترجمة فى عقد الجواهر والدرر فى أخبار القرن الحادى عشر، للشبلى (ص ١٧٧ من التراجم الملتقطة منه الملحقة بآخر طبقات الشافعية الأسدى رقم ٢٤٠ تاريخ تيمورية) :

ويقول عنه ابن معصوم مانصه :

والده : هو محمد بن عمر الملقب شمس الدين بن سراج الدين المصرى الفقيه الحنفى ، كان رأس المذهب فى عصره بالقاهرة يرجع إليه أمر الفتوى والرياسة بعد شيخ المذهب على بن غانم المقدسى . وكان فقيها واسع المحفوظ ، له الفتاوى المشهورة وهى فى مجلد كبير ، ولوالده كتب أخرى نافعة سائرة. تفقه على والده وعلى قاضى القضاة نور الدين الطرابلسى المصرى . الخ .

وسأتناول جوانب هذه الشخصية الكبيرة فى إيجاز :

نسمة أحمد ، ويقول ابن معصوم فى « السلافة » عنه :

أحد الشهب السيارة ، والمقتحم من بحر الفضل لجه وتياره ، فرع تهدل من خفاجه(١) ، وفرد سلك سبيل البيان ومهد لجاجه(٢) ، إلى آخر مايقول..

ويقول فنديك فى كتابه « اكتفاء المطبوع » :

الخفاجي يرجع نسبة إلى قبيلة « خفاجة » ، وسكن أبوه فى قطعة أرض بقرب سرياقوس شمالى القاهرة(٣) .

وإذا فالشهاب يرجع فى نسبته إلى بنى خفاجة على وجه التحقيق كما رأينا فى هذه المصادر وكما ورد فى سوى هذه المصادر .

وإذا كان المحبى فى خلاصة الأثر لم يحقق هذه النسبة واكتفى بقوله: خفاجة هى من بنى عامر فلعل أصل والده منهم(٤) ، فذلك لأنه لم يكن من علماء الأنساب وكانت حياته بعيدة عن الحجاز ونجد وصميم القبائل العربية ، ولم يكن من العرب الخلص ، وغير العرب الخلص لايهتمون بالأنساب ومعرفتها اهتماما كبيرا .

والشهاب هو شهاب الدين محمود بن محمد بن عمر الخفاجى .

= وأخذ عنه جماعة من الأجلاء ، منهم الشيخ الإمام خير الدين الرملى ، وكانت ولادته ليلة الجمعة تاسع عشر من صفر سنة ٩٢٧ وتوفى بالقاهرة فى سنة ١٠١٩هـ (٤/٧٦ خلاصة الأثر) ؛ وأخذ عنه على الحلبى القاهرى (٣/١٢٢ المرجع نفسه) .

(١) هى قبيلته العربية التى ينتمى الشهاب إليها .

(٢) ٤٢٠ السلافة .

(٣) ٣٥١ اكتفاء القنوع :

(٤) راجع خلاصة الأثر ٢٤٢ جـ ١ ، ومقدمة الجزء الأول من حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ص ٧ حيث صدر بذكر ترجمة المحبى للشهاب فى كتابه خلاصة الأثر

ترجم لنفسه فى الريحانة فقال ما ننقله عنها فى إيجاز: «كنت بعد سن التمييز، فى مغرس طيب النبت عزيز ، فى حجر والدى . ومقام والدى غنى عن المدح . فلما درجت من عشى قرأت على خالى سيبويه زمانه علوم العربية(١) ونافست إخوانى فى الجد والطلب ، ثم قرأت المعانى والمنطق وبقية علوم الأدب الاثنى عشر ونظرت فى كتب المذهبين : أبى حنيفة والشافعى . ومن أجل من أخذت عنهم : شيخ الإسلام بن شيخ الإسلام الشمس الرملى وأجازنى بجميع مؤلفاته ومروياته بروايته عن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى (توفى ٩٢٦هـ) وعن والده ، ومنهم أحمد العلقمى(٢) ، أخذت عنه الأدب والشعر ، والعلامة الصالحى الشامى(٣) والشيخ داود البصير أخذت عنه الطب(٤) .

---

(١) خاله هذا هو أبو بكر اسماعيل بن شهاب الدين ، والده شهاب الدين الشنوانى القطب الربانى ، وجده الأعلى ابن عم سيدى على وفا الشريف الوفائى التونسى ، وكان أبو بكر علامة عصره فى جميع الفنون، وكان فى عصره إمام النحاة. ولد بشنوان ، ودرس فى القاهرة على ابن قاسم العبادى وعلى محمد الخفاجى والد الشهاب وأخذ عن كثير سواهما ، وتخرج عليه كثير من العلماء وانتهت إليه الرياسة العلمية ، ولازمه وتخرج عليه ابن أخته الشهاب الخفاجى وسواه من أكابر العلماء ، ثم ابتلى بالفالج فمكث فيه سنين لايقوم من مجلسه إلا بمساعد وله عدة مؤلفات وله شعر رواه الشهاب فى الريحانة (١١٥ الريحانة) وتوفى سنة ١٠١٩هـ عقب طلوع الشمس من يوم الأحد ثالث ذى الحجة وبلغ من العمر نحو الستين ودفن بمقبرة المجاورين (راجع ترجمته فى الريحانة (١١٤ - ١١٧) . وفى الجزء الأول من خلاصة الأثر (٧٩ - ٨١) ، وفى الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا فى الكلام على شنوان (١٣٨ - ١٤٣ / ١٢) .

(٢) ترجم له فى الريحانة ص ١٩٥

(٣) هو محمد بن نجم الدين الصالحى الهلالى م ١٠١٢ هـ ١٦٠٣ م وله ديوان شعر اسمه «سجع الحمام فى مدح خير الأنام» طبع فى القسطنطينية سنة ١٨٩٨ =

« ثم ارتحلت مع والدى للحرمين وقرأت هناك على ابن جاد الله وعلى حفيد العصام وغيره (١) .

ثم ارتحلت إلى القسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضـــلاء والمصنفين واستفدت وتخرجت عليهم ، وممن أخذت عنه الرياضيات وقرأت عليه إقليدس وغيره أستاذى ابن حسن ، ثم انقرض هؤلاء العلماء فى مدة يسيرة فلم يبق بها عين ولا أثر، وآل الأمر إلى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء وإهانتهم . ولما عدت إليها — أى القسطنطينية — ثانيا بعدما وليت قضاء العساكر بمصر رأيت تفاقم الأمر وغلبة الجهل فذكرت ذلك للوزير فكان ذلك سبب عزلى وأمرى بالخروج من تلك المدينة(٢) .

« فإن أردت مالى من المآثر من تأليف : الرسائل الأربعون، وحاشية تفسير القاضى فى مجلدات ، وحاشية شرح الفرائض، وشرح الدرة ،وطراز المجالس، وحديقة السحر، وكتاب السوانح ، والرحلة(٣) . وحواشى الرضى، والجامى . وشرح الشفاء وغير ذلك : ولى من النظم ما هو مسطور فى ديوانى : ومن المنثور رسائل منها : الفصول القصار (٤) والمقامة الرومية (٥) التى ذكرت فيها أحوال الروم وعلمائها (٦) » .

= (٣٩٣ اكتفاء القنوع) .

(١) راجع ٢٧٢ الريحانة وترجم له فى الريحانة ص ٢٠٥

(٢) راجع ٢٧٣ الريحانة .

(٣) قرأه عليه تلميذ الشهاب اسمه عبدالقادر وأجازه الشهاب بماله من التآليف والآثار وما رواه عن مشايخه الأخيار (راجع ٢٨٦ الريحانة ، وعبد القادر هذا هو عبد القادر البغدادى نزيل القاهرة وتلميذ الشهاب وصاحب خزانة الأدب وتوفى سنة ١٠٩٣ (٣٠٦ فنديك) .

(٤) نسج فيها على منوال ابن المعتز وذكر منها جزءا فى الريحانة (٢٨١ - ٢٨٥

(٥) راجعها فى الريحانة ٢٧٦ - ٢٨١

(٦) ص ٢٢٦ الريحانة

وللشهاب عدة مقامات نسج فيها على منوال مقامات الحريرى منها : مقامة الغربة (١) ، والمقامة الساسانية (٢) ، ومقامة عارض بها مقامة الوطواط (٣) ، والمقامة المغربية (٤) .

« وله كتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، وكتاب ديوان الأدب فى ذكر شعراء العرب ذكر فيه مشاهير الشعراء من العرب العرباء والمولدين .. وله كتاب طراز (٥) المجالس وهو مجموع حسن الوضع جم الفائدة رتبه على خمسين مجلسا ذكر فيه مباحث لغوية ونحوية وأصولية وتفسيرية ، وله رسائل كثيرة ومكاتبات وافرة لم يجمعها ، ومقامات ذكر بعضها فى ريحانته (٦) » .

« وكان لما وصـــل إلى الروم فى رحلته الأولى ولى القضاء ببلاد « الروم ايلى » حتى وصل إلى أعلى مناصبها فى زمن السلطان مراد حتى اشتهر بالفضل الباهر فولاه السلطان قضاء سلانيك فاستفاد مالا كثيرا ثم أعطى بعدها قضاء مصر وبعد ماعزل عنها رجع إلى الروم فمر على دمشق وأقام بها أياما ومدحه فضلاؤها بالقصائد واعتنى به أهلها وعلماؤها ، ودخل حلب إثر ذلك ثم رحل إلى الروم وكان إذ ذاك مفتيها يحيى بن زكريا فأعرض عنه فصنع مقامته التى ذكرها فى الريحانة وتعرض فيها للمولى المذكور فكان ذلك سبب نفيه إلى مصر وأعطى قضاء فيها فاستقر بمصر يؤلف ويصنف

---

(١) راجعها فى الريحانة (٢٨٦ - ٢٩٠) وذكر شرحا موجزا لبعض مافيها من معان غريبة (راجع ٢٩٠ - ٢٩٢)

(٢) راجعها فى الريحانة (٢٩٢ - ٢٩٥)

(٣) راجعها فى الريحانة (٢٩٥ - ٢٩٨)

(٤) راجعها فى الريحانة (٢٩٨ - ٣٠٠) وشرحها فى الريحانة (٣٠٠ - ٣٠٩)

(٥) طبع فى القاهرة ١٢٨٤

(٦) ٣٣٣ ج ١ خلاصة الأثر

وأخذ عنه جماعة اشتهروا بالفضل الباهر ، منهم : عبد القادر البغدادى والحموى وأخذ عنه والدى وكتب عنه أصل الريحانة الذى سماه « خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا (١) » ، « وأصل والده من سرياقوس قرية من قرى الخانقاه (٢) » .

« ومنى الشهاب بعداوة بعض شعراء عصره (٣) » ، « وتوفى سنة ١٠٦٩ هـ - ١٦٠٨ م » ، (٤) فى رمضان وعمره فوق التسعين (٥) » .

وإذا يكون ميلاده حوالى سنة ٩٧٥ هـ

مكانته العلمية :

« الشهاب الخفاجى الحنفى قاضى القضاة المصرى وصاحب التصانيف الكثيرة وأحد الأفراد المجمع على إمامته وتفوقه وبراعته فى عصره (٦) » .

أجرى من ينبوع الفضل ما أخجل بمصر نيلها وبالشام سيحانه ، وأهدى لأرباب الأدب من رياض أدبه أطيب ريحانة (٧) .

وكان أحد أفراد الدنيا المجمع على توفقه وكان فى عصره بدر سماء العلم ونير أفق النثر والنظم ، رأس المؤلفين ورئيس المصنفين ، سار ذكره مسير المثل ، وطلعت أخباره طلوع الشهب فى الفلك ، وكل من رأيناه أو سمعنا به ممن أدرك وقته معترفون له بالتفرد فى التقرير والتحرير وحسن الانشاء

---

(١) ٣٣٣ و ٣٣٤ ج ١ خلاصة الأثر
(٢) ٣٤٣ ج ١ خلاصة الأثر
(٣) ٤٢٧ السلافة لابن معصوم
(٤) ١١٥ فنديك
(٥) ٥٨٨ ج ١٠ البستانى
(٦) ٥٨٧ ج ١٠ البستانى
(٧) ٤٢٠ السلافة لابن معصوم

وليس فيهم من يلحق شأوه ولا يدعى ذلك . وتآليفه كثيرة مقبولة وانتشرت فى البلاد ورزق فيها سعادة عظيمة فان الناس اشتغلوا بها ، وأشعاره ومنشآته مسلمة لا مجال للخدش فيها . والحاصل أنه فاق كل من تقدمه فى كل فضيلة وأتعب من يجىء بعده مع ماخوله الله من السعة وكثرة الكتب ولطف الطبع والنكتة والنادرة (١) .

وهذا يغنينا عن كل كلام فى بيان منزلة الشهاب الخفاجى فى عصره وبعده عصره (٢).

ثقافة الشهاب :

أما ثقافة الخفاجى الأدبية فواسعة جدا تنبئنا عنها الريحانة وطراز المجالس أحد مؤلفاته ويدلنا عليها أيضا شعره ومقامته ؛ ولقد كان الخفاجى متضلعا فى علوم اللغة والأدب والبلاغة إلى حد بعيد .

وأما ثقافته الدينية فقد أهلته لتولى عدة مناصب قضائية عظيمة منها منصب قاضى القضاة المصرى .

وأما ثقافته العامة الأخرى فواسعة جدا كما تنبئنا عنها آثار الخفاجى

---

(١) ٣٣١ و ٣٣٢ جـ ١ خلاصة الأثر للمحبى م ١١١١ هـ ، و ص ٧ جـ ١ من حاشية الشهاب على البيضاوى

(٢) ويقول ابن معصوم عن عبد القادر البغدادى تلميذ الشهاب : إنه أخذ العلوم عن جمع من مشايخ الأزهر أجلهم الشهاب الخفاجى ، وأكثر لزومه كان للخفاجى ، قرأ عليه كثيرا من التفسير والحديث والآداب ، وأجازه بذلك وبمؤلفاته ، وكان الخفاجى مع جلالته وعظمته يراجعه فى المسائل الغريبة ، ويقول البغدادى : جميع ماحفظته قطرة من غدير الشهاب الخفاجى ، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه ، ولما مات الشهاب تملك أكثر كتبه (٢ : ٤٥٢ خلاصة الأثر) .

وكما ذكر فى ترجمته لنفسه وكانت له مكتبة مشهورة ، وذكر بعضهم أنه وجد فى مخلفاته عشرة آلاف مجلد .

نثره :

عاش الخفاجى فى آخر عصر المماليك حيث الملكات الأدبية فى اضمحلال وفناء والإنتاج الأدبى فى الشعر والنثر سقيم مرذول ؛ ولكن الخفاجى مع هذا كله سليم العبارة قوى الملكة حسن الأسلوب بليغ الأداء يسير كلامه مع الطبع والذوق ولا تنبو عنه الأسماع ولا الأذواق فهو فى نثره : رسائله ومقاماته وكتبه الأدبية التى ألفها ـ زعيم عصره فى هذا المذهب الأدبى المطبوع المقبول البعيد عن أثر الصنعة والتكليف أو الحوشية والأغراب أو السوقية والابتذال .

شعره :

للخفاجى ديوان شعر مفقود ذكره فى الريحانة وقد عثرنا بعد ذلك على نسخة خطية منه بمكتبة الأزهر (بنمرة ٥٠٥ خصوصية أدب أباظه) وهى فى ٢٦٦ ورقة والديوان مكتوب بخط جميل عام ١٠٨٩ هـ ، وفى أوله مقدمة بقلم الشهاب نفسه جاء فيها : إنى فرع بسق من جرثومة خفاجة المعز من فتية تفيأت ظلال المجد ، وحلت مابين تهامة وسراة نجد وله عدا ذلك شعر كثير جدا ذكره فى كتابه الريحانة وفى كتابه طراز المجالس .

وله مقصورة فى مدح النبى صلوات الله عليه عارض بها مقصورة ابن دريد قصائد أخرى فى هذا المعنى ضمن مجموعة مخطوطة بدار الكتب (٧٦ مجاميع (١)) ومقصورته فى مدح النبى عارض بها مقصورة زهير ابن أبى

---

(١) راجع الجزء الثالث من فهرس دار الكتب حيث قال : « قصائد =

سلمى ضمن ترجمة له وعدة أشياء أخرى من آثاره ألحقت بكتاب خبايا الزوايا المخطوط (١) وروى المحبى فى خلاصة الأثر بعض شعره ، قال : (٢) ومن أجود شعره قصيدة دالية مشهورة ، مطلعها :

قدحت رعود البرق زندا ... أضرمن أشجانا ووجدا
فى لجة الظلماء إذ ... مدت على الخضراء بردا
حتى تثاءب نوره ... وتمطت الأغصان قدا

ومنها :

مالى أقيم ببلدة ... فيها بناء الدين هدا
وبها الشهاب إذا سما ... يخشى من السلطان طردا

مؤلفات الخفاجى :

١ — الريحانة واسمها «ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا» ، ويقول فيها الشهاب هذه ذخائر من خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا (٣) ، وقد سار عليها هذا الاسم أيضا (٤) .

وهى تراجم دبية واسعة لشعراء القرن الحادى عشر وأدبائه وعلمائه فى مصر والشام واليمن والحجاز والمغرب ، قسمها عدة أقسام :

فالقسم الأول فى تراجم أهل الشام ونواحيها .

= الخفاجى ١٠٦٩ ، وذكر فيها ميميته التى عارض بها معلقة زهير ، ومقصورته التى عارض بها ابن دريد ، وخمس قصائد أخرى فى مدح الرسول .

(١) بالدار (٨٤ و ١٣١٢ و ٤٦٩٧) أدب

(٢) ٣٣٦ وما بعدها جـ ١ خلاصة الأثر

(٣) ص ٦ من الريحانة

(٤) ولكن للشهاب كتاب آخر بهذا الاسم سنذكره عما قليل

والقسم الثانى فى تراجم العصريين من أهل المغرب وما والاها .

والقسم الثالث فى تراجم مكة ومن بحماها ذكر فيه الدولة الحسينية ومن بها من بقية العلماء والشعراء والأعيان .

والقسم الرابع فى ترجمة أهل اليمن ممن بلغه خبره فى هذا الزمان ممن بقى بها من الفضلاء والشعراء وكان قريب العهد .

والقسم الخامس فى الترجمة لأدباء وعلماء مصر .

والقسم السادس فى الترجمة لنفسه .

وقد أثنى عليها كل العلماء ورجال الأدب ويقول فيها ابن معصوم :

« أهدى إلى من مكة المشرفة كتاب ريحانة الألبا تأليف العلامة النحرير، شهاب الدين الخفاجى وهو الشهاب الذى أضاء نور فضله فى هذا الزمن الداجى ، فرأيته قد أجاد فيها ألف وتكفل بالمقصود وما تكلف فلله كتابه من ريحانة تنفست فى ليلها البارد. وعطرت معاطس الأسماع بطيب نشرها الوارد حتى خاطبها كل كلف بالأدب راح اعرفها منتشقا الخ» (١) . وقد حققها ونشرها عبد الفتاح الحلو فى جزءين .

« وقد بنى الخفاجى الريحانة على التراجم ولكنه توسع فى تراجم الشعراء فشرح أقوالهم ونقد مايستحق النقد منها وهو كتاب أدب وتاريخ جليل الفائدة (٢) .

وقد ذيلها المحبى صاحب خلاصة الأثر م ١١١١ هـ بكتاب سماه « نفحة الريحانة » وقد طبعت الريحانة فى مصر سنة ١٢٩٤ هـ فى ٣٢٨ صفحة وهذه

---

(١) ص ٨ من السلافة .
(٢) ٢١٠ جـ ٣ الأدب العربى لمحمود مصطفى .

الطبعة المذكورة هى التى نقلنا منها ماذكرناه عن الشهاب ثم طبعت مرة أخرى سنة ١٣٠٦ ﻫ فى ٤٢٣ صفحة .

٢ — حديقة السحر أشار إليه الشهاب فى الريحانة (١) .

٣ — الفصول القصار وأشار إليه الشهاب فى الريحانة (٢) .

٤ — الشهب السيارة (٣) .

٥ — طراز المجالس كتاب أدب ولغة بناه على خمسين مجلسا (أى درسا) بحث فيها كثيرا من موضوعات البلاغة والنقد والأدب واللغة والتفسير والحديث والتاريخ وسواها وقد طبع فى القاهرة سنة ١٢٨٤وطبع بطنطا طبعة أخرى وقد أشار إليه الخفاجى فى الريحانة (٤) .

٦ — خبايا الزوايا فيا فى الرجال من البقايا ، وهو من كتب الأدب ولكنه متضمن تراجم من أهل عصره فيهم شيوخه وشيوخ ابنه وعددهم يزيد على سبعين ومنه عدة نسخ خطية بدار الكتب (٥) ؛ وهو خمسة أقسام وخاتمة : الأول فى رجال الشام والثانى فى رجال الحجاز والثالث فى رجال

---

(١) راجع ص ٢٠ و ٣٨ و ٢٧٦ .

(٢) راجع ٢٧٦ و ٢٨١ .

(٣) راجع ١١٩ الريحانة .

(٤) راجع ص ٢٧٦ .

(٥) ٣١٠ / ٣ الأدب العربى لمحمود مصطفى ، ٩٢ / ٣ فهرس الدار (ومنها ثلاث نسخ بدار الكتب المصرية بنمرة ٨٤ ، ١٣١٢ ، ٤٦٩٧ أدب بدار الكتب) — ومنها نسخة خطية فى مكتبة الأزهر برقم ٢٨٣ أباظة ومنها نسخة خطية فى مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية برقم ١٣٠٦ .

مصر والرابع فى رجال المغرب والخامس فى رجال الروم (١) .

٧ — شفاء الغليل بما فى كلام العرب من الدخيل ، صدره بمقدمة فى التعريب وشروطه ثم أورد الكلمات المعربة مرتبة على حروف المعجم وبين أصلها فى لغاتها الأولى وكان يأتى بين هذه الألفاظ بكثير من الحروف والمولد مع الإشارة إلى أصلهما والكتاب نافع عظيم الفائدة فى بابه (٢) وقد طبع الشفاء فى مصر سنة ١٢٨٣ فى ٢٤٥ صفحة ثم طبعته دار الكتب أخيرا فى مجلد كبير الحجم .

٨ — شرح درة الغواص فى أوهام الخواص وهو نقد شديد للحريرى تعقبه فيه فى كل ما أورده فى « درة الغواص » ورد عليه بحجج وشواهد قوية . وقد طبع هـذا الكتاب فى مطبعة الجوائب بالقسطنطينية من مدة كبيرة (٣) .

٩ — حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى سماها « عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى » طبعت فى ثمانية أجزاء ببولاق سنه ١٢٨٣ هـ فالجزء الأول والثانى فى تفسير البقرة ، والثالث والرابع إلى آخر التوبة .

والخامس والسادس إلى آخر الفرقان .

والسابع إلى آخر الزخرف .

---

(١) والخاتمة فى نظم المؤلف وشعره، وقد فرغ من تأليفه فى ٢٥ ربيع الثانى سنة ١٠٤٢ هـ . ويليها ترجمة المؤلف وقصيدة نبوية عارض بها معلقة زهير .
(٢) راجع ٣٠٨ / ٣ ، الأدب العربى لمحمود مصطفى .
(٣) وللألوسى م ١٢٧٠ هـ مفتى بغداد كتاب على الدرة سماه كشف الطرة عن الغرة أخذ فيه كثيرا عن شرح الخفاجى ووافقه فى كثير من نقده للحريرى.

والثامن هو نهاية هذا الكتاب .

وقد طبع بتصحيح الشيخ محمد الصباغ فى عهد الخديوى إسماعيل عام ١٢٨٣ هـ ، وفى آخر الجزء الثامن قصيدة للسيد عبد الهادى نجا تقريظا للكتاب.

وفى مقدمة الجزء الأول منه تقريظ للشيخ محمد الدمنهورى .

ومنها نسخة مخطوطة بدار الكتب فى ثلاثة أجزاء كتب عام ١٢٤٣ هـ وهى برقم ٢٣١٠٢ فى مكتبة الأمير إبراهيم حلمى .

١٠ — وللخفاجى شرح للشفاء سماه « نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض » وقد طبع فى أربعة أجزاء فى القسطنطينية سنة ١٢٦٧ هـ ، وقد فرغ الشهاب من تأليفه عام ١٠٥٨ هـ .

١١ — ومن مؤلفاته : كتاب الرحلة ، وكتاب السوانح (١) وكتاب حديقة السحر ، وكتاب الرسائل الأربعون، وكتاب حاشية شرح الفرائض وكتاب حواشى الرضى والجامى ؛ مما ذكرناه سابقا .

١٢ — وللخفاجى ديوان شعر ، وله عدة مقامات ورسائل أوردها فى الريحانة .

وقد ذكر جورجى زيدان أن فى الخزانة التيمورية نسخة من ديوان الشهاب فى نحو ٢٠٠ صفحة بخط المؤلف على الأرجح .

وله قصائد مختلفة فى برلين والمكتبة الخديوية .

---

(١) ومنه نسخة خطية بمكتبة الأزهر (نمرة ٦٥٣ خصوصية أدب) ، وهى بخط الشهاب وخطها ردىء ، فى ٣٧٦ ورقة . والكتاب معارف عامة ، وفى المكتبة أيضا نسخة خطية من ديوانه (بنمرة ٥٠٥ خصوصية أدب) . وللشهاب الخفاجى حاشية على شرح السيد الشريف الجرجانى على القسم الثالث من المفتاح ومنها نسخة خطية مكتوبة عام ١٠٦٤ هـ ، بدار الكتب المصرية .

وله كتاب ريحانة النار أو ذوات الأمثال يتضمن كل بيت مثلا وهو فى باريس .

وقد سبق أن نقلنا عن « تاريخ الأدب العربى » مايتضمن أن له ابنا ترجم الشهاب لشيوخه فى كتابه خبايا الزوايا ، وليس لدى الآن شىء عن تاريخ ابنه .

أحفاد الشهاب فى شنوان :

وفى الخطط التوفيقية فى الكلام عن (١) شنوان مايأتى :

ومن ذرية الشيخ شهاب الدين المتقدم ذكره عبد الفتاح افندى صبرى (الخفاجى) تربى بالمهندسخانة الخديوية ثم نقل من هذه المدرسة فى أواخر سنة ١٢٦٩ هإلى آلاى المهندسين للحصول على التعليمات والفنون الحربية ثم ترقى إلى ملازم ثانى بالآلاى المذكور ثم نقل إلى هندسة الاستحكامات بقلعة القناطر وبلغ فيها رتبة اليوزباشى، والآن — أى سنة ١٢٦٢ ه ، هو رئيس هندسة القناطر الخيرية برتبة صاقول أغاشى » .

وإذا فذرية الشهاب الخفاجى قد بقيت إلى العصر الحديث .

وكل ما أستنتجه من هذا أن والد الشهاب كان من شنوان — وهى إحدى قرى المنوفية — ثم أقام بأرض له بجوار سرياقوس ، وأن الشهاب كان له ذرية كبيرة بقيت إلى العصر الحديث وذريته هذه هى بقايا أسرة خفاجى الموجودة الآن بشنوان (٢).. وأخيرا فان التراث العلمى والأدبى

---

(١) ١٣٨ - ١٤٣ ج ١٢ الخطط .

(٢) لشنوان حديث فى المجد والتاريخ طويل ، وقد ذكر الجبرتى عنها فى حوادث سنة ١٢٢٣ ه أن منها الفقيه العلامة محمد الشنوانى الشافعى الأزهرى =

الشهاب الخفاجى كبير ضخم وعظيم خالد وهو فى حاجة إلى البحث عنه والعناية به، وربما تتيح لى الظروف مجالا للتنقيب عن آثاره العلمية فى مكاتب القاهرة العامة لنشرها إن شاء الله . رحم الله الخفاجى وطيب ذكراه، وأكرم مثواه ، فلقد خدم الدين والعلم والأدب أجل الخدمات .

هذا وقد توفى الخفاجى عام ١٠٦٩ هـ ، وفى الترجمة المدونة فى أول حاشيته على البيضاوى أنه توفى وقد أناف على التسعين فاذا كان قد مات فى سن الرابعة والتسعين فيكون ميلاده نحو عام ٩٧٥ هـ

نماذج من شعره :

١ — أرح طرف عين جفاها الهجوع ... فان عناء الجفون الدموع
حسبت كؤوس الهوى سحرة ... وساق المنى لمرادى مطيع
إلى حين غابت نجوم الهدى ... فكان لها فى عذارى طلوع
تقنعت بالوصل من طيفه ... وكل محب لعمرى قنوع
ولى عنده حاجة للهوى ... وليس لها غير ذلى شفيع
رهنت فؤادى على حبه ... فما باله لفؤادى يضيع
ثقيل المحاسن فى ظله ... وماء الجمال عليه يشيع
٢ — قلت(١) للندمان لما ... مزقوا برد الدياجى

— شيخ الإسلام بعد موت الشيخ الشرقاوى وقد تولى المشيخة عام ١٢٢٧ هـ وتوفى فى ٢٤ من المحرم سنة ١٢٣٣ هـ (١٣٥ - ١٣٧ كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر) وقد يكون هذا الإمام العالم العظيم من أحفاد الشهاب ومن سلالة الخفاجيين فى شنوان . وسنراجع حياته وما كتب عنه لتحقيق ذلك .
ومن شنوان خرج أيضا كثير من العلماء والأدباء والشعراء .

(١) ٢٣٩/١

قتلتنا الراح صرفا فاقتلوها بالمزاج

٣ — ومن شعره(١) :

لا وغصن راق للطرف ورق وعليه حلل الظرف ورق
وشموس لم تغب عن ناظرى والشعور الليل والخد الشفق
وعيون حرمت نومى وما حللت لى غير دمعى والأرق
ما احمرار الراح إلا خجل من رضاب سكرت منه الحدق

٤ — وله أيضاً(٢) :

قل للأحبة أنتم مذ غبتم لم ألق وجها للسلو جميلا
فجعلت أيام الوصال قصيرة ولبست ليلا للهموم طويلا

٥ — وله(٣) :

سلا بانة الوادى لدى المنزل الرحب متى فقدت غر المناقب من صحبى
فهل لى فى حماها نفحة عنبرية قد استودعتها الريح من نفس الركب
وهل بين أطلال الرسوم ونؤيها حمائم بان فى الربى طيرت لبى
وهل من عهود قد تقضت بقية يوفى بها حقى ويقضى بها نحبى
سقى الله عهدا للأحبة صيبا من الطرف تغنيه عن الوابل السكب
وهيف غصون جادها هاطل الغنى فتنبت أوراقا من الشجر القضب
وكل خليل رقرق الود صافيا فكل ملام فى محبته يصبى
أصدق فيه الظن من ضنتى به على كل شىء قد عرفت سوى قلبى
وما ذاك من سوء الفعال جبلة فكم جاء سوء الظن من شدة الحب

وبعد فشعر الخفاجى كثير وقوى الأسلوب واضح المعنى كثير ألوان

---

(١) ١٤٣ السلافة لابن معصوم .
(٢) ٤٢٥ السلافة لابن معصوم ،
(٣) ١٢٤ الريحانة

الخيال ، ينم عن ثقافة صاحبه وعقليته وشخصيته ، والخفاجى ولا شك بين شعراء القرن الحادى عشر زعيم الشعر والشعراء(١)

التاريخ الحديث
للخفاجيين فى شنوان

ونحن لا نعلم شيئا عن التاريخ الحديث للخفاجيين فى شنوان بعد الشهاب إلا ما نقلناه عن الخطط التوفيقية عن حياة عبد الفتاح صبرى الخفاجى أحد أحفاد الشهاب .

وكنت عازما على زيارة الخفاجيين فى شنوان لتحقيق حياتهم الحاضرة وتسجيلها فى هذا الجزء ، ولكنى أرجأت ذلك إلى الغد القريب ، وسأنشر خلاصة بحثى عنهم إن شاء الله .

---

(١) ومن تلاميذ الشهاب : البغدادى صاحب خزانة الأدب المتوفى عام ١٠٩٣ هـ ، وأديب عصره محمد بن عمر الخوانكى (٩٦ جـ ٣ تاريخ الجبرتى) .

تاريخ أسرة خفاجى بدمياط

أصل الأسرة التاريخى :

المصدر الأول الذى وجدناه فى أصل الأسرة التاريخى والذى اعتمدنا عليه فى كتابة هذا البحث هو « نسبة شرف يعلم منها اتصال أسرة خفاجى بدمياط بسيدنا ومولانا الحسين رضى الله عنه(١) مستخرجة من مخلفات المغفور له الأستاذ الكامل الشيخ على العلايلى سبط الأستاذ النور الشيخ على خفاجى عليه سحائب الرحمة والرضوان » . .

وتصل هذه النسبة إلى الشريفة صافية زوجة الأمير على خفاجى ووالدة الشريف محمد جلبى خفاجى وجدة الشريف حسين خفاجى والد المرحوم « الأستاذ الكبير والعلم الشهير شيخ الإفتاء والتدريس الذى سار به المثل فى الأقطار العلامة الشيخ على خفاجى كساه الله ثياب الرحمة والرضوان » .

ومن هذه الوثيقة التاريخية الخطية نستمد كثيراً من المعلومات فى موضوعنا الذى نبحثه .

يرجع بدء تاريخ هذه الأسرة العريقة إلى هجرة أحد أجداد « الأمير على الشوربجى خفاجى » من الشام وإقامته بثغر دمياط وكان من نسل الأمير ونسل إخوته وأقاربه هذه الأسرة الكريمة . . . والتاريخ المعروف للأسرة يبتدىء من أول القرن الثانى عشر الهجرى أى من بعد عام ١١٠٠ هـ .

---

(١) هذا من ناحية الأمهات طبعاً .

الأمير على ألفوربجى خفاجى

يحمل أبناء هذا الأمير وأبناء أعمامه فى ألقاب أسراتهم النسبة إلى حلب ، وحلب مدينة من عواصم الدولة الإسلامية ، وعاصمة ملك الحمدانيين والكلابيين ، وموطن من مواطن الخفاجيين ، ومن ذلك نستنتج أن هذا الأمير من بنى خفاجة الذين هاجروا من الكوفة واستوطنوا حلب من أجيال بعيدة ، ولا يبعد أن يكون من سلالة الأمير ابن سنان الخفاجى الذى بسطنا الكلام عليه فى البحوث الماضية ، أو من سلالة أبناء أعمام ابن سنان ، فهو إذا إما أن يكون من سلالة بنى حزن الخفاجيين التى كان منها ابن سنان ، أو من سلالة بنى كعب أبناء عمومة ابن سنان الأمير والذين كانوا يقيمون أيضا فى حلب وتحدث عنهم ابن سنان فى بعض قصائده .

وعلى أى حال فقد نشأ الأمير على خفاجى فى بيت عريق فى المجد والسؤدد وورث ثروة واسعة عن أسرته ، واستغل ماله الضخم فى حركة التصدير والاستيراد وتنقل بين القسطنطينية وبين ثغور البحر الأبيض المتوسط يرقب عمله التجارى الواسع ويعمل على نمو ثروته الكبيرة الضخمة ويساهم بماله ونشاطه فى خدمة البلاد الإسلامية . وصار للأمير بحسبه التليد وثروته الموفورة وبمواهبه الطيبة وأخلاقه الكريمة مركز أدبى ممتاز فى عصره الذى عاش فيه .

ولد الأمير فى ثغر دمياط التى هاجر إليها أحد أجداده فى ظروف لا نعلم للآن من أمرها شيئا ، ويمكننا أن نرجع تاريخ هذه الهجرة إلى القرن الحادى عشر ، أى إلى نحو عام ١٠٢٥ هـ .

ولقد كانت الصلة بين دمياط وحلب موجودة ، فهناك علماء من دمياط هاجروا إلى حلب ، وعلماء من حلب هاجروا إلى دمياط . . يحدثنا

التاريخ أن العالم الشيخ عبد الكريم الشراباتى الحلبي (١١٠٦ – ١١٧٨ هـ) تتلمذ على محمد بن محمد البدرى الدمياطى(١)، وكذلك عبد الكافى الحلبي م ١١٨٦ هـ تتلمذ على الشيخ أحمد الدمياطى(٢)، والشيخ عمر بن محمد المصرى م ١١٣٧ هـ هاجر إلى حلب وصار نزيلها(٣)، والشيخ عامر الشافعى المصرى هاجر إلى حلب(٤).

ولفظ جلبي كان شائعاً وهو نسبة إلى حلب، ومن علماء حلب العلامة سعدى جلبي من علماء حلب فى القرن الحادى عشر(٥)، وكذلك إبراهيم الجلبي المتوفى عام ١١٠٩ هـ، وقد أخذ المعقولات والمنقولات عن السيد الضرير وكان معيد درسه (٦).

كانت دمياط مولد الأمير على خفاجى وموطن إقامته ومجالا لأعماله الاقتصادية الكبيرة، وقبل ذلك هاجر إلى دمياط من حلب كثير من الأسر العريقة كأسرة البدرى التى منها عبد الله بن محمد البدرى المصرى م ٧٤٨ هـ وسواه.

وتزوج الأمير بعد أن بلغ سن الشباب السيدة الكريمة العلوية الشريفة صافية بنت الشريف أحمد ابن الشريف الحسيب النسيب السيد محمد (٧) بن سلامة بن محمد بن على بن صلاح الدين اللقيمى عين أعيان دمياط المحروسة والذى رحل كما فى نسبة الشرف الخطية – إلى دمياط سنة ٩٢١ هـ، وأعقب بها العقب الكثير الموجودين بدمياط إلى الآن.

(١) ٣/٦٣ سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر.
(٢) ٨٠ جـ ٣ المرجع (٣) ١٨٨ جـ ٣ المرجع
(٤) ٢٢٩ جـ ٢ المرجع (٥) ٥٥ جـ ١ سلك الدرر
(٦) ٢٨ جـ ١ المرجع

(٧) هو سبط الشريف نور الدين بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الحسنى المشهور بالمغربى الكحال ينتمى إلى عبد القادر الجيلانى الذى ينتمى إلى موسى الثانى بن عبد الله الرضا بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب سبط الرسول.

والشريف محمد جد الشريفة صافية كان متزوجا من أسرة علوية وقد رزق ثلاثة أبناء هم : يوسف ، ومحمد ، وأحمد والد الشريفة صافية ؛ والثلاثة والدتهم بنت الشريف أبي الربيع سليمان علم الدين بن الشريف أحمد شهاب الدين بن العلامة سراج الدين لأبي حفص عمر الحنفي القرشي ونائب الشرع الشريف بدمياط ، والجد الأعلى لأبي حفص هو علي بن علي أبي النجا بن زين العابدين بن عبد الخالق بن موسى القاسم بن جعفر الزكي بن علي بن العلا بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله .

وقد رزق الشريف يوسف عم الشريفة صافية الشريف محمد المدعو حمادة . ورزق عمها الثاني الشريف محمد أربعة أبناء هم : الشريف محمد ، والشريف قاسم ، والشريف أحمد البصير ، والشريف علي .

أما والد الشريفة صافية ، وهو الشريف أحمد ، فأعقب عدة أبناء هم : الشريفة صافية ، والشريف محمد السعيد ، والشريف مصطفى ، والشريف عمر ، والشريف عثمان ، والخمسة والدتهم بنت العلامة الكامل أبي هريرة عبد الرحمن ابن الإمام بقية السلف علي نور الدين بن غانم المقدسي القاهري المولد الخزرجي السعدي العبادي ، إذ هو ابن محمد بن محمد بن علي بن خليل ابن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن غانم المقدسي بن علي بن حسين ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي .

وقد ترجم الجبرتي لأبناء الشريف أحمد إخوة الشريفة صافية ونقل بعضه عنه علي مبارك باشا في الخطط التوفيقية ، قال : هؤلاء الأخوة الأربعة : مصطفى وعمر وعثمان ومحمد ، هم أولاد المرحوم أحمد بن محمد بن أحمد بن صلاح الدين اللقيمي الدمياطي الشافعي ، وكلهم شعراء بلغاء ،

ورابعهم الشيخ مصطفى اللقيمى (المتوفى عام ١١٧٣ هـ) هو أفضل النبلاء ، وأنبل الفضلاء ، بلبل دوحة الفصاحة وغريدها ، من انحازت له بدائعها : طريفها وتليدها ، الماجد الأكرم ، ومن محاسن كلامه وبديع نظامه مداميته الأرجوانية فى المقامة الرضوانية التى مدح بها الأمير رضوان كتخدا (١) ؛ وهى مقامة بديعة كبيرة نحو الكراستين ذكرها الجبرتى بتمامها (٢) . . إلا أن فى سلسلة نسب هؤلاء الإخوة التى ذكرها الجبرتى (بنو أحمد بن محمد ابن أحمد بن صلاح الدين اللقيمى) مخالفة لما نقلناه هنا عن نسبة الشرف الخطية التى تذكر أنهم بنو الشريف أحمد بن الشريف محمد بن سلامة ابن محمد بن على بن صلاح الدين اللقيمى والصحيح السلسلة التى وردت فى نسبة الشرف الخطية .

واقتران الأمير على خفاجى بالشريفة صافية المذكورة دليل على سمو مركزه الأدبى فى هذه المدينة ، إذ كانت سلالة الحسن والحسين لاتصاهر إلا بيوت المجد الرفيعة العماد .

لانستطيع أن نحدد التاريخ الذى ولد أو توفى فيه الأمير على الخفاجى . وإنما نستطيع أن نقول ولد فى القرن الحادى عشر الهجرى وأوائل القرن الثانى عشر .

والدليل على ذلك واضح ملموس فالجد الأعلى لزوجته الشريفة صافية وهو صلاح الدين اللقيمى قد هاجر إلى دمياط عام ٩٢١ هـ كما تقول نسبة الشرف الخطية وأقام بها ، فإذا علمنا أن بينه وبين الشريفة صافية خمسة آباء

---

(١) راجع ٥٧ / ١١ الخطط التوفيقية ، ٢٢١ / ١ الجبرتى - وراجع ترجمة العلامة مصطفى اللقيمى فى الجبرتى (٢٢١ - ٢٤٢ / ١ تاريخ الجبرتى) .

(٢) راجع ٢٢٢ - ٢٢٩ / ١ الجبرتى - وله قصيدة فى مدح الشيخ الحفنى (٣٠٢ / ١ تاريخ الجبرتى) .

نحدد لهم مدة تقارب قرنا ونصفا من الزمان ، وإذا كان اللقيمى توفى بعد عام ٩٢١ أو على الأرجح نحو عام ٩٤٥ هـ كان تاريخ ميلاد الشريفة صافية نحو عام ١٠٩٥ هـ ، وكان اقتران الأمير على خفاجى بها نحو عام ١١١٥ هـ .

والظاهر أن ميلاد الأمير كان نحو عام ١٠٩٠ هـ . ويؤيد هذا التحديد التاريخى الذى حددناه أن الشيخ مصطفى اللقيمى — وهو أخو الشريفة صافية — توفى كما ذكره الجبرتى (١) عام ١١٧٣ هـ (٢) .

وفى الجبرتى يذكر اسم على بيك الدمياطى وأنه مات عام ١١٥٧ (١٨٥ جـ ١ جبرتى) . ولقب بيك كان يطلق فى هذا العهد على كثير من الأمراء كما ترى فى تاريخ الجبرتى . فهل على بيك الدمياطى هذا هو الأمير على خفاجى؟ لايستبعد ذلك ، وعلى أى حال إن لم يكن هو ، فإن الأمير لابد أن يكون قد توفى نحو ١١٦٠ هـ ، على وجه التقريب . وإذاً فقد نشأ وعاش الأمير على خفاجى فى القرن الثانى عشر ، وتوفى بعد منتصف هذا القرن الثانى عشر بقليل .

ونحن لانعلم شيئا عن تاريخ شخصيات أخرى قبل هذا الأمير ، اللهم إلا شخصية الحاج يوسف خفاجى بن الحاج محمد خفاجى ، وإلا ابنه المرحوم إبراهيم بن الحاج يوسف خفاجى الذى كان يعاصر الأمير على الشوربجى . وعلى أى حال فقد أعقب الأمير على الشوربجى خفاجى من زوجته الشريفة صافية ابنة « محمد جلبى خفاجى » الذى سنتحدث عنه بعد قليل . لاندرى بعد هذا الأمير شيئا آخر من تاريخ الأسرة ، اللهم إلا

---

(١) راجع ترجمته وشعره ومقاماته فى مدح الأمير رضوان كتخدا فى الجبرتى جـ ١ ص ٢٢١ — ٢٤٢ ، وكان الشيخ مصطفى اللقيمى من ندماء الأمير رضوان ١٩٢ / ١ جبرتى .

(٢) ٢٤٢ / ١ الجبرتى .

ما تشير إليه نسبة الشرف الخطية من أنه ولد للأمير ابنه محمد جلبي خفاجى، وإلا مانقرؤه على هذه اللوحة التاريخية الموجودة بمسجد ولى الله سيدى محمد البدرى بدمياط ، ونصه : « أنشأه الخواجه(١) محمد والخواجة إبراهيم ولدى الحاج يوسف خفاجى عام ١١٠٦ هـ - ١٦٩٤ م (٢) » .

والظاهر أن الحاج يوسف خفاجى كان أحد أعمام الأمير على خفاجى الذين عاشوا فى ثغر دمياط وأقاموا بها واستوطنوها . وإذا فنستطيع أن نستخلص من ذلك النتائج الآتية .

١ — أن دمياط كانت موطنا لأسر علوية عريقة .

٢ — أن أسرة الأمير على خفاجى من حلب واستقرت بدمياط نحو عام ١٠٢٥ هـ ، وأن هذا الأمير تزوج بعد سيدة علوية هى الشريفة صافية، وقد أنجب منها ذرية كريمة منها الشريف محمد جلبى خفاجى (٣) .

٣ — أن تاريخ أسرة خفاجى بدمياط يبدأ من نحو ثلاثة قرون ونصف.

---

(١) خواجة معناه الماهر وهو لفظ تركى ، ونجد فى تاريخ حلب كثيرا من الشخصيات التى كانت تلقب بهذا اللقب كالإمام الشيخ إبراهيم بن الخواجا قاسم الحلبى الذى ولى قضاء أزمير وتوفى عام ٩٨٣ هـ (١٠٧ ج ٦ أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء) .

(٢) راجع الأهرام عدد ٢٣ / ٥ / ١٩٣٩ .

(٣) فى الجبرتى ٥ ٢ / ١ يذكر أنه مات أحمد جلبى بن الأمير على .
وقد يكون الجبرتى يشير بهذا إلى الأمير على خفاجى ، ويكون أحمد جلبى هذا ابنا من أبنائه ، الذين لم يرد لهم ذكر فى النسبة الخطية ، لأنه ليس من أبناء الشريفة صافية .

ويذكر الجبرتى أيضا (٢١٣ / ٢) أنه فى عام ١٢٠٥ هـ مات أحمد بن الأمير على ، وكان شابا لطيف الذات مليح الصفات ، ومات أيضا الأمير عثمان معتوق =

جلبي خفاجي

هو جلبي خفاجي بن المرحوم يوسف خفاجي بن محمد خفاجي (ص ٦٧ من كتاب جملة أحزاب) .

وهذه الشخصية ورد ذكرها في وقفية محررة عام ١١٧٩ هـ بهذا الاسم ، وقد اطلعت على نسخة أخرى لهذه الوقفية ، وفيها تذكر اسمه إبراهيم جلبي خفاجي (١) وهو إما أن يكون أخو الأمير علي خفاجي أو أحد أبناء عمومته ، وقد أعقب ابنه علي خفاجي الذي تزوج فيما بعد بالسيدة الثرية كافية بنت علي صاحبة إحدى وقفيات الأسرة الكبيرة . . . وابنه علي خفاجي أمه بنت الشيخ اللقيمي المشهور نسبه لعبد القادر الجيلاني (هامش ص ٦٧ من كتاب جملة أحزاب) ، والظاهر أنها أخت الشريفة صافية .

وعلى أي حال فقد كان يعيش في ثراء ونعمة وبجد يدل على ذلك وقفيته الكبيرة ، وقد اطلعت على نصها المحرر عام ١١٩٧ هـ ، وقد ترك من ابنه علي ذرية كبيرة وأحفاداً خالدين ، ويلقب في الوقفية بفخر أمثاله .

والظاهر أنه توفي نحو عام ١٢٣٠ هـ ، وتوفي ابنه علي نحو عام ١١٦٥ هـ بعد أن أعقب من زوجته السيدة كافيه ابنة علي خفاجي الذي تلقبه الوقفية أيضا بفخر أمثاله ، وأعقب علي هذا ابنه محمد وهبة خفاجي والد إسماعيل خفاجي وعلي (بك) خفاجي .

= المرحوم محمد جربجي وكان من أكابر بيتهم ، ومات أيضا الأمير رضوان صهر أحمد جلبي المذكور (ابن الأمير علي) .

(١) وكذلك ورد اسمه في كتاب « جملة أحزاب » ص ٦٧ .

الحاج يوسف خفاجى

لم نكن نعلم شيئا عن نسبه حتى اطلعنا على منظومة للسيد محمد خفاجى فى نسبه (١) أخيرا . ومن هذه المنظومة نعلم أنه والد إبراهيم جلبى خفاجى السابق ذكره ، ونستنتج أنه إما يكون والد الأمير على الشوربجى خفاجى وإما أن يكون أحد أعمامه ، وقد خلف ابنيه : إبراهيم جلبى خفاجى ومحمد خفاجى الذين أنشآ مسجد سيدى محمد البدرى بدمياط . وفى مقبرة الأسرة القديمة بدمياط مقبرة تحمل اسم يوسف بن يحيى خفاجى وتحمل تاريخ وفاته وهو رجب عام ١١١٥ هـ ، وطبعا هو غـــير الحاج يوسف خفاجى بن محمد خفاجى .

وقد توفى فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى أى بعد ١١٠٠ هـ بقليل. وتوفى ابناه المذكوران قريبا من منتصف هذا القرن المذكور .

وقد اطلعت على نص وقفية الحاج إبراهيم بن يوسف خفاجى المحررة عام ١١١٩ هـ ، وفيها مايلى : « فخر أمثاله المكرمين ، وذخر إخوانه المعظمين ، الأصيل الأمثل المكرم ، الخواجا الجليل المعظم ، المرحوم الحاج إبراهيم ابن فخر التجار يوسف بن المرحوم الحاج محمد الشهير نسبه الكريم بابن خفاجى ، أحد أعيان التجار ، هو كوالده بالثغر المذكور » .

ومن هذه الوقفية نعلم مايأتى :

١ — أن الحاج يوسف بن محمـــد خفاجى من أبناء عمومة الأمير على خفاجى وليس أخاله .

---

(١) ص ٦٧ من كتاب جلة أحزاب .

٢ - أن الحاج يوسف خفاجى تزوج الحاجة ظهور بنت المرحوم الحاج نصر الدين الطرابلسى ، وهى أم ابنه الحاج إبراهيم بن يوسف بن محمد خفاجى صاحب الوقفية المذكورة .

٣ - أن الحاج إبراهيم بن يوسف خفاجى عاش إلى ما بعد عام ١١١٩ هـ وأنه خلف ذرية هى أولاده : على شلبى القاصر الآن (أى عام ١١١٩ هـ) وهو من مستولدته أرنجة بنت عبد الله ، وفاطمة وصالحة البكران القاصرتان الآن وهما من زوجته المصونة عائشة بنت قدوة الأماثل المرحوم إبراهيم جوربجى خفاجى ابن المرحوم الأمـــير محمد جوربجى سردار طائفة الكوكالية (١) ، وبنت أخرى من زوجته معتوقة خديجة بنت عبد الله .

٤ - أن الحاج إبراهيم خفاجى ووالده يوسف بن محمد خفاجى كانا من كبار التجار بدمياط .

٥ - أن الحاج يوسف خفاجى ترك بنتين شقيقتين لابنه إبراهيم خفاجى وهما :

(١) حرم ابن ابن عمة الواقف (إبراهيم خفاجى) : فخر الأماثل والأعيان إبراهيم جور باجى بن المرحوم الأمير محمد جورباجى .

---

(١) بثغر دمياط ، والأمير محمد جوربجى هو ابن عمة الواقف الحاج إبراهيم ابن يوسف خفاجى ، وقد أعقب - كما ورد فى وقفية الشهابى أحمد محررة عام ١١٢٣ هـ - ابنه الشهابى أحمد سردار طائفة الكوكالية بالثغر بعد أبيه ، وابنه الآخر إبراهيم جوربجى ، وهما أشقاء . . . والأمير محمد جوربجى ، أيضا كما فى وقفية الشهابى - أخت شقيقة هى حرم مصطفى جوربجى ؛ ومن أسرة هذا الأمير : عبد الرحمن بن المرحوم ناجى جوربجى سردار طائفة الكوكالية بالثغر (راجع وقفية الشهابى أحمد) .

(ب) حرم فخر أمثاله محمد بن مصطفى العلايلي وقد أعقبت منه ابنها فخر أمثاله سيدى محمد .

محمد جلبي خفاجي

والده الأمير على الشوربجى خفاجي ووالدته الشريفة صافية من سيدات البيت العلوى الشريف .

ولد نحو عام ١١٢ هـ ، وعاش فى ثراء والده وبجده تزوج وأعقب ابنه المرحوم حسين جلبي خفاجي ثم تزوج بعد ذلك السيدة كافية بنت على بعد موت زوجها على خفاجي ابن فخر أمثاله جلبي خفاجي

ولدينا نص وقفية هذه السيدة المحررة عام ١١٧١ هـ وكان من شهودها « فخر أمثاله محمد جلبي خفاجي ابن فخر الأعيان المعظمين الأمير على جوربجى - أو شوربجى - خفاجي زاده » ، ونصت فى الوقفية على أن النظر فيها « للواقفة طول حياتها ثم من بعدها لولدها على بن على جلبي خفاجي وهو ولدها من زوجها المرحوم على جلبي خفاجي بن المرحوم فخر أمثاله جلبي خفاجي ولذريته من بعده ثم من بعدهم لابنها من زوجها الآن : محمد جلبي خفاجي ، وهو ولدها إسماعيل جلبي المرضع الآن ، » وقد مات إسماعيل شابا ولم يترك ذرية له وربما يكون قد توفى قبل أن يبلغ سن الزواج .

وقد اطلعت على نص آخر لهذه الوقفية وفيه : على جلبي بن إبراهيم جلبي خفاجي : أما الشريف محمد جلبي خفاجي فقد توفى بعد عام ١١٧٩ وهو تاريخ الوقفية السابقة التى كان من شهودها هذا الشريف ، ونستطيع أن نقول إنه توفى نحو عام ١١٨٥ هـ بعد أن ترك عدة أبناء ، منهم إسماعيل جلبي ابنه من زوجته السيدة كافية ، ومنهم المرحوم حسين جلبي خفاجي ابنه من زوجته الأخرى .

حسين جلبي خفاجي

هو نجل المرحوم محمد جلبي بن المرحوم الأمير على خفاجي .

ولد نحو عام ١١٤٥ ، ونشأ نشأة دينية واسعة وعاش فى ثروة كبيرة وفى أعمال أسرته الاقتصادية الواسعة ، وكانت له مكانة أدبية ممتازة ، وتقول عنه نسبة الشرف الخطية «فخر أمثاله حسين جلبي» . . . خلف ثلاثة أبناء هم :

١ — العالم الخالد الشيخ على خفاجي

٢ — المغفور له الحاج محمد خفاجي

٣ — « « السيد رضوان خفاجي

وتوفى نحو عام ١٢٠٥ ﻫ .

على خفاجي

هو المرحوم على خفاجي ابن المرحوم جلبي خفاجي — وفى نسخة أخرى من وقفية السيدة كافية المحررة عام ١١٧٩ ﻫ «على جلبي بن إبراهيم جلبي خفاجي» — ابن الحاج يوسف خفاجي بن محمد خفاجي .

نشأ فى ظلال أسرته وعاش فى ثروة كبيرة وتزوج السيدة كافية وتوفى عنها نحو عام ١١٦٥ ﻫ بعد أن أعقب منها ابنه فخر أمثاله المرحوم على خفاجي بن على خفاجي بن جلبي خفاجي الذى ولد نحو عام ١١٥٠ ﻫ . وقد تزوج ابنه على خفاجي وأعقب نجله المغفور له المرحوم محمد وهبة خفاجي ، والظاهر أن على خفاجي بن على خفاجي بن جلبي خفاجي عاش إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى وأنه توفى نحو عام ١٢١٠ ﻫ .

الإمام الكبير الشيخ على خفاجى

هو المرحوم العالم الكبير والإمام الشهير الشيخ على خفاجى ابن المرحوم حسين خفاجى بن المرحوم محمد خفاجى بن الأمير على الشوربجى خفاجى .

ولد نحو عام ١١٧٠ هـ ، ونشأ فى مجد أسرته وثرائها الضخم ، ثم حفظ القرآن الكريم ، وتلقى علومه الدينية على فطاحل العلماء وكبار الشيوخ فى عصره ، ثم استقر بدمياط إماماً للافتاء فيها وقاضيا لها وشيخ علمائها وإماماً للطرق الصوفية الموجودة بها ، وتقول عنه نسبة الشرف الخطية « الأستاذ الكبير والعلم الشهير ، شيخ الإفتاء والتدريس ، الذى سار به المثل فى الأقطار ، العلامه الشيخ على خفاجى .

عاصر عصر محمد على ، واشترك فى الشئون السياسية العامة فى عصره ، ووشى به مرة إلى محمد على فغضب عليه الأمير وكاد يقتله ، فهاجر الشيخ مستخفيا إلى الحجاز ، وأقام بمكة ، وألقى كثيرا من الدروس الدينية فى الحرم الشريف ، ثم هاجر إلى القسطنطينية ، وشفع له إلى محمد على إمام الإسلام فيها ، كما أعجب محمد على بشخصيته الفذة ومكانته العلمية الكبيرة بين علماء عصره ، فعفا عنه وعاد الشيخ إلى وطنه من جديد .

أخذ عنه كثير من العلماء ومنهم « سبطه المغفور له الأستاذ الكامل الشيخ على العلايلى(١) » العميد الأول لأسرة العلايلى المجيدة بدمياط . وشهر الشيخ بالعزة والإباء وكرامة النفس وجلال الذكر وعظمة الخلق ، وطارت شهرته فى سائر البلاد ، وحدث أن وقع مرة بينه وبين والى دمياط (أو محافظها كما نقول الآن) سوء تفاهم ، فلف

---

(١) راجع نسبة الشرف الخطية .

الشيخ ألا يقيم فى المدينة مادام خصمه فيها ، وذهب إلى طنطا فأقام بجوار السيد البدوى(٢) حينا حتى خرج الوالى من المدينة ، فجاء أعيان دمياط إلى الشيخ يرجون عودته إليها فعاد فى موكب ضخم من مواكب المدينة الحاشدة الخالدة .

كان للشيخ دروس عامة يلقيها بمساجد المدينة وكانت له حلقات صوفية يجلس فيها إلى الناس مرشدا وهادياً ومهذباً للأخلاق ومطهرا للنفوس .

وعكف على المطالعة والدراسة والتأليف والعبادة وإحياء الحفلات الصوفية العامة والسعى فى طرق الخير وسبل المعروف ، واستمر على ذلك إلى أن توفى — عليه رحمة الله — نحو عام ١٢٤٥ هـ .

---

(١) هو كما فى نسبة الشرف الخطية : الشريف سيدى أحمد البدوى بن على ابن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن محمد التقى بن الحسين العسكرى بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين سبط الرسول الأعظم .

ولكننى عثرت على نسبة خطية للسيدى البدوى تخالف ماهنا بعض المخالفة ففيها أنه سيدى أحمد البدوى بن على البدرى بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن عمر بن عثمان ، فى حين أن المصدر الأول يجعل عثمان جده الأول ، وتقول هذه النسبة الخطية الثانية : إنه ولد بفاس من بلاد المغرب سنة ٥٨٦ ، ورحل به والده منها عام ٥٩٣ هـ فوصل إلى مصر ، ومنها هاجر إلى مكة سنة ٥٩٧ ، ثم استقر بمصر وتوفى ودفن بطنطا . ومحمد الجواد هو جد سـيدنا الرفاعى أيضا إذ هو القطب الربانى سيدى أحمد الرفاعى بن الحسين بن يحيى بن ثابت بن خازم بن الحسن بن المهدى بن القاسم بن الحسين بن أحمد الأكبر ابن إبراهيم المرتضى بن أحمد بن موسى المبرقع بن محمد الجواد (راجع نسبة الشرف الخطية) ، وتوفى الرفاعى سنة ٥٧٨ هـ .

وكان الشيخ — رحمه الله — من كبار العلماء وكان واسع الثروة ، واسع الجاه والمروءة ، عظيماً في نفسه وفي خلقه وفي دينه وعلمه .

وأعقب رحمه الله بنتين هما :

١ — الشريفة جلسن تزوجت الشيخ العلايلي الكبير وخلفت منه المرحوم علي العلايلي الذي تتلمذ على جده الخالد الشيخ علي خفاجي ثم ورث عنه مكتبته وتآليفه ومناصبه الدينية ومنها مشيخة العلماء بدمياط ، وإمامة الطرق الصوفية فيها . ثم تخلى عن مشيخة العلماء واستمر في مشيخة الطرق يحيي سنة جده العظيم ويقيم الشعائر الدينية في عظمة وأبهة وجلال مظهر .

ومن أحفاد الشريفة جلسن :

١ — عبد السلام العلايلي بك عضو الجمعية العمومية عن دمياط من سنة ١٩٠٢ إلى سنة ١٩٠٧ (١) ، ثم أعيد انتخابه عضواً لها من سنة ١٩٠٩ - ١٩١٢(٢) ثم انتخب عضوا للجمعية التشريعية عن دمياط من سنة ١٩١٣ — ١٩٢٣ (٣) ، ونال في هذه الفترة رتبة البكوية .

٢ — عبد الحليم العلايلي بك عضو مجلس النواب المصري عن محافظة دمياط عام ١٩٢٤ (٤) ، وعام ١٩٢٥(٥) وعام ١٩٢٦ — ١٩٢٨ (٦).

---

(١) ٦/٧٢ تاريخ الحياة النيابية في مصر من عهد محمد علي تأليف الأستاذ محمد خليل صبحي طبعة عام ١٩٣٩

(٢) ٦/٨٦ المرجع السابق (٣) ٦/٨٣ المرجع السابق

(٤) ٦/٩٢ المرجع السابق

(٥) ٦/١٠٨ » »

(٦) ٦/١٢٣ » »

٣ — حامد العلايلي بك عضو مجلس النواب المصرى(١) من عام ١٩٣٨ - ١٩٤٢ ... ثم انتخب نائبا عن محافظة دمياط أيضا فى انتخابات يناير سنة ١٩٤٥ وفى انتخابات سنة ١٩٥٠

(ب) وأعقب أيضا المرحوم الشيخ على خفاجى كريمته الشريفة عيوشة وهى والدة المغفور له الجبلاوى جد أسرة الجبلاوى المشهورة بدمياط .

ولم يترك المرحوم الخالد الذكر الشيخ على خفاجى ذرية سوى هاتين السيدتين إذلم يعقب ذكورا . فرحمه الله رحمة واسعة ، وسلام عليه فى ذكراه الخالدة .

المغفور له محمد وهبه خفاجى

هو المغفور له السيد محمد وهبه بن فخر أمثاله على خفاجى بن المرحوم على خفاجى بن المرحوم إبراهيم جلبى خفاجى بن الحاج يوسف خفاجى ابن المرحوم محمد خفاجى .

ولد نحو عام ١١٨٠ هـ ، وعاش فى مجد أسرته وثرائها .

تزوج وأعقب من الذرية ولدين هما :

١ — المرحوم على بك خفاجى .

٢ — المرحوم السيد إسماعيل خفاجى .

وتوفى نحو عام ١٢٤٠ هـ ، فقد عاصر إذا المرحوم العالم الخالد الشيخ على خفاجى أحد أبناء عمومته .

السيد رضوان خفاجى

هو ابن المرحوم حسين خفاجى ابن المرحوم الشريف محمد خفاجى ابن المرحوم الأمير على خفاجى .

---

(١) ٦/١٦٣ المرجع السابق .

ولد نحو عام ١١٨٠ هـ ونشأ فى بيت تقوى وصلاح وورع ومجد سؤدد.

عاصر أخاه المرحوم الخالد الإمام الشيخ على خفاجى .

تزوج وأعقب ذرية كبيرة لها تاريخها الحافل . وذريته هم :

١ — ابنه الشيخ مصطفى خفاجى .

٢ — ابنه المرحوم الشيخ حسين خفاجى .

٣ — ابنه المغفور له الشيخ محمد خفاجى وقد توفى بالمدينة ولم يترك ذرية له :

٤ — ابنه المغفور له المرحوم العالم الورع الشيخ حسن خفاجى .

وتوفى نحو عام ١٢٥٠ هـ

الحاج محمد خفاجى

هو ابن المرحوم حسين خفاجى بن الشريف محمد خفاجى بن الأمير على خفاجى ، ولد نحو عام ١١٧٥ هـ .

ونشأ فى ظلال والده ورعايته ، وعاصر أخاه المرحوم الخالد الشيخ على خفاجى .

تزوج وأعقب ابنا واحدا هو المرحوم الحاج أحمد خفاجى ، كما ترك عدة بنات ، وتوفى فى نحو عام ١٢٥٥ هـ .

على (بك) خفاجى

شخصية كبيرة من شخصيات الأسرة الخالدين وهو نجل السيد محمد وهبة خفاجى بن السيد على خفاجى بن المرحوم على خفاجى بن فخر أمثاله المرحوم إبراهيم جلبى خفاجى بن الحاج يوسف خفاجى بن الحاج محمد الشهير نسبه الكريم بابن خفاجى ، ولد نحو عام ١٢٠٥ ، ونشأ فى ظلال الأسرة ، وربى

فى رعاية والده ، ولما استكمل عناصر حياته العامة والخاصة أصبح الشخصية الفذة الأولى فى ثغر دمياط .

انتخب عضوا فى مجلس شورى النواب فى عهد إسماعيل فى الدور الأول من أدوار انعقاد الهيئة النيابية الأولى من عام ١٨٦٦ — ١٨٦٩ م[١] عن دمياط ، ثم أعيد انتخابه فى الدور الثانى أيضا لمدة ثلاثة سنوات من عام ١٧٧٠[٢] عن دمياط أيضا .

وهذا المجلس النيابى أنشأه إسماعيل للنهوض بمصر ، وحكمها على أسلوب ديمقراطى جديد ، وقد انتخب أعضاؤه « من وجوه أهل الوطن » كما يقول الخديو فى رسالة تصديق على انتخاب أحد أعضائه ، وهى وثيقة سياسية نشرتها مجلة الدنيا المصورة عام ١٩٣٠

وهكذا وفى ظلال هذه الجمعية وسواها أدى المرحوم على بك خفاجى واجبه الوطنى العظيم ، وخدم وطنه وبلاده ، وعاش شخصية كبيرة من شخصيات مصر البارزين فى عصر إسماعيل ، ثم عين -رحمه الله- قائدا للرديف فى ثغر دمياط وأنعم عليه برتبة الأميرالاى .

تزوج -رحمه الله- وأعقب نجلين هما :

١ — عبد السلام (بك) خفاجى .

٢ — محمد (بك) خفاجى .

كما أعقب بنتين هما :

١ — السيدة الجليلة حرم محمد (بك) اللوزى .

---

(١) ١٨ ج٦ تاريخ الحياة النيابية فى مصر من عهد محمد على .
(٢) ٢٣ ج٦ المرجع السابق .

٢ — السيدة الجليلة والدة المرحوم حسين الأرناؤوطى (بك) مدير إدارة تحقيق الشخصية بوزارة الداخلية سابقاً .

وتوفى رحمه الله نحو عام ١٢٧٠ هـ .

السيد مصطفى خفاجى

هو المغفور له السيد مصطفى بن المرحوم السيد رضوان خفاجى بن حسين خفاجى بن محمد خفاجى بن الأمير على خفاجى .

نشأ فى ظلال أسرته وربى فى نعيم والده ورعايته .

وخلف ذرية صالحة منها ابنه الشيخ محمد خفاجى الذى هاجر إلى السودان وأعقب هناك أسرة كبيرة ثم ترك أولاده هناك وعاد إلى مصر وتوفى بها .
وقد أعقب الشيخ محمد بن المرحوم مصطفى خفاجى ولدين هما :

١ — توفيق خفاجى وهو مقيم الآن بوادى مدنى بالسودان وشخصية بارزة بين شخصيات هذا الإقليم وقد تزوج كريمة اللواء المرحوم أحمد فطين باشا وله منها نحو اثنى عشر ولدا .

٢ — محمد خفاجى وهو مقيم الآن بالخرطوم ومن كبار تجارها .

الشيخ حسن خفاجى

هو العالم الكبير الورع الزاهد الشيخ حسن خفاجى بن السيد رضوان خفاجى من أحفاد الأمير على الشوربجى خفاجى ، نشأ بدمياط ورحل إلى الأزهر الشريف فتلقى تعليمه الدينى فيه ، ونال منه العالمية .

حاز إعجاب أستاذه الأكبر الشيخ الانبابى شيخ الأزهر فقربه إليه واصطفاه وآثره بتقديره لما آنس فيه من الخلق والنبل والوفاء وسعة الاطلاع والإحاطة بدقائق العلوم ، فكان يقوم لأستاذه بجميع شئونه العلمية ، وهو الذى كتب لأستاذه تقريره على التجريد فى البلاغة وسواه من كتبه

العلمية الكبيرة . وجميع مؤلفات أستاذه كان هو الذى يقوم بالكثير من عبء كتابتها وترتيبها وتبويبها وإخراجها فى شكلها العلمى الأخير .

واستمر الشيخ مقيما بمصر مع أستاذه وفى موضع رعايته وعطفه ، حتى توفى الشيخ الإنبابى[1] ، وتوفى تلميذه الوفى ، ودفن معه فى مقبرته بالقاهرة ، ولم يترك ذرية له ، وكان عالما واسع الاطلاع ، وله تقرير على الأشمونى وكتب أخرى ، وقال الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر الأسبق : إنه لم يوجد له نظير فى العلم منذ ثلاثة قرون .

كان رحمه الله زاهدا فى الحياة ، وورعا صالحا صوفيا ، يؤمن إيمانا واسعا بالله وجلاله ، وكانت له كثير من الكرامات ؛ وعاش طول حياته مقربا من أصدقائه ، أثيرا لدى إخوانه ومعارفه ، محبوبا من كل من اتصل به من بعيد أو قريب ، إلى أن توفى فى أوائل القرن العشرين . فرحمه الله ورحم أستاذه العظيم .

وهكذا مات العالم الجليل الشيخ حسن خفاجى الذى لم يوجد له مثيل فى العلم منذ ثلاثة قرون كما كان يقول الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ مأمون الشناوى ، وله تقرير على الأشمونى كما سبق[2] .

---

(١) ولى الشيخ الانبابى مشيخة الأزهر عام ١٢٩٩هـ . ثم استقال فى نفس هذا العام . ثم عاد إليها عام ١٣٠٤هـ ، وظل فيها إلى عام ١٣١٢هـ حيث اشتد عليه المرض ، فعين الشيخ حسونة وكيلا له وتوفى الشيخ الانبابى عام ١٣١٣هـ - ١٨٩٥م .

(٢) فى فهرست دار الكتب قسم الصرف ذكر كتاب «روح البيان» وذكر عنه أنه حاشية الشيخ حسين خفاجة الدمياطى على «إتحاف الرقاق ببيان أقسام الاشتقاق» للشيخ محمد الخالد الشافعى ، والكتاب ضمن مجموعة مخطوطة عام ١٣١٦هـ بنمرة (١٠٢ صرف) . وقد يكون حسين محرفا عن حسن .

الشيخ حسين خفاجى

هو ابن المرحوم السيد رضوان خفاجى ، نشأ مع أسرته بدمياط ، ثم عهد إليه أخوه الشيخ حسن خفاجى الإشراف على الشئون الاقتصادية الخاصة بأستاذه الشيخ الانبابى بالقاهرة . وكان الشيخ شريكا لتاجر فى عمله التجارى الكبير ، فتولى المرحوم الشيخ حسين خفاجى عبء المحافظة على ثروة أستاذ أخيه بالقاهرة ، ثم انتقل وكيلا للفرع التجارى الذى أنشأه الشيخ الانبابى وشريكه بالفيوم ، وأقام فيها ، وكان العميد الأول لأسرة خفاجى بالفيوم .

المرحوم إسماعيل خفاجى

هو المغفور له المرحوم السيد إسماعيل خفاجى بن محمد وهبة بن المرحوم على بن المرحوم على ابن فخر أمثاله إبراهيم جلبى خفاجى بن الحاج يوسف خفاجى بن الحاج محمد الشهير نسبه الكريم بابن خفاجى .

وهو أيضا شقيق المرحوم المغفور له على بك خفاجى . تزوج ورزق ولدين هما :

١ — المغفور له السيد محمود خفاجى .

٢ — « « « محمد « .

وقد مات وهو فى سن الشباب .

الحاج أحمد خفاجى

ابن المرحوم الحاج محمد خفاجى بن المرحوم حسين خفاجى بن الشريف محمد خفاجى بن الأمير على خفاجى .

نشأ فى ظلال والده ورعايته وثروته وأقام بالمدينة شخصية بارزة بين شخصياتها الكبيرة ، وملاذا نبيلا لأعمال البر والخير فيها .

تزوج وأعقب ذرية كبيرة هى :

وأعقب ذرية كبيرة هى :

١ — ابنه الحاج على خفاجى .

٢ — « « محمد «

٣ — « السيد عباس «

٤ — « الحاج حسين «

محمد (بك) خفاجى

محمد بك خفاجى نجل المرحوم الخالد على بك خفاجى، وشقيق عبدالسلام بك خفاجى .

ولد نحو ١٢٢٥هـ ، وربى ونشأ فى ظلال والده ورعايته ومجده .

واستكملت شخصيته عناصرها الأولى من عراقة المحتد وسمو وجلال النشأة وعظمة الجاه وجمال الخلق ونبل الخلق وسمو الآداب .

والدته سيدة تركية أعقبت: محمد بك وشقيقته السيدة الجليلة حرم الوجيه المرحوم محمد بك اللوزى بن السيد بك اللوزى رأس أسرة اللوزى الكبيرة بدمياط ، وهى والدة الوجيه الأمثل طاهر (بك) اللوزى المعروف وإخوته وتزوج محمد (بك) وأعقب نجليه : حسين (بك) خفاجى والسيد مصطفى خفاجى ، وعين محمد (بك) خفاجى قنصلا عاما لإيران فى ثغر دمياط وبورسعيد وكان لشخصيته مقامها ومكانتها وأثرها فى دمياط وفى القطر كله . وأخيراً وبعد حياة حافلة توفى نحو عام ١٣٥٠ هـ .

عبد السلام (بك) خفاجى

نجل على (بك) خفاجى وشقيق محمد (بك) خفاجى، ولد نحو عام ١٢٣٠هـ، وولد ونشأ وربى فى ظلال والده وأسرته ، وشب نبيل النفس راضى الخلق عظيم الشخصية من أنبل شخصيات الأسرة وأكرم رجالاتها .

أنتخب بعد حياة والده عن دمياط عضوا فى مجلس النواب المصرى فى هيئته النيابية الأولى فى عهد الخديوى توفيق عام ١٨٨١م(١) ، ونال رتبة البيكوية وعاش فى مجد ورفاهية وعظمة نفس وقوة شخصية وكريم خلق ونبل جهاد فى سبيل وطنه وبلاده وفى سبيل مدينته دمياط .

وظل يجاهد حتى توفاه الله نحو عام ١٩٠٥ م.

محمود خفاجى

هو المغفور له محمود خفاجى بن إسماعيل خفاجى بن محمود وهبه خفاجى من أحفاد المرحوم إبراهيم جلبى خفاجى بن الحاج يوسف خفاجى بن الحاج محمد خفاجى . ولد ونشأ بالمدينة وتزوج وأعقب عدة أبناء هم :

١ ــ المغفور له الإمام الورع الشيخ محمد خفاجى .

٢ ــ المغفور له مصطفى خفاجى ، لم يعقب إلا بنتاً توفيت فى آخر يناير عام ١٩٤٥ وتركت ولدا ذكرا هو حسن .

٣ ــ السيدة روقية خفاجى تزوجت فى عائلة عزو بالمدينة وأعقب نجلين هما : حامد محمد عزو ومصطفى محمد عزو من كبار الأعيان . . . وتوفى رحمه الله وهو فى سن الشباب .

محمد خفاجى

هو المغفور له محمد خفاجى بن المرحوم إسماعيل خفاجى بن محمد وهبة . ولد ونشأ بالمدينة ، وتزوج وأعقب عدة أبناء ، هم :

١ ــ حسن خفاجى ومن أبنائه : حامد خفاجى ، ومحمد خفاجى ، ولم يتزوجا .

٢ ــ أحمد خفاجى لم يعقب ذكورا .

---

(١) ٣٨ : ٦ تاريخ الحياة النيابية فى مصر من عهد محمد على إلى الآن .

٣ — السيدة عيوشة خفاجي ومن أنجالها : عبد السلام الزيات والسيد الزيات وهما من كبار الأعيان بالمدينة .

عباس خفاجي

ابن المرحوم الحاج أحمد خفاجي بن الحاج محمد خفاجي بن المرحوم حسين خفاجي بن الشريف محمد خفاجي بن الأمير على الشوربجي خفاجي .

ولد ونشأ بالمدينة وعاش فى مجد أسرته وثرائها الواسع وساهم بقسط كبير من نواحى النشاط الاجتماعى فيها .

أعقب نجليه : السيد محمود خفاجي والسيد عبد الوهاب خفاجي ؛ كما أعقب عدة بنات تزوجن فى عائلات الشيال والكردانى والحمامصى .

وتوفى فى ٤ من شوال ١٣١٢ هـ

الحاج على خفاجي

هو شقيق السيد عباس خفاجي وابن المرحوم الحاج أحمد خفاجي بن الحاج محمد خفاجي بن المرحوم حسين خفاجي حفيد الأمير على خفاجي .

نشأ وعاش فى ظلال والده وأسرته ... ورزق ذرية كبيرة منها :

١ — نجله أحمد خفاجي وله ولدان الآن هم : على ومحمد .

٢ — « السعيد خفاجي .

٣ — « حسين خفاجي ، وله ابن هو محمد عبد الغنى خفاجي .

٤ — « عبد الغنى خفاجي .

٥ — « خالد خفاجي .

الحاج محمد خفاجى

هو ثالث إخوته أولاد المرحوم الحاج أحمد خفاجى بن المرحوم الحاج محمد خفاجى بن المرحوم حسين خفاجى حفيد الأمير على خفاجى .

ربى وعاش فى المدينة وتزوج ومنح ذرية كبيرة منها : بنتان، ونجله توفيق خفاجى ، ونجله أحمد خفاجى ، ونجله حامد خفاجى ، ومن أبنائه : حسين خفاجى ، والمرحوم أحمد خفاجى الذى توفى عام ١٩٤٣ ، ومحمد خفاجى ، والسيدة حرم المرحوم الأستاذ فؤاد حمودة المحامى ، وسوى هؤلاء .

الحاج حسين خفاجى

هو رابع أولاد المرحوم الحاج أحمد خفاجى بن المرحوم الحاج محمد خفاجى بن المرحوم حسين خفاجى حفيد الأمير على خفاجى .

ترك وراءه عدة بنات ، ونجله عبد السلام خفاجى ، ومن أبنائه الأستاذ محمد خفاجى . وعبد الجليل خفاجى .

حسين (بك) خفاجى

هو ابن المرحوم محمد (بك) خفاجى بن المرحوم على (بك) خفاجى .

تعلم بمدارس دمياط الأميرية ثم رغب فى التعليم الدينى فتلقى الكثير من مبادئه بجامع البحر (معهد دمياط الآن) على شيوخ العلماء فى المدينة وقدم القاهرة واستمع لدروس الإمام محمد عبده .

توفى والده محمد (بك) خفاجى فاضطلع بمهام وأعباء أسرته واشتغل بالزراعة فأتقنها وأحيا موات أرض الأسرة وأصبح مرجعا فى الشئون الزراعية تعتمد عليه وزارة الزراعة فى كثير من نواحى نشاطها .

وهكذا عاش شخصية كبيرة من شخصيات الأسرة وعضوا بارزا ورجلا معدودا من رجالات دمياط وشخصيات مصر الحديثة .

انتخب عضوا فى بلدية دمياط منذ نشأتها وإليه يرجع الفضل فى تنظيم المدينة وإدخال النور والمياه فيها ، وفى تنظيم مصيف رأس البر وجعله فى عداد المصايف المصرية الممتازة .

وظل يعمل صمت وسكون فى خدمة وطنه وبلاده ورفع شأن أسرته ومدينته ، ثم حدث خلاف بينه وبين محافظ المدينة فاستقال من مجلس البلدية وترك دمياط أثر ذلك إلى مزارعه بكفر العرب بمركز فارسكور ، ثم أنشأ له (ذهبية) فاخرة فى النيل ، وظل يتنقل فيها حيث يشاء حتى توفى فيها عام ١٩٣٠ أمام جزيرة الزمالك ونقل إلى مدافن الأسرة بدمياط فدفن بها .

كان رحمه الله نابغة فى هندسة المبانى وفى الهندسة الزراعية .

لم يتزوج ، وانتقلت ثروته إلى أخيه السيد مصطفى خفاجى . رحمه الله .

أحمد خفاجى

هو ابن المرحوم السيد أحمد خفاجى من الشخصيات الكبيرة التى ظهرت فى الأسرة . أعقب نجلين هما :

١ — محمد (بك) خفاجى .

٢ — حسين (بك) خفاجى والد الأستاذ أحمد خفاجى ناظر مدرسة المنيا الزراعية ، ثم نقل ناظرا لمدرسة مشتهر الزراعية بعد ذلك ، ثم ناظرا لمدرسة بنى سويف الزراعية فى أكتوبر عام ١٩٤٥ ، ثم ناظرا لمدرسة المنصورة الزراعية . ثم نقل إلى القاهرة منذ وقت قريب فى وظيفة كبيرة بوزارة المعارف .

محمود خفاجى

هو نجل المرحوم السيد عباس خفاجى بن المرحوم الحاج أحمد خفاجى ابن المرحوم الحاج محمد خفاجى بن المرحوم حسين خفاجى بن الشريف محمد خفاجى حفيد الأمير على خفاجى .

ولد نحو عام ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٩ م ، ثم نشأ بالمدينة وتلقى تعليمه فيها ، وشاهد الكثير من مظاهر مجد أسرته ووالده ، وساهم فى الكثير من ألوان النشاط الاجتماعى والاقتصادى بالمدينة . وعاش فى هذا الجو الهادىء شخصية من شخصيات الأسرة البارزين .

تجمع شخصيته الكثير من ألوان النبل والعزة والشمم والصلاح والزهد فى الحياة .

فيه هدوء ، ولكنه يثور أبلغ حدود الثورة حينما يرى تفريطا فى تقدير كرامته أو كرامة أسرته .

كانت تعلو وجهه دائما ابتسامة جميلة تنم عن الهدوء النفسى وراحة الضمير والسعادة فى الحياة التى يقضيها على أنها لون من ألوان التبتل والتصوف فى الحياة ، وتوفى وهو بعد السبعين من عمره وذلك منذ أعوام قلائل .

وتوفى عام ١٣٦٧ هـ ، وقد أعقب السيد محمود خفاجى عدة أبناء هم :

١ — المرحوم محمد (بك) خفاجى .

٢ — المرحوم الأستاذ حسين خفاجى الذى توفى وهو ضابط فى مصلحة خفر السواحل .

٣ — الأستاذ حسن خفاجى .

عبد الوهاب خفاجى

هو شقيق السيد محمود خفاجى ونجل المرحوم السيد عباس خفاجى بن المرحوم الحاج أحمد خفاجى بن المرحوم الحـــاج محمد خفاجى حفيد الأمير على خفاجى .

ولد ونشأ وعاش فى ظلال والده وأسرته شخصية كبيرة ، وهبه الله ذرية كريمة صالحة منها :

١ — المرحوم عباس خفاجى .

٢ — المرحوم الدكتور سيد خفاجى .

٣ — يوسف خفاجى ومن ابنائه : محمد وسامية ونادية خفاجى .

٤ — مختار خفاجى ومن أبنائه : محمد عبد الوهاب خفاجى .

٥ — مصطفى خفاجى ومن أبنائه : عبد الفتاح خفاجى .

٦ — كريمته السيدة الجليلة التى تزوجت فى عائلة الصواف ومن أبنائها : الدكتور سيد الصواف ، ومحمد .

محمد (بك) خفاجى

هو ابن السيد محمود خفاجى بن المرحوم السيد عباس خفاجى من ذرية الشريف محمد خفاجى نجل المرحوم الأمير على خفاجى .

ولد فى ٢٩ مارس سنه ١٩٠٠ ، وتلقى دراسته فى دمياط والقاهرة ثم تخرج عام ١٩١٨ م فعين فى ديسمبر من العام المذكور مديرا لمكتب وكيل وزارة الصحة ، ثم نقل سكرتيرا خاصا له ، ثم مديرا لمكتب الوزارة ، ثم مديرا عاما لمكتب الوزير فى عهد الدكتور على ابراهيم باشا عميد أسرة الطب بمصر والشرق ومفخرة الإنسانية وذلك عام ١٩٣٨ ، ثم نقل بعد ذلك مديرا لإدارة السكرتارية العامة بالوزارة ثم مديرا مساعدا لقسم الإدارة بها ، وتولى غير ذلك من المناصب الإدارية فى وزارة الصحة .

صاهر المرحوم الدكتور غلوش (بك) رئيس جمعية منع المسكرات ورزق نجلين هما :

١ — على المحمود وميلاده ٨ يوليو سنة ١٩٤١ .

٢ — كريمته الصغيرة نفيسة وقد ولدت بعد ذلك .

وكان فوق ذلك كله أحد أفراد أسرة خفاجى القلائل الذين يسمون بنفسهم وبأسرتهم إلى الغاية التى يضعها فيها التاريخ المجيد والماضى الحافل بعظمة الآباء والأجداد ، وكان درة مضيئة فى تاج الأسرة المتألق ، وشخصية عظيمة فى تاريخها الحاضر الحافل . . إلى أنه فوق ذلك كان أحد رجالات دمياط الذين خدموها أعظم الخدمات وهيأوا لها حياة الرفاهية والعمران التى تعيش فيه الآن .

وقد توفى رحمه الله يوم الأربعاء ١٣ من ذى الحجة ١٣٧٣ هـ — ١١ من أغسطس ١٩٥٤ م .

الأستاذ حسن خفاجى

هو ابن السيد محمود خفاجى ومن أحفاد الأمير على خفاجى .

ولد فى ٢٢ فبراير ١٩٠٦ وتلقى تعليمه الابتدائى بمدرسة دمياط الأميرية الابتدائية . . ثم تلقى تعليمه الثانوى والعالى بالقاهرة ونال دبلوم الهندسة فى العمارة عام ١٩٢٥ ، فعين بهندسة السكك الحديدية ، ثم بالخاصة الملكية ـ ثم بوزارة المعارف ، ورقى إلى مدير الإدارة الفنية بمراقبة المبانى بوزارة المعارف .

تزوج وأنجب : محمد خفاجى ومنى خفاجى .

وهو مشهور بصلاحه وأمانته، وبالنزاهة والكفاية والاستقامة، وبسمو الخلق وكرم النفس وعلو المكانة فى محيطه وبين زملائه وعارفى فضله .. يثق فيه جميع رؤسائه فى كل ميدان ويقدرونه ويرجعون إلى رأيه .

وشخصيته كشخصية شقيقه المرحوم الأستاذ محمد (بك) خفاجى فى سمو النفس . ونبل الخلق والإخلاص للواجب ، وإيثار المصلحة العامة ، وقد أسهم بقسط كبير من النشاط فى محيط الأسرة الاجتماعى .

السيد محمد خفاجى (١)

١٢٧٧ هـ — ١٩٤٠ م

هو محمد بن محمود بن إسماعيل بن محمد وهبة خفاجى بن على بن على خفاجى ابن إبراهيم جلبى خفاجى بن الحاج يوسف خفاجى بن الحاج محمد خفاجى.

ولد عام ١٢٧٧ هـ كما يقول هو نفسه فى بيت من منظومة له (٢) (راجع ص ٦٧ كتاب جملة أحزاب) ، ونشأ فى دمياط . تلقى العلم وأخذ التصوف عن أستاذه الشيخ القاوقجى الشاذلى (١٢٢٤ — ١٣٠٥ هـ) . . وبرع فى

---

(١) المراجع : ١ - منبر الشرق : ١٦ / ٧ / ١٩٤٠ فى نعى الفقيد ، ٢٣ / ٧ / ١٩٤٠ فى وصف جنازته وحفلة تأبينه الأولى ، ٣٠ / ٧ / ١٩٤٠ مقالة عن الفقيد بعنوان السيد « محمد محمود خفاجى بقية السلف الصالح من الأولياء والعلماء للأستاذ محمد لطفى جمعه المحامى ، ٢٠ / ٨ / ١٩٤٠ مرثيتان فى كبير علماء دمياط السيد محمد خفاجى لشاعر دمياط الأستاذ العزبى والأستاذ كامل جبر ، ٢٧ / ٨ / ١٩٤٠ ، ذكرى الأربعين للفقيد وهى مقالة للأستاذ كامل جبر عنه ، وفى العدد نفسه إشارة لحفلة تأبينه الثانية التى أقيمت يوم الجمعة ٢٣ أغسطس ١٩٤٠ بجمعية الإخوان المسلمين ٢ - مجموعة مراثى الفقيد مخطوطة لدى الأستاذ حسين خفاجى ونشرت فى مجلة دمياط الأسبوعية فى أعداد شهرى يوليو وأغسطس ١٩٤٠ - ٣ - مقالتان نشرهما الأستاذ لطفى جمعة فى البلاغ عن السيد محمد خفاجى قبل وفاته - ٤ - كتاب مجموعة الفرائد فى الأحزاب والقصائد الشاذلية جمع أحمد محمد أبو وفا الدمياطى تلميذ الفقيد طبع بمطبعة السعادة بمصر عام ١٣٥٣ هـ ، وفيه ست منظومات فى التصوف للفقيد ٥ .. جملة أحزاب طبع بمطبعة السعادة بمصر أيضا وفيه ٢٢ منظومة فى التصوف للفقيد ٦ - شرح القصيدة الرائية فى التصوف التى نظمها الفقيد فى أواخر حياته .

(٢) ولكن ورد له شعر أرخ فيه لميلاده بعام ١٢٧٣ هـ (١٣٣ ج ٥ بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى) .

جميع العلوم وتتلمذ عليه كثيرون منهم الأستاذ لطفى جمعة والأستاذ الغاياتى صاحب منبر الشرق والأستاذ محمود ربيع المدرس بالأزهر ، والأستاذ عبد السلام الكردانى (بك) . وتوفى يوم الخميس ٥ جمادى الثانية عام ١٣٥٩ ﻫ (١١ يوليو عام ١٩٤٠ م) .

وأقيمت له حفلة تأبين أولى فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١٣ جمادى الثانية عام ١٣٥٩ ﻫ — ١٩ يوليو عام ١٩٤٠ بمسجد سيدى إبراهيم المتبولى ، كان من خطبائها : الشيخ حسين البيومى شيخ معهد دمياط ، والشيخ الحسينى سلطان المفتش بالمعاهد ، وشاعر دمياط الأستاذ على العزبى ، والدكتور أحمد عبدالسلام الكردانى (بك) ، وفضيلة الأستاذ محمد عبدالسلام القبانى المدرس بكلية الشريعة ، والأستاذ محمد كامل جبر ، والأستاذ البدرى محمدين ، وفضيلة الأستاذ محمود ربيع ، والأستاذ عبد الله بكرى ، والأستاذ طه الزينى ، وفضيلة الأستاذ عبد الخالق التابعى ، والأستاذ يوسف الطناوى سبط الفقيد .

وأقيمت حفلة تأبين ثانية للفقيد يوم الجمعة ٢٣ أغسطس عام ١٩٤٠ بدار جمعية الإخوان بدمياط ومن خطبائها :

سعادة محمد (بك) خفاجى ، وفضيلة الأستاذ إبراهيم بدير الأستاذ بكلية أصول الدين ، والأستاذ عبده شرارة المحامى ، والأستاذ على العزبى شاعر دمياط وقد ألقى قصيدة مطلعها :

قدر الله وما أقسى القدر فهوى من أفق العلم قمر

وهى طويلة بالغة الجودة . والاستاذ محمد البدرى ، والأستاذ بركة محمد ، وفضيلة الأستاذ أحمد شعيب من علماء دمياط ، والأستاذ الطناوى .

ومن أبناء الفقيد . الشيخ حسين خفاجى ، والسيد محمود خفاجى ،

والمرحومة والدة الأستاذ الطناوى ، وحرم الحاج حسين محمود زين الدين ، وحرم السيد ناجى عزو .

الأستاذ الكبير الشيخ حسين خفاجى

هو خلاصة هذه الأسرة الكريمة ، ومثال عظيم لعراقة المحتد وسمو النفس والخلق وعظمة الروح . . ولد فى يونيو عام ١٨٩٦ م ، وتلقى دراسته الدينية بتوجيه والده الكريم فى معهد دمياط الابتدائى الدينى ثم فى معهد الاسكندرية الثانوى ثم فى القسم العالى بالأزهر . وأخيرا تخرج فى فبراير عام ١٩٢٣ م بعد أن نال شهادة العالمية بتفوق ممتاز .

اختير مراقبا لمعهد دسوق ، ثم نقل إلى إدارة الأزهر فكلية الشريعة ، ثم آثر أن ينتقل إلى دمياط مراقبا لمعهدها الدينى ، ولبث قليلا ثم نقل مراقبا لكلية الشريعة ، ثم اختير كبيرا للمراقبين فيها .

وللأستاذ الكبير حسين خفاجى أثر عظيم فى هذه البيئات العلمية الدينية التى تنقل فى وظائفها : بما كان ينشره فيها من سمو الأخلاق ونبل النفس وشرف الخلال وتقدير للفضائل والآداب ، وبما كان يبثه فيها من نشاط وحركة وجد وعمل ومثابرة وأداء للواجب وإرضاء للضمير وحرص على حب الحق ، وإيثار الخير ومساعدة المحتاج ، حتى ملك قلوب الجميع وحبهم له وإعجابهم بسلوكه وآدابه التى اتخذوها لهم مثالا وقدوة .

أما أثره فى أسرته فيكاد لا يضارعه شىء ، فهو من أكبر شخصيات الأسرة ، والساهر على أمورها ، والمشرف على شئونها ومصالحها وحياتها ، يحبه الجميع ويحبونه ، ويؤثرهم على نفسه ، ويوجههم برأيه الحكيم وتدبيره الصائب ، هو ممتاز فى محتده وفى ثقافته وعقليته وفى أخلاقه وخصاله ومنهاجه فى الحياة وفى حبه للخير والسعى فيه ، وفى العمل الدائم ، والإيمان

المستمر بفضل الخلق وقيمة الفضائل والمثل العليا فى الحياة ، يمتاز فى كل جوانب حياته.. ورث عن والده روحا قوية مؤمنة ، وعودا صلبا لا يتزعزع، ورأيا جريئا فى كل مشكلة من مشكلات الحياة ، وفؤادا وادعا ونفسه متواضعة لله وفى الله .

الأستاذ محمد حامد خفاجى

الاستاذ محمد حامد خفاجى والده حامد خفاجى بن الحاج محمد خفاجى ابن الحاج أحمد خفاجى بن الحاج محمد خفاجى بن المرحوم حسين خفاجى حفيد الامير على خفاجى ... وهو من أعلام أسرة خفاجى بدمياط، ويمتاز بدماثة الخلق وطيب النفس وكرم المحتد ونبل الشمائل ، وهو اليوم المدير الفنى لمكتب بعثات وزارة المعارف المساعد .

وقد تدرج فى وظائف وزارة المعارف : من مدرس بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ، إلى مدرس بمدرسة الزراعة المتوسطة بعين شمس ، إلى مدرس بالتجارة المتوسطة بالجيزة . . . ثم اختير سكرتيرا فنيا لتعليم البنات بالوزارة ، ثم مديرا فنيا لمكتب وكيل الوزارة .

وتاريخ ميلاده ١٠ / ٤ / ١٩١٠ . . . وله أعمال جليلة فى محيط أسرته ووظيفته ، مع القسط الموفور من التقوى والصلاح ، والنزاهة والاستقامة، والكفاية التامة ، والحرص على أداء الواجب والتفانى فى خدمة المصلحة العامة .

الأستاذ حسين حامد خفاجى

شقيق الاستاذ محمد حامد خفاجى وهو من الشخصيات البارزة من بنى خفاجة بمدينة دمياط، ويعمل مفتشا بمصلحة القطن بالاسكندرية ، وقد ولد فى أكتوبر ١٩١٤، وتعلم فى مدرسة دمياط الابتدائية الاميرية ، ثم فى الخديوية بالقاهرة ثم فى كلية الزراعة ، ونال بكالوريوس كلية الزراعة عام ١٩٣٧ .

الاستاذ على مصطفى خفاجى

هو ابن مصطفى (بك) خفاجى بن محمد (بك) خفاجى بن على (بك) ابن محمد وهبة خفاجى بن على خفاجى بن على خفاجى ابن إبراهيم جلبى خفاجى بن الحاج يوسف خفاجى بن الحاج محمد الشهير بابن خفاجى،وهو من أعلام الاسرة وشخصياتها الكبيرة ويقيم بعزبته فى كفر العرب مركز فارسكور . . . وله مكانة كبيرة فى حياة الاسرة وبين محيط إخوانه وأعيان إقليمه ... وله مآثر وأياد كريمة على كثير من أهالى محافظة دمياط .

بنو خفاجة بمنية بدواى

كنت قد تلقيت من عميد « بنى خفاجة » بمنية بدواى المرحوم « الشيخ عبد القادر خفاجى » مايلى :

اسمى عبد القادر سيد أحمد سيد أحمد محمود خفاجى من منية بدواى مركز المنصورة دقهلية ، وأصل والدى من مدينة شربين غربية ، وأخبرنى والدى أن والده المرحوم سيد أحمد محمود خفاجى من مدينة دمياط ، ويمت بصلة القرابة إلى عائلة خفاجى بدمياط ، كذلك له أقارب بناحية العبادية مركز فارسكور ، كذلك عائلة خفاجى بتلبانة مركز المنصورة . وقد توفى والدى سنة ١٩١٥ حيث كنت لازلت فى نهاية المرحلة الثانوية بالأزهر ، تاركا لى أطفالا صغاراً يربو عددهم على العشرة ، مما اضطرنى إلى ترك الأزهر سعياً وراء الرزق ، حيث التحقت بوظيفة مأذون ، ثم إمام وخطيب مسجد منية بدواى ؛ وفى هذه الأثناء تزوجت من عائلة كريمة أنجبت لى :

كمال الدين عبد القادر سيد أحمد محمود خفاجى « ثانوية الأزهر » وصراف بمديرية الجيزة - جلال الدين تاجر بمنية بداوى - أنور ثانوية الأزهر ومدرس بالمدارس الأميرية - نجاتى ثانوية الأزهر وصراف بمديرية جرجا - فاروق طالب بالسنة النهائية بمدرسة المنصورة الصناعية - ماهر ، عبد الله ، مجدى ، بالمدارس الابتدائية .

أسرة خفاجى بهورين مركز السنطة

وهى أسرة كبيرة يبلغ أفرادها نحو خمسمائة شخص . ومنها : المرحوم محمد خفاجى ، وأبناؤه هم : أحمد ، وعبد الرحمن وعبد المجيد وعبد الفتاح خفاجى . ومنها الأساتذة : محمد خفاجى وهو متخرج من دار العلوم ، وسيد خفاجى المدرس بالمدارس الثانوية ، وأمين خفاجى ويحمل شهادة العالمية مع إجازة التدريس وهو مدرس بمدرسة أحمد حسنين ، ومحمود خفاجى وهو مدرس ابتدائى ، وعبد الله المأمون خفاجى التاجر بمكة ونجل الأستاذ عبد الفتاح خفاجى ، والدكتور حافظ محمد خفاجى ووالده الشيخ محمد خفاجى كان من رجال التعليم وهو الآن بالمعاش وابنه الدكتور نائب بالقصر العينى .

والمرحوم الأستاذ عبد الفتاح خفاجى كان وكيل إدارة السكرتارية بوزارة المعارف ويقيم بمنزله - ٦٩ شارع الجسر بشيكولانى بشبرا مصر - وقد ولد فى ١١ مارس ١٨٩٥ بهورين مركز السنطة غربية ، ولما أكمل تعليمه عين فى ٢ سبتمبر ١٩١١ مدرساً ، وظل فى هذه الوظيفة أربع سنوات ، ثم اختير ناظراً لمدارس ابتدائية متعددة وظل فى هذه الوظيفة نحو عشرين عاماً ، ثم اختير موظفاً بسكرتارية وزارة المعارف من أول ديسمبر ١٩٣٥ ثم اختير وكيلا لإدارة السكرتارية نحو عام ١٩٤٥ .

وقد حج كثيراً إلى بيت الله الحرام ، وهو مشهود له بالصلاح والتقوى والورع والتدين والأخلاق الحميدة وحسن السيرة وطيب النفس وكرم المعاملة ، وله مآثر كثيرة على الناس ، وقد توفى فى يوليو ١٩٧٠ .

أسرة خفاجى بالفيوم

وهى أسرة كبيرة تقيم بالفيوم ، وأصلها من دمياط ، والفيوم مدينة كبيرة ، وعاصمة مديرية واسعة ،وقد ألف فخر الدين الصفدى كتابا عنوانه: « تاريخ الفيوم » وذلك عام ٦٤١ ه ، وطبع الكتاب ببولاق عام ١٣١٦ه.

وعميد هذه الأسرة هو فضيلة الشيخ عبد الحليم خفاجى ، ومن أبنائه : الدكتور أنور خفاجى عميد كلية الهندسة بجامعة القاهرة سابقا ، والمستشار الأستاذ شمس الدين خفاجى .

والجد الأول لها هو السيد حسين خفاجى ، الذى ترك دمياط ، وأقام بالقاهرة ، ثم انتقل إلى الفيوم فى أعماله التجارية،وكان تلميذ الشيخ الانبابى .

والسيد حسين هو ابن السيد رضوان خفاجى بن السيد حسين جلبى خفاجى بن المرحوم الشريف محمد خفاجى بن الأمير على خفاجى، وقد خلف السيد حسين نجله المرحوم السيد عبد الحليم خفاجى عميد عائلة خفاجى بالفيوم . وخلف السيد عبد الحليم عدة أبناء منهم : الدكتور أنور خفاجى عميد كلية الهندسة بجامعة القاهرة سابقا ، والمستشار شمس الدين خفاجى كما أسلفنا .

عائلة خفاجى بالإسكندرية

وهى كبيرة العدد ومتفرقة ، ومنها مصطفى على خفاجى التاجر بالاسكندرية ونجله محمد عبد المنعم مصطفى خفاجى التاجر ويقيمان فى منزلهما بشارع ابن ماجد ١٤ بسيدى جابر .

ومن الخفاجيين فى الاسكندرية الأستاذ يوسف خفاجى المحامى بالاسكندرية ، والدكتور سعد خفاجى الأستاذ بكلية الصيدلة بجامعة الاسكندرية حاليا .

ومن أسرة خفاجى بالاسكندرية : عبد المنعم خفاجى ، وعبد المنعم محمد خفاجى ، وسواهم . وفى الاسكندرية شارع يسمى شارع الشيخ خفاجة براغب باشا ، وسواهم ، ومحمد عبد المنعم خفاجى هو ابن مصطفى ابن على بن خفاجى بن شرف الدين خفاجى ويقيم بشارع ابن ماجد منزل ١٤ بسيدى جابر برمل الاسكندرية ؛ وأجداده كانوا زراعا ببلدة فرنوى بجوار شبراخيت .

أسرة خفاجي بمنية شبين القناطر

وهي كبيرة العدد ، ولها مكانتها ، ومن أبنائها : الأستاذ الشيخ حسن محمود خفاجي من أسرة خفاجي بمنية شبين القناطر ، تلقى تعليمه بالأزهر الشريف ودخل كلية الشريعة وأخذ منها الشهادة العالية عام ١٩٥٢ .

أسرة خفاجة بالقارة

منها الشيخ أمين خفاجي ، وهو أمين أحمد محمد حسن الخفاجي ، من أسرة خفاجي بالقارة مركز أبو طشت ، وقد تخرج من معهد القراءات بالأزهر الشريف . ويعمل في سلك التدريس .

أسرة خفاجي بضواحي المنصورة

تقيم أسرة خفاجي بضواحي المنصورة فى قرية صغيرة من قرى مركز المنصورة حيث تعيش بين حقول خضراء ، ومناظر جميلة ، وحياة ريفية وادعة ، وبين الفلاحين الهادئين الذين يعيشون بجهادهم فى الحياة جهادا متواصلا مضنيا ، وتسمى هذه القرية الصغيرة تلبانة ، وهى أثرية قديمة ، ولعل اسمها موروث من عهد الفراعنة(١) .. بها عدة مساجد ، منها مسجد لأسرة خفاجى الكبيرة فى القرية يسمى « مسجد الخفاجية » . ويمر بها ترعة صغيرة اسمها « الجبادة » ، وعليها خط حديدى لشركة الدلتا يصل بين المنصورة وكفر صقر ، وطريق ممهد محاذ لهذا الخط تسير فيه السيارات .

---

(١) « باه » اسم هذه البلدة المصرية القديمة ، ثم صارت أطلالا وأصبح مكانها تل أثرى قديما ، فقيل لها « تل باه » ، ثم حرفت فصارت « تل بانة » ، ثم « تلبانة » .

واسم البلدة القديم هو تلبانة عدى زهير ، كما ورد فى وثيقة خطية بخط الأستاذ العالم الشاعر المؤلف نافع الخفاجى ت ١٩١٢ ، و « عدى زهير » الذى يضاف اسم البلدة إليه لاشك أنه علم نسبت إليه البلد وقد يكون هو أبو قبيلة عربية نزلت بها أوائل الفتح الإسلامى ، وقد يكون زهير هذا هو زهير بن هاشم ابن بكر بن وائل بن قاسط بن قصى بن خويلة بن أسد بن ربيعة بن نزار جد رسول الله صلى الله عليه وسلم بن مضر كما فى البيان والإعراب للمقريزى (ص ٢٧) .

ويقول على مبارك باشا فى الخطط التوفيقية عن البلدة :

« تلبانة عدى » قرية من مديرية الدقهلية بقسم نوسا الغيط على الشاطىء الشرقى لترعة أم سلمة وفى الجنوب الشرقى لمنية على بنحو أربعة آلاف متر وفى الجنوب الغربى لمنية الأكراد بنحو ٢٨٠٠ متر (٤١ ج ١٠ الخطط التوفيقية) ، وورد اسمها فى الخطط التوفيقية فى موضع آخر (٥٩ ج ١٦) ، وورد ذكر ترعة أم =

وبتلبانة ستة مساجد وهى : مسجد الخفاجية(١) ومسجد الشيخ ظهير الدين ومسجدالشيخ القزمازى ومسجد العوامر ومسجد العمشان ومسجدالفقهاء .

وبهذه القرية عدة مقامات لأولياء ، نشأ الناس فى القرية ووجدوا آباءهم يعتقدون فى صلاحهم ، ومنها مقام لرجل صالح اسمه العارف بالله الولى الشيخ

= سلمة التى تسمى الآن ترعة الجبادة فى موضع آخر منه (٦٤ ج ١٩ الخطط التوفيقية وما بعدها) .

وورد اسمها فى حسن المحاضرة للسيوطى المتوفى عام ٩١١ هـ حيث عدها من البلاد الكبيرة فى إقليم دقهلة فى عهد الأيوبيين (١١ ج ١ حسن المحاضرة) .

وورد ذكرها فى كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى الوزير م ٦٠٦ هـ (ص ١٢٢ و ١٢٣ طبعة ١٩٤٣) . وسكانها الآن نحو الخمسة آلاف نسمة إلا قليلا .

ويقول نافع الخفاجى الكبير فى مقدمة المقامة السعفانية مررت يوما على بلدة وريقة ، خضراء نضرة أنيقة ، يقال لها تلبانة عدى بن مضر ، من بها جيد (الجفالك) قد افتخر ، وإذا بها جماعة من الشبان ، قد تحـــلى بألفاظهم فم الزمان ، وتجلى بوجوههم ناظر الإنسان ، وهم قيام على منابر الافتخار ، بين من بها من الأخيار ، وعلى رؤسهم تيجان الاخضرار ، وبين أيديهم مصاحف الأنوار ، فقلت لبعض من حضر : ألا تحدثونى ما الخبر ؟ ...

ومن القرى المجاورة لتلبانة قرية « بطاش » وقد قرأت مايفيد أن هذا الاسم نسبه لفرع من العرب ، فقد جاء فى كتاب « مجموع النسب » ما نصه :

اعلم أن بنى بطاش عند أهل عمان من طيء ولكن الشيخ محمد بن شامى البطاشى ينكر هذا النسب وينسب بنى بطاش إلى الأزد ، فبطاش لقب عمر بن عدى من بنى جبلة بن الأيهم الأزدى (١٣٢ مجموع النسب - طبع على نفقة — الشيخ أحمد بن على آل ثانى) .

(١) أنشأه المرحوم الشيخ حسن الخفاجى وجدده المرحوم الشيخ سعيد الخفاجى ، وفى عام ١٩١٩ أعادت الأسرة بناءه بمساهمة وزارة الأوقاف ، ومنذ ذلك الحين وهو تابع لإشراف الوزارة .

عوض ويكاد يكون من المحقق أنه من أسرة خفاجي وأن اسمه الكامل الشيخ عوض خفاجي ، والمقام متصل بمباني الأسرة ومجاور لها تماما . وضريح العارف بالله الولى سيدى محمد القزمازى ، ولا نعرف عنه شيئاً ، والضريح مقام بجوار مسجد يحمل اسمه وقد وجدت على بعض حوائط المسجد هذه الأبيات :

هذا مقام ابن الكرام فى النسب ابن لوهب بالفخار منتسب
محمد القزمازى عطاء الوهب
أبو عينين من سما أعلا الرتب
من جاهه مستنجدا من العطب
والعسر والشقا تجلت عنه الكرب
فاقصد حماه ثم ناج بالأدب يابن الكرام أنت ممن قد طنب
حاشا يخيب المرتجى منه الأرب
فالعز من حمى الكرام مقترب
عليه رضوان الإله دائما
ماضاء نجم فى السماء أو غرب

وضريح العارف بالله الولى الصالح الشيخ ظهير الدين البكرى والوثيقة الخطية التى تحمل نسبه تقول فيه : إنه « أحد الأولياء والأعيان وصاحب السر والبرهان صاحب الكرامات الظاهرة والأنوار الباهرة الولى الأعظم والإمام المقدم الشيخ ظهير الدين النازل لمقام الكرامة بأراضى ناحية تلبانة بولاية الدقهلية بشرقية المنصورة المحمدية ، أجلها الله وأدام أيام متوليها .

ثم تقول فى نسبه إنه : « الشيخ المرحوم ظهير الدين المنسوب لأبى بكر الصديق، فهو سيدى ظهير الدين ، بن السيد شهاب الدين أحمد ، بن السيد سيف

الدين أبى بكر ، بن السيد على ، بن السيد ناصر الدين ، بن السيد جمال الدين ، بن السيد عبد الله ، بن السيد عبد الرحمن ، بن السيد زين الدين ، بن السيد أبو الفضل ، بن السيد ضريع ، بن السيد نمر ، بن السيد معلى ، بن السيد كردى ، ابن السيد زين الدين ، بن السيد خلف ، بن السيد عبد الله ، بن السيد عبد الرحمن ، ابن أبى بكر الصديق ، وأما أبو بكر فهو عبد الله بن قحافة بن فضل بن عمر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشى التيمى اجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة . وتضيف هذه الوثيقة إلى ذلك نسب ذرية ظهير الدين (وهو : عبد الله بن عبد القادر بن عبد الله بن عبد القادر ، ومحمد بن حجازى ، وعيسى بن سالم ، وسالم بن حجازى ، ومحمد بن محمد ، وعمر بن عبد الرحمن ، وعبد المنعم بن عمر ، وعبد العاطى بن عبد المنعم ، وعبد العاطى بن عبد العاطى ، وعيسى بن سليمان ، وعبد الله بن سليمان ، وأحمد بن عيسى ، وداود بن سليمان ، وأحمد بن أحمد ، ويوسف بن أحمد ، وأحمد بن يوسف ، وعلم الدين بن أحمد الخ) .

وهذه البلدة تعسة الحظ ، فأرضها من عصر محمد على باشا تابعة لتفتيش شاوة الذى وهبه محمد على لكريمته الأميرة زينب هانم(١) ، ووقفته على جهات . وآلت نظارته لوزارة الأوقاف ، وفى أوائل مارس ١٩٤٨ آلت

---

(١) هى كريمة محمد علي ، وقد وقفت الأميرة هذه الأرض وما جاورها من تفتيش شاوة كله البالغ مساحتها نحو الأحد عشر ألف فدان . وأوقفت معها عدة عقارات لها فى القاهرة بظاهر الأزبكية على أولادها وذريتها وزوجها يوسف كامل باشا ثم على مصالح ومهمات وإقامة شعائر الجامع الأزهر والسادة العلماء الحنفية المدرسين به . ثم على الفقراء والمساكين والمسجد الحسينى والمسجد الزينبى ومسجد السيدة سكينة والسيدة نفيسة والسيدة فاطمة النبوية والسيدة عائشة والإمام الشافعى والإمام الليثى . وذلك بحضر الشيخ المهدى الحنفى شيخ السادة الحنفية وسواه من العلماء .

نظارته إلى ديوان الأوقاف الملكية ، فتسلمه وتولى نظارته والإشراف عليه، ويسمى هذا الوقف تفتيش شارة باسم أكبر بلاده ، وهى شاوة التى كان بها قديما مقر إدارة هذا التفتيش .. والأهالى يزرعون ويحصدون بطريق تأجير هذه الأرض نظير إيجار محدود فى السنة ، وهم مجدون ولكن حظهم تعس، لأن حظ قريتهم كان تعساً ، فأثر ذلك فيهم وفى حياتهم . والبلاد تشقى الناس بشقائها ، ويسعدون بسعادتها ، ومن أجل ذلك كانت الثروة فيها محدودة . وتفتيش شاوة الآن تابع للإصلاح الزراعى .

ومن علماء تلبانة المشهورين : العالم اللغوى الأديب الشيخ عبد الله بن منصور التلبانى الشافعى المعروف بكاتب المقاطعة وهو ابن أخت الشيخ أحمد بن شعبان الزعبلى ، وقد ولد عام ١٠٩٨ هـ ، ودرس بالأزهر ، ولما مات صلى عليه فيه ودفن بالمجاورين(١) .

والعلامة الشيخ مصطفى التلبانى وهو من أجداد الخفاجيين فى تلبانة ، وكان أستاذ الشيخ محمد بن سلامة الصوفى .

والتعليم فيها من قبل ضئيل ، والثقافة محدودة ، لاتتعدى أثر المكاتب الأولية فى تحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة ، وأنشىء بها من عام ١٩٢٧ مدرسة أولية لتعليم البنين والبنات ، وقد ساعد الحظ بعض أبناء الأسر الكبيرة فيها على أن يكملوا دراستهم فى مدارس المنصورة ، وقليل جدا من شق طريقة إلى الأزهر والجامعة ليكمل ثقافته العالية وبها الآن مدرسة ابتدائية .

وهذه إحصائية عن تلبانة فى تعداد عام ١٩٤٧ :

مساحة الزمام بالكيلومتر المربع ٤ر١٠

عدد السكان ٤٠٥١

---

(١) ١ : ٣٧٠ الجبرتى .

عدد العائلات ٩٤٤

عدد غرف السكن ٢٥٢١

عدد الذكور ١٩٤٥

عدد الإناث ٢١٠٦

المتعلمون ذكورا ٦٢٧ — وإناثا ٣٠٣

لامجال للتصوير الكامل لهذه القرية الوادعة ، فى هذه الخطوط الصغيرة تعبير عام عن نظامها وحياتها ، ولا إخالك تجهل أن مبانيها كلها من اللبن ، إلا قليلا جداً من منازل أعيانها وبعض مساجدها ، كما أذكر لك أنها كانت فى التقسيم الإدارى تتبع مركز السمبلاوين قديما ، ثم صارت منذ أوائل القرن العشرين تتبع مركز المنصورة ، ومنصب العمودية فيها فى أسرة خفاجى الكبيرة الآن التى لها مكانها الاجتماعى والادبى فى القرية وفيما جاورها من البلاد ، ويحمل عدد كبير من أبنائها شهادات عالية ، وآخرون معهم مؤهلات متوسطة ، ومنها عدد كبير من تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية ، والأطفال الصغار يتعلمون تمهيدا لالتحاقهم بالمدارس الابتدائية .

وحالة الأسرة المادية لابأس بها ، فلكل بيت من بيوت الأسرة أملاك تكبر وتصغر ، وكل منهم يؤجر قطعا من أرض الأوقاف لزراعتها واستغلالها .

ولأرسم لك صورة لمنازل هذه الأسرة ، عندما تدخل إلى القرية تجدك محاذيا لترعة الجبادة الصغيرة ، وعليها وأمام البلدة تجد «مسجد الخفاجية» الذى بناه رجال الأسرة من قديم ووراء المسجد تجد منزل الأستاذ محمد عصر خفاجى عمدة القرية ، وأخوه الاستاذ محمود بك القاضى بالمحاكم الوطنية ، وللعمدة عدة أبناء منهم المستشار الدكتور رفعت ، وضابط بالجيش . ووراء بيت العمدة تجد منزل الشيخ حسنين خفاجى وأمامه : منازل : البسيونى خفاجى ، وحامد نافع خفاجى ، والأستاذ المرحوم الشيخ عبداللطيف نافع خفاجى من العلماء وإمام « مسجد الخفاجية » المشهور سابقا ، وعلى الترعة

نفسها وبجوار منزل الإمام: منازل: الشيخ عبدالمنعم خفاجى والشيخ الغندور خفاجى وخلفه منزل الشيخ محمد نافع خفاجى وبجواره مقام « الشيخ عوض خفاجى »، وقريبا منه منزل المرحوم الشيخ سليمان خفاجى وأحفاده: أولاد المرحوم الأستاذ عبد اللطيف سليمان خفاجى .

نسب أسرة خفاجى

والأسرة هى من بنى خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة كما ورد فى المقامة الخفاجية تأليف العالم الكبير الشيخ نافع الخفاجى المتوفى عام ١٩١٢ م وهى مخطوطة وسأنشرها قريبا بإذن الله .

وبذلك يتصل النسب ، ويتلاق الأحفاد والأجداد ، ونسير فى البحث مطمئنين إلى الحقائق التاريخية الثابتة التى تضمنها هذا الكتاب .

التاريخ القديم للأسرة

التاريخ المعروف للأسرة يبتدىء من أحمد الخفاجى وينتهى بفروع الأسرة المعاصرين .

وأحمد الخفاجى من بنى خفاجة من قبائل بنى عقيل بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة (١) ، وكان من أهل الحقيقة ومشايخ الطريقة (١) ، ولا نعلم شيئا موثوقا به عن آبائه ، ولا عن تاريخ نزولهم هذه البلدة ، وإن كنت قد سمعت عن أجدادنا أن الأسرة تقيم فى هذه البلدة منذ أمد بعيد ، وكان من رؤوس الأسرة : الشيخ المغفور له عوض الخفاجى جد أحمد الخفاجى المذكور ، وكان عظيم الجاه كبير المروءة كثير الذرية سريا ، يعيش فى حالة ملائمة من الغنى والثروة .

---

(١) المقامة الخفاجية ـ مخطوطة ـ العالم الكبير نافع الخفاجى .

فعلى هذا يكون أحمد الخفاجى المذكور حفيدا لجده عوض الخفاجى .

ومهما كان فقد خلف أحمد ذرية كبيرة منها مصطفى الخفاجى ، وخلف مصطفى كذلك ذرية كبيرة كان منها حسن الخفاجى ، وخلف حسن ذرية كان منها سليمان الخفاجى ، وخلف سليمان ذرية منها ابناه : خفاجى والجوهرى اللذين هما الأصل الغالب لأغلب الأسرة الخفاجية بتلبانة الآن ، وهذه الذرية كانت من أهل الوجاهة والرياسة ومنهم من ولى الحكم ببلده وبجملة بلاد أخرى(١) .

مصطفى الخفاجى

هو ابن أحمد المذكور وعميد الأسرة بعد أبيه ولا نعلم عنه شيئا آخر فوق ذلك ولعله العلامة الشيخ مصطفى التلبانى .

حسن الخفاجى

ابن مصطفى الخفاجى بن أحمد الخفاجى ، تولى شئون الأسرة كلها بعد أبيه وقام ببناء المسجد التلبانى ببلده المشهور بمسجد الخفاجيين (١) .

سليمان الخفاجى

تولى بعد والده حسن الخفاجى رعاية شئون أسرته وشئون البلد جميعها .

وكان له شهرة ذائعة مع طيب خلق وكرم نفس وبطولة وشجاعة ومروءة وفضل وغنى ويسار(١) .

نافع الخفاجى

١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م — ١٣٣٠ هـ = ١٩١٢ م

ونحن حين ننتقل إلى الترجمة لهذه الشخصية الكبيرة الخالدة نجد

(١) المقامة الخفاجية .

مصادر واسعة تحدثنا عنه فى إفاضة وسعة ودقة تحقيق وتحليل .

ترجم لنفسه فى صدر معلقته الخفاجية ترجمة طويلة مستفيضة سننقل عنها فى إيجاز واختصار ، قال : « نافع الخفاجى بن الجوهرى بن سليمان بن حسن بن مصطفى بن أحمد الخفاجى التلبانى من بنى خفاجة وأمى من أولاد الحسن ابن على بن أبى طالب ، وجدتى أم والدى من بنى شاكر ولهم اتصال فى شرف الحسب .

« وكان مولدى فى حدود سنة ١٢٥٠ هـ ، « وكنت بعد سن التمييز فى مغرس طيب النبت عزيز ، فى حجر والدى ، ممتعا بذخائر طريفى وتالدى ، مربى بغذاء النعم فى الظاهر والباطن ، فى النعيم المقيم بأرفع المساكن ، ومقام والدى الجوهرى غنى عن المدح ، والورق بأوكارها لاتعلم الصدح » .

« وحفظت القرآن ولى دون اثنتى عشرة سنة ، ثم حفظت المتون كمتن أبى شجاع ومنهج الفقه وألفية ابن مالك والآجرومية والرحبية والجزرية والجوهرة والسنوسية ومتن السلم وتحفة المبهى ومتن السمرقندية ومتن الزبد لابن رسلان وغيرها » .

« فلما درجت من عشى تركت تلك النعم المتكاثرة ورحلت فى طلب العلم إلى القاهرة » .. « وكان وصولى الأزهر أواخر سنة ١٢٧١ هـ ثم فى أول سنة ١٢٧٢ حضرت ابن قاسم والكفراوى ، وفى سنة ١٢٧٣ حضرت البرماوى والكفراوى أيضا ، وفى هذه السنة زلزلت الارض والبلاد زلزلة عظيمة هدمت منها بعض البيوت والمآذن بمصر ، وفى سنة ١٢٧٤ حضرت شرح الخطيب وشرح الشيخ خالد وحاشية ابى النجا ، وفى سنة ١٢٧٥ حضرت شرح الخطيب ثانيا وشرح الأزهرية وحاشيته وشرح القطر . وفى هذه السنة توفى أخى محمد الغندور ، وفى سنة ١٢٧٧ حضرت التحرير وشرح القطر ثانيا وشرح الشذور » .

ذ حضرت على سيبويه زمانه وعلامة عصره وأوانه شيخ الإسلام وتاج العلماء الأعلام شيخنا إبراهيم الباجورى طيب الله ثراه وجعل الفردوس مأواه ، لحضرت دروسه فى المنهج والتحرير وكتب الحديث والتفسير ، وهو الإمام الذى اقتدت به علماء الأمصار ، وتنزهت من فضائله فى حدائق ذات بهجة وأنوار ، .

وقرأت على من رقى فى معارج الفنون مولانا الشيخ إبراهيم السقا شرح الجامع الصغير وشيئا من كتب التفسير ، وقرأت الفقه وشيئا من الحديث على الشيخ محمد الأشمونى ، وقرأت على شيخنا الخضرى شرح المنهج والتحرير والنحو والبيان ، ونافست فى الجد والطلب جميع الإخوان ، وقرأت على الشيخ مصطفى البدرى شيئا من الفقه والنحو وغيرهما ، وقرأت على الشيخ الرهابينى شيئا من المنطق والنحو والبيان ، وكتب لى بخطه أجازة (موجودة لدى صورتها الخطية) ، وهى « تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام ، المحيى مآثر الأعيان ، بنشر ثنائهم المخلد فى صحائف الأيام ، والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام ، وعلى آله وصحبه ماطرز البرق برود الغمام أما بعد فقد سألنى الأخ فى الله تعالى الشيخ العالم العلامة نافع بن الجوهرى بن سليمان الخفاجى التلبانى أن أجيزه بجميع مروياتى من فقه وحديث وتفسير ونحو ومنطق وبيان وبديع وعروض من معقول ومنقول وإفتاء وتدريس وكل ما أخذته عن مشايخى الأجلة ، لكونه وسمنى بسمة العلم ولست من أهله :

إذا كان الزمان زمان سوء فيوم صالح فيه غنيمة

فعلمت لياقته لذلك فقلت : أجزته بجميع مروياتى من مشايخى الأخيار ، وما لهم من التآليف والآثار ، وأوصيه بتقوى الله والوقوف على حدود شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يتحرى فى القول والعمل ، وأن لا ينسانى من صالح دعواته ، صانه الله وحماه ، وقلد جيد مجده بفرائد حلاه » . . وتاريخ هذه الإجازة جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣ هـ .

وأنظرت فى كتب المذهبين : مذهب الشافعى والنعمان ، مؤسستاً على الأصلين من مشايخ العصر ، متنزها فى حدائق السحر ، وشغفا لآدابى بمحال النظم والنثر » .

ومن أجل من أخذت عليه شيخنا الرافعى ، قرأت عليه شرح الشفا وقطعة من البخارى فأجازنى بذلك » « وممن قرأت عليه الشيخ على الملبط ، حضرت عليه طرفا من العلوم وشيئا من حديث الرسول فأمدنى بدعاء لاشك أنه على أكف القبول محمول ، ومنهم الشيخ التجريدى كان ينوه باسمى ويفتتح جريدته برسمى . ومنهم شافعى زمانه وعلامة أوانه الشيخ نور الدين المنوفى ، حضرت دروسه الفقهية » .

« وجدت فى طلب العلم السرى ، ونبهت عيون حظى من سنة الكرى ؛ وقلت : دار بدار ، والعمر فرصة فالبدار . وكل ماتهواه حسن : وليس لما قرت به العين ثمن ، ففارقت من فارقت غير مذمم . ويممت من يممت خير ميمم . وأخذت الفقه والنحو والتوحيد والفرائض والبيان والمنطق والتفسير والحديث عن جماعة من الشيوخ ، وقد فتح الله على فى علوم الفقه والفرائض والتوحيد والتفسير والحـــديث والنحو والمنطق والبيان والبديع واللغة والعروض والإنشاء والطب والحساب . والحروف والأوفاق والتاريخ . . . ودون هذه : أصول الفقه والتصريف والاشتقاق والجدل والوضع ، ودونها : القراءات ولم آخذها من شيخ : ولضيق يدى عن شراء ماأحتاج إليه من الـكتب كنت أطالع كل ما أمكننى مطالعته » .

ثم ذكر جملة أسماء الـكتب التى قرأها على العلماء أو طالعها أو حفظها وكانت كثيرة جدا تفوق على الألف كما يقول هو فى مقامته ، ونلاحظ أن من الـكتب التى قرأها فى فن العربية والأدب وما يتصل به هذه الـكتب : الوسيلة الأدبية للمرصفى ، حلبة الـكميت ؛ أساس البلاغة للزمخشرى ،

أدب الكاتب لابن قتيبة ، صحاح الجوهرى، فقه اللغة ، المزهر، المثل السائر، شفاء الغليل ، الشفا فى بديع الاكتفا للنواجى ، تاريخ ابن خلدون ، ابن خلكان ، الخطط للمقريزى ، حسن المحاضرة للسيوطى ، نفح الطيب ، الأغانى ، الكامل لابن الأثير ، الغناء فى دمشق الفيحاء ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، آثار البلاد للقزوينى ، الخصائص للسيوطى ، المسامرات لابن عربى ، فاكهة الخلفاء ، فوات الوفيات ، الخزانة ، مقامات الحريرى وشرح الشريشى عليها ، طراز المجالس للشهاب الخفاجى ، الكشكول ، الموازنة للآمدى ، قلائد العقيان ، ريحانة الالباب للشهاب الخفاجى ، حديقة الأفراح ، رسائل الخوارزمى والبديع ، حياة الحيوان للدميرى ، ثمرات الأوراق ، شرح رسالة ابن زيدون ، ديوان الصبابة ، المستطرف ، الانشاء للعطار ، ، إنشاء مرعى ، ربيع الأبرار ، شرح ديوان ابن الفارض، شرح لامية العجم ، شرح ديوان امرىء القيس ، سوى الدواوين الكثيرة التى قرأها ، وذلك كله مما يوقفنا على سر ثقافته الأدبية .

ثم قال :

« ومصنفاتى فى هذا الوقت تبلغ الخمسين ولم يكن لى شغل بالليل والنهار سوى المطالعة .

ولدى الآن صورة خطية للاجازة العلمية التى كتبها له الشيخ الباجورى ..

بدأها بالحمد والصلاة على الرسول فى إفاضة ، ثم أفاض فى فضل العلم ... إلى أن قال :

« وإن ممن قدم علينا بمدينة القاهرة ، التى هى بالمحاسن ظاهرة ، وبأكابر العلماء زاهرة ، وبمدارس العلوم عامرة ، وروضتها بأنفاس أكابر العلماء عاطرة ، وأشعة شموس علومهم بها باهرة ، لاسيما الجامع الأزهر والمسجد الأنور ، الذى فيه العلوم تقرر ، وبساط العرفان ينشر ، فهو بذلك عن كل

المساجد متفرد ، وبتلك الخصيصة مشهور لمن إليه يرد . تجنى من رياض دروسه ثمار العلوم ، وتنبت - كما ينبت البقل - بأرضه الفهوم ، فمحله فى الفضل غير منكور . ومهارة علمائه فى الفنون أمره مشهور :

العالم الفاضل الماهر الكامل، الألمعى اللوذعى ، صاحب الأفهام الدقيقة ، والمعانى الدقيقة . نافع الخفاجى التلبانى ، وقد أخذ المذكور عن علمائه ومشاهير فضلائه ؛ وتفيأ فى ظلال معارفهم ؛ واقتطف أزهار لطائفهم ، وتعطر بعبير أنفاسهم ، واستضاء بمشكاة نبراسهم ، حتى حصل من علمهم الجم ، وغاص على تلك اللآلىء فى ذلك اليم ، وجد واجتهد ، وحرر وقيد ، فربحت تجارته وحسنت شارته وعظمت فائدته ، وجلت عائدته ، وامتلأ وطابه ، وشرف بالانتماء إلى العلم انتسابه ، ولما حن حنين الفحل إلى عطنه ، وأراد الرجوع إلى وطنه ؛ زودته بالدعوات الصالحات ، وكسوته حلل الكرامة بتسطير الإجازات ، رجاء الانتظام مع هؤلاء العلماء ، فقلت : أجزت المذكور بكل ماتجوز لى به الرواية ، وماتلقيت عن أشياخى - ضاعف الله أجورهم - رواية ودراية ، وبما لى من تأليف وتصنيف » .

وتحمل هذه الإجازة هذا الإمضاء : « الفقير إبراهيم البـــاجورى - خادم العلم .

ومع هذه الوثيقة صورة أخرى لرجاء أساتذته : الشيخ الملط والشيخ البدرى والشيخ على محمد المرفوع إلى شيخ الجامع الأزهر لإعطاء « ولده الفقير نافع خفاجى ابن الجوهرى خفاجى من أهالى ناحية تلبانة بولاية الدقهلية تذكرة أسوة بأمثاله بإكرامه وعدم المعارضة له بطريق ما وإجازته بكل ماافتى ومافعل ، والعهدة علينا فى ذلك » .

ويلى ذلك إجازة شيخ الأزهر له ومنها : « انتظم المذكور فى سلك

العلماء وأخذ عن الشيوخ الموجودين فى هذا العصر بعضا من العلوم ؛ ودأب فى التحصيل لفتح دقائق الفهوم ، فأجازه أشياخه بما أخذ عنهم وتلقاه منهم، ولما أراد الرجوع إلى وطنه التمس إجازته بما تجوز له روايته وتنسب له عن أشياخه درايته ، فسارعت لسؤاله ، وبادرت لتحقيق آماله ، فأجزته بما تجوز لى روايته من منقول ومعقول وماتنصرف إليه همم أرباب العقول، وعليه العمل بتقوى الله وأن لاينسانى من دعواته الخ » .

وعاد الفتى الشاب العالم من القاهرة يحمل معه إجازته العلمية واستقر أخيرا فى قريته .

لانعلم فى أى تاريخ عاد من مصر إلى تلبانة ولكنه على كل حال عاش فى البلدة ضجرا ملولا كارها لجوها وللحياة فيها ، يقول فى مقامته :

فرجعت إلى بلدى فلم أجد بها أحد يحسن قراءة الفاتحة ، وصرت فيهم غريب الفضل منفردا كبيت حسان فى ديوان سحنون ، ومازلت معتكفا فى حرم المطالعة من كتاب قديم إلى كتاب جديد ، حتى جذبتنى حاجة الحياة إلى مخالطة الجهال الأغمار .

وأخذ يطالع ويدرس ويؤلف وينظم الشعر ، ويتصل برجال إقليم الدقهلية ، وكان صوفيا وخليفة السيد أحمد البدوى كما فى وثيقة مخطوطة عام ١٢٨٢ هـ ، وفيها يذكر مشايخه فى الطريقة أولهم عمر الصاوى المالكى الحفناوى .

وصار بعد قليل كبير العلماء فى هذا الإقليم وإمام الإفتاء فيه ، والعلم المشار إليه بالبنان ، وقصده الناس من كل جهة وحدب ، وعاش مبجلا بين الناس فى وسط بلده وأسرته .

تزوج أربع زوجات وخلف ذرية كبيرة صالحة ، وكان ينفق فى حياته بسخاء على أسرته الكبيرة الضخمة .

وأخيرا وبعد جهاد طويل وعمر حافل بجلائل الأمور وعظائم الأعمال توفى عام ١٩١٢ الموافق سنة ١٣٣٠ هـ عن ثمانين عاما .

مؤلفاته : اطلعت على فهرس لمكتبة هذا العالم الكبير المغفور له الشيخ نافع خفاجى بخطه فوجدته قد وضع الكتب فى مجموعات كل مجموعة بحسب الفن الذى ألفت فيه ، فعلم الفقه وعلم الحديث وعلم التفسير ، وعلم التاريخ الخ ، وكتب فى كل مجموعة ماله من مؤلفات فى هذا الباب ، وقد جمعت ماذكره من مؤلفاته ووضعت لها أرقاما مسلسلة وهى :

١ – الطب لنافع الخفاجى . ٢ – رسالة الكيمياء لنافع .

٣ – الألغاز لنافع وهو موضوع فى « مجموعة الحكم ومجموعة العلم والأمثال والألغاز والمسائل » .

٤ – مناسك الحج لنافع . ٥ – مسامرات نافع .

٦ – شرح كنز الطالبين فى التوحيد لنافع الخفاجى .

٧ – العقد الفريد فى علم التوحيد لنافع الخفاجى .

٨ – ديوان نافع الجوهرى فى الخطب والمواعظ .

٩ – مجموعة خطب نافع مرتبة على حروف المعجم «وهى خطب دينية» .

١٠ – تحفة الأذكار لنافع الجوهرى «فى مجموعة الفضائل والأوراد» .

١١ – فضائل رمضان فى آية القيام لنافع الخفاجى .

١٢ – فضل رمضان وفضل العيد لنافع الخفاجى .

١٣ – أوراد نافع . ١٤ – إعراب لاسيما .

١٥ – الزهر الفائح « فى مجموعة التصوف والمواعظ » .

١٦ – عنوان المجاوبة لنافع الخفاجى « كتاب إنشاء » .

١٧ ــ إنشاء نافع خفاجي المجموع من الصحف .

١٨ ــ إنشاء نافع في المدائح وغيرها .

١٩ ــ الهجاء لجامعه نافع الخفاجي .

٢٠ ــ المراثي « « «) في مجموعة

٢١ـ الاعراضات « « «) الأدب .

٢٢ ــ الإفادات « « «) والإنشاء

٢٣ ــ الأرجوزة المفحمة في المكاتبة والمخاصمة .

٢٤ ــ تمرين القراء ودعاء الختم لنافع الخفاجي في مجموعة علوم القرآن .

٢٥ ــ السيرة النبوية لنافع الخفاجي .

٢٦ ــ الفلسفة لنافع الخفاجي . ٢٧ ــ الجغرافيا لنافع

٢٨ ــ كتاب الأمثال والحكم المنظومة لنافع .

٢٩ ــ الكواكب الدرية في المسائل الفقهية لنافع الخفاجي .

ومعظم هذه الكتب فقد مع مكتبته الكبيرة التي فقد الكثير منها بعد وفاته في حريق نكبت به البلدة . والباقي منها لايزال غير معروف لي إلى هذا الوقت ، وتوجد بقايا منها في مكتبة ابنه الأستاذ الكبير المرحوم الشيخ عبد اللطيف نافع خفاجي ولم أطلع عليها للآن .

أما الكتب الموجودة لدى من مؤلفاته فهي :

١ ــ رسالة تنوير الأذهان في علم البيان تأليف نافع الخفاجي بن الجوهري ابن سليمان التلباني الشافعي وهي دراسة واسعة للتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية ، وسنتهيأ في المستقبل القريب أسباب طبعها إن شاء الله .

٢ ــ مطالع الأفكار وتنوير الأبصار في علم المنطق لمؤلفه نافع الخفاجي التلباني .

٣ — السر المكتوم والدر المنظوم فى علوم المنطوق والمفهوم وهو كتاب فى شرح جميع أنواع العلوم من فقـــه وأصول الدين وتوحيد وتفسير وتجويد وقراءات وعلم رواية الحديث وعلم دراية الحديث وأصول الفقه الخ .

والكتاب ليس كاملا كله ومن محتوياته أرجوزة فى النكاح على مذهب أبى حنيفة وقد طبعها بعد فى كتاب مستقل وسماها : « نصيحة الإخوان » .

وهذا الكتاب فذ فى نوعه فقد كتب فى أسلوب مقامة أدبية ، وكتابة العلوم بأسلوب أدبى يشرحها ويضىء جوانبها ويجعلها قريبة إلى العقل حبيبة إلى النفس مما لم يكن مألوفا قبل هذا الكتاب .

ويقول فى مقدمته : لما رأيت العلوم فى يد الامتهان ، وميدانها قد عطل من الرهان ، وبواترها قد صدئت فى أغمادها ، وشعلها قد خمدت برمادها ، عن لى أن أجمع هذه المقامة تحفة لكل أديب . وجعلتها ذكرى حبيب ، وهى وإن كانت جزءا صغيرا وشيئا يسيرا ، إلا أنه يرى على ماوراه تحت برديه ، ويروى ظمأ كل وارد عليه ، قطف من أزاهير الفنون كل مشموم بهى ، وجمع من ثمار العلوم كل مطعوم شهى ، وتحلى بفرائد العلوم الأدبية ، وتجلى بنفائس الفنون الشرعية والعقلية ، مع التحيل بأجمل حيلة على جمع فرائد الفوائد الجليلة فى الأوراق القليلة ، بشىء يحسن فيه جمع المتفرقات وإن كانت غير متناسبات ، وتتألف به العلوم الشاردات وإن كانت متنافرات غير متوافقات . . وقد افتتحته بالعلوم الشرعية ، وثنيته بالفنون العددية ، وثلثته بالعلوم العربية ثم الفنون العقلية حتى فاقت على السبعين » .

والجزء الموجود عندى يحتوى على ثلاثة عشر فنا من الفنون الشرعية ، وسأوالى البحث عن باقى هذا الأثر الثمين ، ولعلى أجده بفضل الله .

٤ — كتاب « جواهر الكلم فى منظوم الأمثال والحكم » من جمع

وتأليف نافع الخفاجى التلبانى » ، وهو كتاب ضخم جداً ويقول فيه فى مقدمته :

«قد جمعت فى هذا الكتاب فصولا جامعة لحكم منظومة ونوادر مأثورة معلومة صدرت من كلام من تقدم من العلماء والخطباء وسالف من البلغاء والحكماء ممن أشرقت بأسمائهم صفحات الزمان وطلعت من أقمار سماء الإحسان ، فأخذت بمجامع الأفكار وعمرت بها مشاهد التذكار ، فصارت أنسا للسمار ونزعة للأسماع والأبصار وقد أثبت منها فى هذا الكتاب مارق وراق وشحنت به الصحائف والأوراق من حكم مرفوعة وأمثال موضوعة» ، ثم يتحدث فى هذه المقدمة عن الشعر ومكانته وأثره ، وحكمة رسول الله وبلاغتها ماروى منها ، ثم يسرد بعد هذه المقدمة الطويلة ماروى من رائع الشعر فى الحكمة والمثل عن كثير من الشعراء مرتبا لها على حروف المعجم فى عدد ضخم من الصفحات ، وألم فيه ببعض من شعره هو ، والكتاب ذخيرة أدبية ثمينة وسنشرع فى طبعه بإذن الله فى أقرب فرصة ممكنة .

٥ — المقامة الخفاجية (أو التلبانية) المسماة بمروج الذهب ورياض الأدب لمؤلفها نافع الخفاجى التلبانى وهى مقامة ساحرة الأسلوب رائعة الديباجة ذكر فيها المناظرة التى كانت بينه وبين بعض الفقهاء أمام قاضى مركز السمبلاوين الشرعى ، وصدرها بإهداء لهذا القاضى وكان صديقا حميما له ثم ترجم لنفسه فيها ترجمة وافية ثم ذكر المناظرة فى بسط ومزيد تطويل وكيف انتصر على منافسيه جميعاً وتجلت للناس كافة سعة ثقافته وقوة عقليته وقد ألفت بعد وفاة والده سنة ١٢٩٤ ولا ندرى السنة التى ألفت فيها بالتحديد ويقول فى أولها فيما يقول :

« قد كنت وأدهم الشبيبة طرب العنان ، وورقها أخضر مائس الأفنان ، أتجر فى بضاعة الأدب ، فوردت سهل بحره الصافى وطالعت منه هامى

العروض والقوافي ،وكنت مغرما بصيد الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستقبات الفضائل ، واستنساخ أقوال الأماثل . ثم اتفق لي أن أشار إلى وأوما لدى صدر المدرسين ومفيد الطالبين مولانا الشيخ محمد سيف الدين قاضي مركز السنبلاوين ، أن أشنف سمعه الثاقب ، بحلية أدب من الغرائب ، وكان كثيراً ما يجاملني بحسن المجاملة ، ويعاملني بلطف المؤانسة ، فالتمس مني كتابا في الأدب يعذب وردا ومنهلا ، قاصدا بذلك تنويه ذكرى ، فأجبته مطيعا ، ثم اتفق لي في هـــذا الأوان أن سألني من أمره مطاع لدى أن أملي جميع ما جرى لي بالمحكمة الشرعية الكبرى من المناظرات وما حصل لدى من المحاورات ، فتلقيت أمره بالامتثال ، وسلكت فيها طريقا لم تسلك قبلي لوارد ، وبسطت فيها نمطا لم ينسجه ناسج ، ولا نحا نحوه قاصد ، ورسمتها مقامة تعرب بحسن معانيها عن لطائف المعاني ، وتفصح عن عذوبة السجع بما يفوق رنات المثاني،قد احتوت على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله وملح الآداب ونوادره ، إلى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات ، ورصفته فيها من الأمثال اللغوية واللطائف الأدبية والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة ، فهي حقيقة أن تكتب بسواد العيون، وأن تشترى بنفائس الأرواح لا بنقد العيون ، إلى آخر ما يقول . وهذا الوصف لهذه المقامة أقل في الواقع مما تستحقه من إعجاب وتقدير ، ومن ميزاتها :

أولا : تحتوى على تاريخ للأسرة حتى عصر مؤلفها .

ثانيا : تحتوى على تاريخ لحياة هذا الرجل العظيم الذى ألفها .

ثالثاً : وهي بأسلوبها الأدبي الممتاز مثل في البلاغة والبيان .

رابعاً : ثم هي بهذا الأسلوب الساحر تبسط قواعد العلوم الشرعية واللغوية والأدبية وتعرض كل ما عرضت له منها عرضا يقبله الذوق وترتاح له النفس وتهش له المشاعر والوجدانات .

خامسا : احتواؤها على كثير من شعر المؤلف الخالد .

٦ — المقامة السعفانية لمؤلفها نافع الجوهرى الخفاجى وهى أقل بكثير جدا من حجم المقامة السابقة ، وكلها هزل ممتع ، وفكاهة بارعة ، يقول فى أولها :

« حدثنا عجلان ، عن أبى عطوان ، عن أبى عيسى الهتان ، عن ناظر الوسنان ، عن أبى سعفان ، عن أبى عيسى جوهرى الزمان ، عن راح الروح والريحان ، عن أبى ثعلبة بن ثعلبان ، قال مررت يوما على بلدة وريقة ، خضراء نضرة أنيقة ، يقال لها تلبانة عدى بن مضر ، وإذا بها أربعة من الشبان ، قد تحلى بألفاظهم فم الزمان ، وتجلى بوجوهم ناظر الإنسان ، وهم قيام على منابر الافتخار ، بين من بها من الأقمار ، فقلت لبعض من حضر : ما الخبر ؟ فقال : إن بعض أصحاب المكاتب الأهلية ، قد حضرت ، وإن نواطق الألسنة التلبانية قد نظرت لما نضرت ، واتفقت على عقد مجلس حافل ، لاختيار من هو بآذان المسجد الجامع أحق وكافل ، وهاهى ذى أكابر المؤذنين قد صعدت المنابر ، ليبدى كل إنسان حجته للناظر .

٧ — رسالة فى التحليل وطلاق الثلاث والحرام وغير ذلك تأليف نافع الخفاجى التلبانى وتقع فى أكثر من خمسمائة صفحة .

٨ — تهييج الأشواق فى حكم الخلع والطلاق تأليف نافع بن الجوهرى الخفاجى التلبانى . وهو غير كامل ، والذى لدى منه أكثر من مائة صفحة .

٩ — خطبة عيد الفطر لنافع الخفاجى وهى خطبة كبيرة .

١٠ — مواعظ شعرية مجموعة ومرتبة على حروف المعجم جمع نافع الخفاجى .

١١ — قصة الإسراء والمعراج لنافع الخفاجى .

١٢ — « المولد النبوى « «

وهذه هى كل الكتب الموجودة عندى من مؤلفاته ويضاف إليها :

١٣ — ديوان شعر نافع خفاجى وموجود لدى جزء كبير منه بعضه مجموع فى كراسة والبعض الآخر فى مسودات كثيرة .

١٤ — كما يضاف إليها فتاواه الكثيرة الهائلة العدد ولدى العائلة كثير من الأوراق القديمة التى كتبت فيها هذه الفتاوى وهى فى حاجة إلى الجمع ولكن ربما لايتسنى ذلك وستضيع هذه الفتاوى الثمينة كما ضاع الكثير من كتبه ، فيكون مجموع الكتب المفقودة والموجودة ثلاثة وأربعين كتابا ، وفى اعتقادى أن مؤلفاته لاتقل عن السبعين وهى ثروة علمية ضخمة تضع صاحبها فى الرعيل الأول من جلة العلماء الخالدين .

وقد وصلنى بعد ذلك مخطوطات أخرى من تأليفه .

جملة مؤلفات الخفاجى المخطوطة الموجودة فى مكتبتى :

١ — رسالة تنوير الأذهان فى علم البيان

٢ — مطالع الأفكار وتنوير الأبصار فى علم المنطق

٣ — السر المكتوم والدر المنظوم فى علوم المنطوق والمفهوم

٤ — جواهر الكلم فى منظوم الأمثال والحكم

٥ — المقامة الخفاجية أو التلبانية المسماة بمروج الذهب ورياض الأدب .

٦ — المقامة السعفانية

٧ — رسالة فى التحليل وطلاق الثلاث والحرام

٨ — تهييج الأشواق فى حكم الخلع والطلاق

٩ — خطبة عيد الفطر ، وخطبة عيد النحر

١٠ — مواعظ شعرية

١١ — قصة الإسراء والمعراج

١٢ — قصة المولد النبوى

١٣ — أجزاء من ديوان نافع الخفاجى الشعرى ، ومنها : الأجزاء ١ و ٢ و ٦ و ٩ و ١٠ و ١٥ .

١٤ — بعض فتاويه

١٥ — رسالة فى علم المنطق

١٥ - رسالة الإعجاز فى شىء من المسائل والألغاز الجزء الأول والثانى والثالث

١٦ — مجموع المراثى الجزء الأول والثانى والثالث

١٧ — ديوان خطب نافع الخفاجى

١٨ — مجموع فى الميراث

١٩ — الدر الثمين بشرح كنز الطالبين

٢٠ — عنوان المكاتبة

٢١ — جزء صغير من كتاب فى العروض

كتب مفقودة لنافع الخفاجى :

فضائل شهر رمضان لنافع

سيرة الأنبياء لنافع

ألغاز التاريخ لنافع

مسائل التوحيد لنافع

السيرة النبوية

قواعد الحديث لنافع

مناسك الحج لنافع

الزهور الندية فى الدروس النحوية

الانشاء لنافع

خواص الحيوان والنبات لنافع

الجزء ٣ و ٤ و ٥ من أشعار نافع

أشعار نافع

الغزل لنافع

جواهر الكلم فى الحكم لنافع

رسالة الطلاق لنافع

مسائل الميراث لنافع

رسالة صوم يوم الشك لنافع

الحكم المبرم فى الفقه ومختصر الحكم

الكواكب الدرية فى المسائل الفقهية لنافع

نفحات العطر فى زكاة الفطر

الفواكه الجنية فى القواعد النحوية لنافع فى النحو

مجموع العلوم لنافع

المسائل اللغوية لنافع

ألغاز القرءات لنافع

التحفة البهية فى القواعد النحوية

رسالة فى البيان لنافع

العقد الفريد لنا فع

الرمل لنافع

لوامع الاشراق فى الأوفاق لنافع

إغاثة الملهوف فى علم الحروف لنافع

كشف الأحوال فى ترتيب الأعمال لنافع

البدر النورانى فى الطب الجسمانى لنافع

الدرة المنتجة فى الأدعية المجربة لنافع

إغاثة اللهفان فى تسخير الجان لنافع

كفاية المهمات إلى قضاء الحاجات لنافع

الفيض الربانى فى علم الروحانى لنافع

الكيمياء لنافع

لوامع الإشراق فى جلب الأرزاق لنافع

رسالة فى الميقات لنافع

فضائل رمضان لنافع

شرح الستين بخط أحمد نافع

السر المكتوم فى علم النجوم

كنز الطالبين ومعدن الراغبين فى علمى الفقه والتوحيد

تحفة الأدعية والأذكار

التاريخ لنافع

حكم وأمثال بخط نافع

المفاكهات لنافع

الحكايات لنافع

الجغرافيا لنافع

المسامرات لنافع

الإفادات «

الاعراضات «

الفتاوى «

عنوان المكاتبة لنافع

قواعد الحديث لنافع

رسالة البسملة لنافع

الهجاء لنافع

وأما مكتبة العلامة نافع الخفاجى فقد كانت مكتبة حافلة عامرة بالمخطوطات النفيسة ، وكانت تبلغ ١٠٦٩٨ كتابا ولكن أغلبها فقد فى حريقين متتاليين فى القرية والباقى بدد ولم يحافظ عليه ، وكانت فى حوزة خالى المرحوم العلامة الشيخ عبداللطيف نافع الخفاجى .

شعره : نجد شعر هذا العالم الكبير فى ثلاثة مصادر :

الأول : فى ثنايا مؤلفاته الأدبية والعلمية .

الثانى : فى أوراق كثيرة مهملة كانت محفوظة فى مكتبته .

الثالث : فى كراسة خاصة جمعها الفقيد الخالد من شعره بيده .

وشعره قسمان :

(أ) الشعر العلمى ونرى الكثير منه فى مقامته «السر المكتوم والقمر المنظوم» فى علوم المنطوق والمفهوم ، ومن هذا الشعر أرجوزته المطبوعة «نصيحة الإخوان فى أحكام النكاح على مذهب النعمان» .

(ب) الشعر الأدبى الوجدانى وهو كثير .

صور من شعره

قال من قصيدة طويلة مذكورة فى صدر المقامة الخفاجية :

مالى وللأيام ويح صروفها أبدا تلاحظنى بعين عناد
واحسرتا نال الزمان مراده منى ولم أظفر بنيل مرادى
لامسعد يرجى ولا متوجع نشكو إليه حرارة الأكباد
سل مخبرات الشعر عنى هل رأت فى قدح نار الفهم مثل زنادى
لم تبق حلبة منطق إلا وقد سبقت سوابقها إليك جيادى
لله در خفاجـــة أبرزتها من خدر فكرك فى حلى الإنشاد
حظ من النظم البديع أفادنى حظ الكرام وخطة الأمجاد

وقال :

خليلى فى تلبان هل أنتما ليا على العهد أم غدا العهد باليا
وهل ذرفت يوم النوى مقلتاكما على كما أمسى وأصبح باكيا
وهل أنا مذكور بخير لديكما إذا ماجرى ذكر من كان نائيا
ودون الذى رام العواذل صبوة رمت بى فى شعب الغرام المراميا
وقلب إذا ماالبرق أومض موهنا قدحت به زندا من الشوق واريا
خليلى إنى يوم طارقة النوى شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
ولا تيأسا أن يجمع الله بيننا كأحسن ماكنا عليه تصافيا
أعد الليالى ليـلة بعد ليـلة وقد عشت دهراً لاأعد اللياليا
خليلى لا والله لاأملك الذى قضى الله فى ليلى ولا ماقضى ليا
وما لهم لاأحسن الله حالهم من الحظ فى تصريم ليلى حباليا

وبعد فشعر نافع الخفاجى كثير جيد رائع وهو فى الصف الأول من

شعراء عصره ، وإنما لم تسر شاعريته ولا فضله لأنه آثر الحياة فى هذه القرية النائية بعيدا عن القاهرة الصاخبة ، ولو أقام فى العاصمة لكان العلم المفرد فى عصره فى كل ناحية من نواحى حياته العظيمة .

وبعد فهذا هو نافع الخفاجى فى شبابه وطموحه ، فى دراسته الطويلة المستقصية ، وفى تآليفه الجيدة الممتعة ، وفى أدبه الساحر وشعره الرائع .

الجوهرى الخفاجى

« كان رئيس البلدة بعدوالده سليمان الخفاجى وكان يحفظ القرآن ويكتب الخط العربى والهندى وكانت له همم ومكارم شيم وله مكانة عظيمة عند الحكام وأرباب الأقلام وكان ذا ثروة واسعة وأملاك وافرة وكان معه من الأطيان نحو المائتين أو أكثر فوق العبيد والخدم والعمال والحشم وزاد قدره وطال فخره حتى صار قرة عين رؤساء وطنه مشارا إليه بالبنان دون أبناء زمنه قد أحاط بأحوال الدهر خبرا وفات بثاقب فهمه زيدا وعمرا(١) » .
وتزوج عائشة بنت حسن بن أحمد بن والى من أولاد الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وكانت والدة الجوهرى هى لطيفة بنت جاهين بن الشافعى بن جاهين بن محمد بن حجازى بن صقر بن سليمان بن شامخ بن شاكر من بنى شاكر ولهم اتصال فى شرف الحسب وعلو شجرة النسب ، وكان سليمان ابن شامخ بن شاكر من جملة قبائل الأشراف الواردين من الحجاز إلى مصر ونزل بأراضى ديو الوسطى بمديرية الدقهلية(١) . فوالدته من (ديو) بقرب الحصاينة . وله وصية إلى ولده نافع الخفاجى ، وهو فى مرضه الأخير ، يدعوه فيها إلى حسن الخلق وقوة الإيمان وشرف التقوى وإلى الطموح وإيثار الخير والحق(١) .

وهذه الوصية تدل على روح كبيرة وشخصية قوية وتقوى وورع

---

(١) المقامة الخفاجية

وسمو نفس وقد أسلم بعدها روحه الطاهرة إلى ربه راضياً مرضياً . والمرثية التى رثاه بها بعض أصدقائه(١) تدل على مجد وعظمة وسؤدد لهذا الرجل العظيم الخالد وكانت وفاته عام ١٢٩٤ هـ(١).

وهذه هى بعض المرثى التى قيلت فيه . رثاه صديق له له بمرثية طويلة من بليغ الشعر والنثر قال منها :

برزئك صار حلو العيش صابا   وسهم الحزن فى قلبى أصابا
فشرقك الفؤاد وأنت بدر   فكيف يصير مغربك الترابا
وكنت لمهجة الأعداء سيفا   فكيف اللحد صار لك القرابا ؟
وكنت ملازمى فى كل حين   فكيف نأيت لاتبغى إيابا
ودارك قد غدت قفرا فأضحت   عيونى بالدموع لها سحابا
وكان الدهر عبداً لى فأضحى   بفقدك مالكا منى الرقابا
وبحر الجود غاض ففاض دمع   على ظمأ ولا نجد الشرابا
سئمت لفقده لذات عيشى   وما عيش امرىء فقد الصحابا
ولو أن العزاء له بحرب   لأسرجنا إذا خيلا عرابا
ولو يفدى الفداء له بروحى   لجدت بها ولا أخشى عتابا
فوا أسفاه كم يبكى يتيم   إذا ما أم ساحته وخابا
وكم تبكى الأرامل حاسرات   من الحسرات يرفعن النقابا
فما ترجو العفاة سواه شهما   له فكر يحل به الصعابا(١)

ورثاه ابنه العالم الكبير نافع الخفاجى بمرثية طويلة جدا قال منها :

لو دام عيش بدنيا لما ذهبت   منها مصابيح جود قد جلت ظلما

---

(١) المقامة الخفاجية .

أو كان شهم بها يبق لما حزنت   لفقد شهم تناهى جوده وسما
المحسن العارف البحر الذى اغترفت
منه العفاة وعادت لا تخاف ظما
من كان فى ذروة الإحسان ذا شرف
وكم حوى من كمال واحتوى كرما
وكان ركنا له يهدى المقال إذا ؟
ما الأمر من مشكلات الدهر قد عظما
ومجلس الحكم منه فوقه هتفت   هواتف البين إذ سر الندى هدما
ماللزمان أراع المجد أجمعه   وبدل الدمع من تلك العيون دما
ما للزمان نراعى حسن معهده   وما رعى قط فى أحسابنا ذمما
استل من غمده بالقهر سيف علا   ماضى الغرارين مرهوبا إذا انتقما
هو اللبيب الذى طابت مآثره   كالروض حياه نوء المزن منسجما
وذو عزة لو بأيدى الناس مقودها   مازال فيه كريم النفس واهتضما
مضى وأبقى لنا الذكر الجميل على   أيدى الزمان كتابا طاهرا رقما
ولى شريفا عفيف النفس طاهرها   مهذب الخلق من عيب الورى سلما
ياويح تلبانة من بعد ما وخدت   به المنون تقل الفضل والكرما
لو كنت شاهده والنعش يحمله
رأيت رضوى على أيدى الرجال سما
من للسياسة فينا بعد ما خسفت
بدور رأى تنير الظلم والظلما
من للألى شيدوا من عزمه نعما   واستوطنوا من علاه الصدر والقمما

إلى آخر هذه المرثية الخالدة الطويلة البليغة(١)

---

(١) المقامة الخفاجية .

وأخت الجوهرى الخفاجى وهى عائشة بنت سليمان الخفاجى هى جدة أقاربنا الطرباهية الموجودين فى عزبة الطرباهية ، ومنهم المرحوم الشيخ سيد حامد طرباى ابن السيدة عائشة خفاجى وقد توفى فى ٢٥ ربيع الأول ١٣٧٢ هـ — ١٣ ديسمبر ١٩٥٢

وبنت الجوهرى الخفاجى وهى عائشة أيضا هى أم الشيخ سيد حامد طرباى بن السيد حامد بن طرباى .

الخفاجى الخفاجى

هو خفاجى بن سليمان بن حسن بن مصطفى بن أحمد الخفاجى ، تولى أمور الأسرة الاقتصادية كلها فى عهد والده وبعد وفاته وكان يقوم بجميع هذه الشئون شهما سيدا كريم الخلق طاهر الجود وقوراً ينم مظهره عن مخبره ومخبره عن مظهره وتوفى حوالى سنة ١٢٨٠ هـ .

شخصيات أخرى

وهناك شخصيات كثيرة أخرى نذكر منها بعضها :

١ — الشيخ سعيد بن الجوهرى الخفاجى . . وله فى الكرم قصص تروى ، وجدد مسجد « الخفاجية » فى حياته ، وكان شيخ البلد ومرجعها .

٢ — أبو زيد الخفاجى بن الجوهرى بن سليمان الخفاجى . . وكان شجاعا مقداما . وتوفى عام ١٩٢١ عن سبعين سنة .

٣ — الشيخ سليمان الخفاجى بن المرحوم خفاجى بن سليمان الخفاجى . وتوفى فى ذى القعدة عام ١٩٣١

٤ — الشيخ عصر الخفاجى بن الجوهرى الخفاجى . وكان عمدة البلدة ، وعاش ثريا مهيبا ، رجل بر وإحسان حتى توفى يوم ١٧ ذى القعدة عام ١٣٥٧ هـ — ٨ يناير عام ١٩٣٩ م .

وزوجته حفيدة عمته عائشة بنت سليمان الخفاجى ، وهى كريمة المرحوم محمد سمرة بك بن الشيخ طرباى محمد بن عائشة الخفاجية المذكورة ، وعاشا معا فى هدوء وسكينة وفى نعمة وثراء ، بعيداً عن ضوضاء الحياة ، مؤثراً لأعمال البر والخير والإحسان ، مغدقا على نفسه وأسرته ، يروح ويغدو لعزبته ثم يعود ، لا هم له إلا الصلاة يصليها أو مجلس علم يتصدره ، أو حديث سمر — يتصل بالأسرة وتاريخها — يتحدث به ، أو عمل بر يشترك فيه ، أو إعانة محتاج مكروب يقوم بها .

وأخيراً وفى الساعة الحادية عشرة مساء الأحد يوم ٨ يناير سنة ١٩٣٩ م - ١٧ من ذى القعدة سنة ١٣٥٧ هـ صعدت روحه إلى جوار الله بعد أن قارب المائة عاما وترك وراءه ذكراً صالحا وأثراً طيباً حميداً .

وعاشت بعده السيدة البارة الكريمة حرمه بنت محمد بك سمرة ثم توفيت فى ١٣ رمضان سنة ١٣٦٣ الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٤ عن مائة عام .

٥ — الشيخ العدل الخفاجى ، بن المفتى محمد بن سليمان الخفاجى . . . وتوفى فى يونيو عام ١٩٣٤ — وله حفيد موجود الآن هو الماضى ابن الماضى بن العدل الخفاجى .

٦ — ابراهيم والسيد ابنا السيد بن أحمد بن يوسف بن حسن ابن سليمان الخفاجى .

والبسيونى بن على ، وزهران بن حسن الخفاجى ، وموسى بن مصطفى ابن أحمد الخفاجى الذى تزوج من أسرة فودة بزفتى وهو والد جدتى لأمى الذى اقترن بها جدى لأمى نافع الخفاجى عام ١٢٧١ هـ .

ومصطفى خفاجى ، وعلام خفاجى وليس لهما ذرية وماتا منذ أكثر من مائة عام ، وقد هاجر علام خفاجى إلى ميت غمر وأقام بها .

وعرفان خفاجى ، وعلى خفاجى بن خفاجى بن سليمان الخفاجى ،

ونعمت الله خفاجى ، وعبد الله خفاجى ، وورد اسمهما فى ورقة تحمل تاريخ ١٢٧٦ هـ .

٧ — وعدا هذه الشخصيات نذكر شخصية أخرى ، هو المرحوم عبد اللطيف ابن سليمان الخفاجى . ولد حوالى سنة ١٣٢١ هـ . ونشأ وحيد والده سليمان فأوثر بالعناية والرعاية وأرسل إلى المنصورة يتعلم فى مدارسها، ومكث بمدرسة الرشاد الثانوية إلى أن أخذ الكفاءة ثم ملت نفسه حياة التعليم فترك المدرسة وعاش فى القرية جذاب الحديث مثقف الملكات مهذب النفس قوى الشخصية إلى أن توفى والده فحمل العبء بعده ونمت شخصيته وأصبح أمل الأسرة .. ثم فأجاه أجله وهو ممتلىء صحة وشبابا وقوة فى اليوم التاسع من شهر فبراير سنة ١٩٤١ . ونجله الأستاذ رجائى خفاجى مأمور جمرك السلوم .

٨ — محمد بن نافع الخفاجى وهو ابن العالم الكبير الشيخ نافع الخفاجى ، ووالد الشاعر العالم نافع الخفاجى (الحفيد) ، وخال مؤلف هذا الكتاب . كان شيخ البلدة ، وتوفى يوم الأحد ١٣ جمادى الأولى ١٣٦٨ هـ — ١٣ مارس ١٩٤٩ .

٩ — العالم الشيخ عبد اللطيف الخفاجى ، وخال مؤلف هذا الكتاب .. ولد فى جماد الثانية ١٢٩٤ وتعلم فى الأزهر ، ومكث فيه نحو عشر سنين ، ثم أقام فى البلدة إماما لمسجد أسرته وكبير علمائها وإمام إفتائها بعد والده الخالد . . وتزوج كريمة عمه الشيخ عصر الخفاجى وقضى عمره فى الزهد والورع والعبادة والصلاح والتقوى والوعظ والإفتاء حتى توفى يوم الثلاثاء ١١ من رجب ١٣٧٠ هـ - ١٧ إبريل عام ١٩٥١(١) . بعد أن ترك ذكراً صالحاً ، وقدوة طيبة ، وحزن عليه الناس حزنا كبيراً ، وعزى فيه العظماء

---

(١) راجع ص ٦٥ و ٦٦ من الجزء الثالث من هذا الكتاب .

والوزراء والعلماء من كل جهة . رحمه الله رحمة سابغة . وتوفيت زوجته السيدة حمدة عصر خفاجي في ٤ رمضان ١٣٧٧ هـ - ٢٤ مارس ١٩٥٨

١٠ — صادق الخفاجي بن الشيخ الغندور بن أبو زيد بن الجوهري الخفاجي . . وقد ولد نحو عام ١٩١٠ وتوفى إلى رحمة الله يوم الأربعاء ١٥ أغسطس عام ١٩٣٥ - رمضان ١٣٦٤ هـ ، وهو في سن الشباب بعد مرض قصير وقد حزنت عليه الأسرة حزنا عميقا .

١١ — عبد الفتاح بن عبد المنعم خفاجي ، أخي ، وتوفى سنة ١٩٣٥ م .

عبد المنعم الخفاجي

هو والدي وهو عبد المنعم بن عبد المنعم بن خفاجي بن سليمان الخفاجي .

جده الخفاجي الخفاجي وقد سبق أن ترجمنا له، ووالده عبد المنعم الخفاجي وقد مات وهو في سن الشباب بعد أن ترك ثلاثة أولادهم: عبد المنعم وعبد الجليل والبيومي . وكان والده من خير شباب الأسرة ورجالها ، وجدته أم والده كانت تسمى زمزم ، ووالدته لطيفة بنت الحاج الجوهري الخفاجي .

وولد عبد المنعم الخفاجي عام ١٢٩٠ هـ[1] ولما اجتاز مرحلة الطفولة تعلم الكتابة والحساب وحفظ القرآن الكريم ، وفي هذه الأثناء توفي والده عبد المنعم الخفاجي ، فقام بشئون أسرته وشئون إخوته : البيومي وعبد الجليل وهو في سن الشباب .

---

(١) وقيد سنه في شهادة قيد بجدول الانتخاب في آخر ديسمبر سنة ١٩٣٥ بستة وستين عاماً فيكون ميلاده عام ١٨٧٠ ، وقدر عمره عام ١٨٩٧ في شهادة رسمية بخمسة وعشرين عاما فيكون ميلاده الأفرنجي عام ١٨٧٢ م .

واندمج فى وسط الحياة العامة شاباً ناضجا مثقفا مهذب الخلق راضى النفس ، وفى هذه الأثناء وضع نظام إدارى جديد وأبدلت مشيخة البلاد بوظائف العمودية وكانت مشيخة بلدتنا وأمورها فى يد أسرتنا من قديم ، وتولاها الجوهرى فسعيد فنافع الخفاجيون . ورشح والدى للعمودية فى أول تطبيق هذا النظام وهو فى سن الثانية والعشرين ومكث فيها ثلاث سنين ثم تركها إلى حياة الوظيفة فأخذها خاله الشيخ عصر الخفاجى ثم تركها فانتقلت إلى يد أسرة أخرى حتى عادت إلى أسرتنا ، واشتغل المرحوم عبد المنعم والدى مفتشا فى دائرة القريعى باشا ووثقت به أسرة القريعى كل الثقة وظل فى هذا العمل عشر سنين ،ثم اختاره صديقه منصور يوسف باشا(١)مفتشا لدائرته فى المتوه بجوار قريتنا فمكث فى هذا العمل نحو العشر سنين أيضاً وكانت إقامته المستمرة ببلدتنا وكان يروح إلى عمله كل يوم ببعض ساعات ثم يعود .

وفى خلال هذه المدة كانت شخصيته قد سدت فراغا كبيراً جداً فى حياة عائلتنا وأسرتنا وفى الحياة العامة بالمديرية كلها ، وصار بين رجالات الأقاليم علما مشهورا وشخصية محبوبة وموضع التجلة والاحترام من الناس كافة ، شهدت ذلك بنفسى - وأنا صغير السن وكتبت عنه فى مذكراتى الخاصة - وأنا فى سن العشرين الكثير ، ولأنقل عن هذه المذكرات جانباً فى تحليل شخصيته :

---

(١) كان منصور يوسف باشا وسر تجار اسكندرية، ورئيس الغرفة التجارية بها نشأ فيها عصامياً وشغل مركزا فى المجلس البلدى ومجلس الشورى والجمعية التشريعية وله أثر طيب فى النهوض بجمعية العروة الوثقى ثم كان عضوا فى لجنة وضع الدستور عام ١٩٢٣ وتوفى يوم الأربعاء أول إبريل سنة ١٩٢٥ وشيعت جنازته فى هذا اليوم من منزله بشارع زين العابدين بمحرم بك ».

كان والدى لديه أطيان كثيرة أجرها من أحد البكوات الذين كانوا يملكون زمام البلدة (ولعله طلخان بك) ، كعادة أهل البلدة ؛ وكان يوكل أمر الزراعة لرجل سودانى ولد بالبلدة حيث كان والده فيها من عبيد أجدادى أخذه تجار الرقيق من بين والديه وباعوه فى مصر وتزوج من بلدتنا وكان يحكى كما سمعت أن والده شيخ قبيلة بالسودان .

وكان والدى ممتازاً بين أهل القرية فهو متعلم وموظف والوظيفة فى هذه الأيام مركز سام محترم كان لاينالها إلا الرجال الذين يعدون أنفسهم جد سعداء كما كان ثريا بما يدخل له من إيراد محاصيله ومرتبه ، وقد تعارف بحكم وظيفته بكثير من العظماء ، وكان سيد القرية والشخصية الفذة فيها ولقد رأيت فى صغرى حادثة ماتزال عالقة بفكرى تشهد بذلك ، فقد كان زمام بلدتنا فى يد طلخان بك كما أذكر وكان أهل البلدة يؤجر كل منهم قطعة من الأرض منه يزرعها ويؤدى إيجارها ، وأظن أنهم تأخروا فى سداد الإيجار فأخذ الأطيان من أيديهم ومنعهم من زراعتها فاجتمع والدى فى منزل خالى الأستاذ عبد اللطيف نافع مأذون البلدة واجتمع رجال القرية وطلب منهم أن يدفع كل واحد منهم فلوساً (لعلها لإيجار السنة المقبلة أو لسداد متأخر كان عليهم) ليسعى لإعادة الأطيان إليهم ، ورأيت بعد مدة النساء والرجال يأتون أفواجاً ومعهم مااستطاعوا جمعه من فلوس أو حلى فاعطوها لوالدى ، وبعد عدة أيام رأيت الرجال يسيرون بعيداً عن القرية فى موكب ضخم تتقدمه الرايات والأعلام والطبول والموسيقى حتى إذا خرجوا إلى المحطة القديمة للبلدة بعيداً عن القرية بنحو كيلو متر انتظروا هناك حتى جاء والدى من المنصورة فاستقبلوه بحماس شديد وحملوه فوق الأعناق وهم يرددون هتافاتهم العالية « فليحى الشيخ عبد المنعم » ، وساروا به كذلك حتى وصل إلى منزلنا ، لأنه أعاد أطيانهم إليهم وأمنهم على مستقبلهم » .

وهكذا عاش والدى محاطا بمظاهر المجد والحسب والإجلال ، ثم عين فى وظيفة كبيرة بتفتيش أوقاف شاوة تركها فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ .

وأخيرا ترك الوظيفة وعاش يرعى شئونه وشئون الأسرة عميدا لها ساعيا فى مصالحها محبوبا من الجميع .

وكان نبيل النفس طاهر الخلق كثير العبادة ورعا تقيا يعكف على مطالعة التفسير والحديث والتاريخ والطب الذى نبغ فيه ، وكان له أصدقاء يحبونه حبا عظيما من بينهم المرحوم الكبير الشيخ السيد محمد الغنيمى التفتازانى شيخ السجادة التفتازانية المتوفى فى ٧ يناير سنة ١٩٣٦ ، ولدى كثير من الخطابات المتبادلة بينهما وهى تنم عن نواح كثيرة من جوانب حياة الرجلين .

وكان يسمر كل ليـــلة فى المنزل يقص تاريخ حياته الحافل على أسرتنا فى جاذبية وسحر وجمال وكان كريما جواداً يصل أقاربه وذوى رحمه بكل ما استطاع .

كان يحب أن يقضى أكثر ليله سمر مع أسرته أو أصدقائه أو فى تهجد وعبادة .

وكانت حياته كلها مظهراً للترف والبذخ ومتعة الحياة ، لا يحسب للغد حسابا ولا يبالى كيف كانت النتائج ، ولم يكن كأهل الجيل القديم — ذا رغبة فى تعليم أبنائه فلم يقم بجهود كبيرة فى هذا السبيل .

تزوج عام ١٣٠٦ كريمة المغفور له الخالد الشيخ نافع الخفاجى وهى وهو فى سن السادسة عشر فرزق منها عدة أولاد منهم مؤلف هذا الكتاب وأخى أحمد افندى الخفاجى ، ثم تزوج بنت عمه خفاجى الخفاجى سنة ١٣٢٧ هـ ، فولدت أخى الشيخ عثمان الخفاجى .

وقد قام بشئون أخويه : عبد الجليل والبيومى حتى توفيا فى حياته منذ أكثر من ثلث قرن من الزمان .

وظل كذلك حتى توفى فى اليوم الثانى من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٦

بعد أن ترك وراءه ذكرا خالدا وأثرا مرويا وتاريخا مرددا وذرية طيبة فرحمه الله وأسبغ عليه رضوانه .

وقد رثى الشاعر نافع الخفاجى (الحفيد) بقصيدة عصماء والدى المرحوم الشيخ عبد المنعم خفاجى :

ضاع الرجاء وهل يفيد تجلد لما غدا تحت التراب السيد
ماذا يفيد الباكيات بكاؤها والدمع ليس بمرجع من يفقد
ذهب الفقيد فهل يرد حياته تمثيـــل نادبة وثوب أسود
تالله ما يغنى النواح ولا البكا والصبر فى داجى النوائب ينشد
ياعلة قادت إليه يد الردى من غير إشفاق : ألا تبت يد
قد كان داء حار فيه طبيبه ورثى لحالته الخلى والعود
يصف الدواء ويرتجى إصلاحه والداء يأبى أن يطيع فيفسد
نرجو الشفاء وسقمه متزايد حتى بكى أعداؤه والحسد
لم ندر أن شفاءه كأس الردى ومن الذى يدرى بما يأتى الغد ؟
والطب لا يغنى إذا حكم القضا إن الطبيب مساعد لا موجد
وإذا انقضى أجل فما من حيلة وهل السراج بدون زيت يوقد
عجبا لأبناء الحياة وحبهم لبقائها هل فى الحياة مخلد ؟
إنا على آثار من سبقوا ولو كتب الخلود لمله من يولد
كل الحياة إلى الفناء وإنما ذكرى الحياة هى البقاء السرمد
الله يشهـــد للخفاجى ماله فينا من الخير الذى لايجحد
فعلى الصلاة تحية من بعده فالبر يبكى فقده والمسجد
من للنزاهة والصراحة والتقى إذ خر منها شاهق ومشيد
مات الحليم الصادق الوعد الذى لا يستبد برأيه أو يحقد
مات التواضع والقناعة والرضى والعز حل بقبره والسؤدد
قد كان لا يخشى سوى الله امرءا وبغير نور الحق لا يسترشد

يا طالما نصر الضعيف بعدله   فبه الضعيف معاون ومؤيد
يا طالما جازى المسىء بعفوه   والعفو من أهل الإساءة يحمد
يا طالما غرس الجميل بفضله   فبكل قلب من صنائعه يد
كانت مآثر لو كتمت جلالها   فالله ربى والملائك تشهد
ذكرى الفقيد على الزمان جديدة   يحيى بنوه مجدها و (محمد)
والمرء إن ينجب ويبلى جسمه   فبقاؤه فى الخالدين مجدد
ياقبره رفقا عليه ورحمة   إن الفقيد له الثواب الأرغد
رحب به فلقد أتاك وزاده   تقواه والتقوى هى المتزود
وجزاؤه من ربه رضوانه   والرحمة الكبرى التى لا تنفد
سقت السماء رفاته فيض الرضا   ما ناح طير أو تألق فرقد

نافع الخفاجى(١)

حفيد العلامة نافع الخفاجى الكبير

هو العالم الشاعر الأديب نافع بن محمد بن نافع الخفاجى بن سليمان الخفاجى حفيد العالم الكبير الشيخ نافع الخفاجى الذى مرت ترجمته ، وابن خالى الشيخ محمد بن نافع الخفاجى من أعيان الأسرة وأظهر شخصياتها ، والدته آمنة طرباى من أقاربنا أسرة الطرباهية .

ولد فى يوم الجمعة ٢ شوال سنة ١٣٢٢ ، الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٤

ثم تعلم الكتابة وحفظ القرآن الكريم وعكف على قراءة سير الأبطال كأبى زيد الهلال وعنترة وسواها فنشأ بطبعه شاعراً ناضج ملكات القريض .

وذهب إلى المعهد الأحمدى بطنطا سنة ١٩١٩ ليتعلم فيه وأخذ منه الابتدائية عام ١٩٢٢ ، ثم كان قد أنشىء فى ذلك الحين معهد الزقازيق فالتحق به واستمر فى دراسته إلى أن أصيب بمرض عصبى عضال كان يحول بينه وبين المشى وحده فأخذ يعالج نفسه منه ولكن العلاج لم يجد شيئا ، اللهم إلا فى تأخير

---

(١) ولد يوم الجمعة ٢ شوال ١٣٢٢ هـ - ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٤
وطلب للقرعة عام ١٩٢٣ وأعفى لأنه طالب علم ، وفى عام ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦ نجح فى امتحان النقل من السنة الأولى إلى الثانية الثانوية بمعهد الزقازيق وترتيبه ٣٠ من ٥٩

وفى عام ١٩٣٠ م - ١٣٤٩ هـ نجح فى امتحان النقل من الثانية إلى الثالثة بالقسم العالى وترتيبه ٨٩ من ٢٢٢ ، وفى عام ١٩٣١ - ١٣٥٠ هـ نجح فى امتحان النقل من الثالثة إلى الرابعة بالقسم العالى وترتيبه ٥٤ من ١٣٨ - وفى صيف عام ١٩٣٢ نال العالمية من الأزهر . وشيعت جنازته يوم الثلاثاء ٩ رجب ١٣٥٩ هـ ١٣ أغسطس ١٩٤٠

زحف المرض على صحته ، ثم أخذ الثانوية من الخارج من معهد الزقازيق عام سنة ١٩٢٨ الموافق سنة ١٣٤٦ هـ ثم التحق بالقسم العالى بالأزهر ونال منه شهادة العالمية فى يونيو سنة ١٩٣٢ الموافق سنة ١٣٥١ هـ .

وعاد العالم بعد ذلك فأقام بالقرية يطالع فى أسفار الأدب وينظم القريض ويعالج نفسه من مرضه العضال ، ثم تزوج فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ ووافاه أجله المحتوم فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٠ ـ الثلاثاء ٩ رجب سنة ١٣٥٩ هـ ، فعليه رحمة الله ورضوانه .

شاعريته :

إذا تركنا الجانب العلمى لشخصية المغفور له الخالد نافع الخفاجى ، وجدنا أهم مظهر فى شخصيته هو الشاعرية الفذة الناضجة القوية الأسباب الوطيدة الملكات .

نماها فى نفسه أثر الوراثة عن جده نافع الخفاجى الكبير ، وقراءته وهو صغير لهذه القصص الحماسية الكبيرة كسيرة أبوزيد وعنترة ، ثم عكوفه على كتب الأدب ومصادره الأولى ودواوين فحول الشعراء ، نظم الشعر طفلا ، وكانت كل حياته مظهرا لهذه الشاعرية الناضجة . كان مرضه يحول بينه وبين كل شىء إلا الشعر ، رسم فيه صورة لحياته التى كان يحياها ، وعواطفه التى كانت تجيش بها نفسه ، عبراته التى كان يسكبها على آماله المحطمة ، وصحته المكدودة . وسنتحدث عن شعره فى تفصيل بعد قليل .

شخصيته :

كان الفقيد المغفور له قوى الملكات ، ناضج العقلية ، واسع الثقافة ، لا يغلب على رأى ، ولا تتلعثم فى لسانه حجة ، وكان قوى الحجاج شديد الجدل ، كما كان جذاب الشخصية ، وديع النفس ، بعيد التفكير ، معتدا

بنفسه ورأيه ، يأبى أن تهان كرامته ، ويقف فى سبيل ذلك مواقف العناد واللجاج .

وكانت حياته كلها آلاما وأحزانا ، بكى لمرضه ، وبكى لآماله الذاوية ، وبكى لجسده المحطم ، ويئس من الحياة ، وأخذت أشباح الموت ترتسم فى ذهنه وأمام بصره ، حتى هـــدت قوته وحطمت كيان صحته ، وخر صريعاً بيد الأمل .

شعره :

جمعت معه شعره الضخم كله فى ديوان ، ثم عرض عليه ناظر لمدرسة تلبانة الإلزامية ـ وكان اسمه الشيخ عبد الباسط ـ أن يأخذ ديوانه لطبعه فأعطاه له ، وظل لديه أكثر من ثلاث سنين ، ثم مات الفقيد ، فأنكره وادعى أنه فقد من المطبعة التى سلمه إليها .

وعلى أى حال ففقدان هذا الديوان الثمين لم يحل بينى وبين جمع كثير من أصول قصائده الشعرية ، مما نشرته فى كتابى « بنو خفاجة » . ومن شعره قوله يهنىء ابن عمه محمود عصر خفاجى بالليسانس :

أهلا وسهلا طالع ميمون ... فليهنأ التشريع والقانون
فخر لمدرسة الحقوق وعزة ... وفخارها بنجاحه مقرون
أو تبت سؤلك والعدالة ترتجى ... قسما بشخصك للحقوق يبين
ياعبقريا للطروس يساره ... ترجى وللأقلام منه يمين
فخر لأصل أنت بعض فروعه ... دنياك وافت واطمأن الدين
شيدت مجدا فى ذرا الأهرام لم ... يدركه رمسيس ولا أخناتون
لسواهم الأهرام والذكرى لهم ... لكن جهدك بالخلود قمين
سر فى سبيل المجد فالتاريخ فى ... صفحاته لك موضع مرهون
إن رمت تهنئة فإنى عاجز ... من ذا أهنىء لا أكاد أبين

أأهنىء الليسانس أن فازت به   أم رب حق حقه مكنون

ومن شعره كذلك هذه القصيدة :

إلى الله شكواى لا للبشر   فمنه له المبتدأ والخبر
هو المرسل الضر وهو الذى   بقدرته أن يميط الضرر
وما الناس ؟ والناس كل له   لهيب شكاة تذيب الحجر
وما بلغ الناس ما أملوا   من الدهر والدهر جم الغير
يموت الفتى دون آماله   وكم أمل فى ثنايا الحفر
وما الأدباء وما الأغنياء   وكل له أمل ينتظر
ولكن أولئك قد صرحوا   وعى سواهم لهم قد ستر
وفرقهما أن آمال ذا   عظام وآمال ذا تحتقر
فذاك يرى الشمس من تحته   وذا لايجاوز سطح النهر
وليس مصابى سوى أننى   فقدت السعادة حتى الأثر
مصابى شبابى وعهد الصبا   وقد كان لى باسما فاكفهر
شباب يضيع كزهر الربيع   هوى حين يبسم غض الزهر
كأن المحاق أصاب الهلال   ولم يكتمل ليلة اثنى عشر
وقد كان مستقبلى زاهرا   فجف ولم يؤت بعض الثمر
ومابى سوى مرض فى الفقار   تغلغل فى الجسم حتى انفطر
فأفقدنى كل مستمتع   من السير فالجسم إن قام جر
مناطق مخى منهوكة   من الداء والنطق قد خور
سألت الطبيب فلم يغننى   وعى وقد نال منه الحصر
وقال (انكسيك) موروثة   وقد ينقل الداء ممن غبر
فقلت العلاج فقال الدواء   إلى الآن عند القضا والقدر
فلوشاء ربك تم الشفاء   وعند المشيئة ليس خطر

فيارب لم يبق لى ملجأ سوى لطف رحمتك المدخر
سئمت المحاقن والكهرباء ومر الدواء ووخز الابر
وعفت التجارب والفحص فى دمى ونخاعى وقاع النظر
وماوقف الداء عن سيره ففى كل يوم عن الأمس ظهر

ومن شعره قصيدته فى شكوى الزمان ، وهاهى ذى :

أواه من عثرات الحظ أواه والحظ ماشاءه قد شاءه الله
لا الحزن يجدى ولا حظى يساعفنى
ولا الزمان رفيق فى بجاياه
أرزاء شتى إذا ماخلت أصغرها مضى أرى ضعفه يحتل مأواه
تترى دراكا كطير طاب موردها فزاد وارده شوقا لمرعاه
يلج صرف الليالى فى معاكستى كأنما أنا وحدى كل أعداه
خطوب دهرى لاتنفك تذكرنى بعطفها ذكر مجنون الليلاه
فالحزن والسهل فى سيرى سواسية
والليل والبوم فى الظلماء أشباه
كلما قلت لما استحكمت فرجت أرى قشيب شقاء كنت أنساه
إن غاب عنى شقاء جاء مصطحبا إخوانه ليقيموا فى رعاياه
ماحيلتى وهى الدنيا وسلطتها أى امرئ نال منها ماتمناه
نصيب كل امرىء فى عكس همته
ورفع كفة وزن خفض أخراه
ورب ذى عزمة تنبو مضاربه
وطائش السهم أصمى الحظ مرماه
ونابه النفس سوء الحظ أخمده وخامل القدر حسن الحظ رقاه
وكم حريص له من علمه صفة وكم كسول له من جهله جاه
هى المقادير لاسعى ولاكسل وكل ذى قدر لابد يلقاه

أنظر إلى قطع الشطرنج إذ نحتت ماذا أتى الشاه حتى إنه شاه
كم بيدق مات لم يذنب وصاحبه سما مسوقا ولم يعمل لمرقاه
كذلك الكون لم تعلم عواقبه وليس يعلم ساع غب مسعاه
الدهر علمنى الشكوى فقمت بها طوعا وكرها وخير العلم أفشاه
أشكو الزمان وفى الشكوى رفاهية وما علاج شقى غير شكواه
تنفس الصعد تفريج ذى حرج والضيق يفتح من ذى ضيقة فاه
القدر منفجر لولا تبخره والقلب منفطر لولا شكاواه
فالقلب من حطب والبؤس من لهب وفى الشكاة لنار الهم أمواه
الهم يثقل والشكوى تخففه فقد ترى سامعا يؤتيك جدواه
إن لم أجد صاحبا فالليل يؤنسنى نجومه ودياجيه وإصغاه
ورب سامع شكوى شامت فرح وذى ملال يرينى غير نجواه
ولا أرى مخلصا فى الضيق يسعدنى ولا غنى لى عمن لست أهواه
طبائع الناس شر لا يفارقهم والخير كسب لبان الفكر غذاه
لونا لنى الشر منهم كنت عاذرهم وإن أتى الخير قلت للطرف هياه
إن يجهلوا خاصموا أو يعلموا نقدوا ويبطنون بلؤم ضد ما فاهوا
فالكل للكل أعداء وعنصرهم به أنانية فى بدء مبناه
مهما أحبوا لحب الذات رائدهم وعبرة الحب برهان بمغزاه
وهكذا الناس عباد لأنفسهم كل يرى الغير عبداً وهو مولاه
لولا حوائجهم ما ألهوا أحدا أدنى الأنام من الإلحاد أغناه
هم والوحوش سواء لا يميزهم إلا عقول وتقديم وأفواه
مع التدين والقانون أنفسهم شتى وكل له فى العيش أهواه
كل له غرض تخفيه طينته ولو درى خلد ما فيه جافاه
الخير يخدع فى معسول منطقه والشر يكمن فى داجى حناياه
لو شف صدر جميل عن دخائله لشوهت نفسه ما فى محياه
لو أخطأ الشر إنسانا ولم يره فسله وحيا فما جبريل إلا هو

وما أبرىء نفسى إنى بشر — النفس تأمره والروح تنهاه
صدرى لضدين من جيشين معترض — ما يرض هذا فهذا ليس يرضاه
لكن نفسى صفت من طول مارزقت — حتى رأت كل مايسطاع مرآه
وما رأيت كمثل الصبر عاقبة — فالمر أوله والحلو عقباه
لسوف أصبر حتى لا أعى أملا — وليبق لى أملى وليرحم الله

كلمة أخيرة :

وبعد فهذا بعض من نتاج شاعرية هذا العالم الفذ والشاعر المبدع ، وإنتاجه الشعرى كله سحر وروعة وإبداع ، وفيه عاطفة وقوة إلهام وحسن تصوير وعمق فكرة ، وهو بين الأدب العربى أدب خالد سائر ، وسيجىء اليوم الذى ينشر فيه ديوان الشاعر كاملا ليضعه شعره فى مكانته الخليق بها بين شعراء العربية الخالدين .

لقد نقلت من شعره بعضاً مما يصور لنا جوانب حياته ونواحى شخصيته ، ومما يرسم لنا صورة واضحة عن شاعريته وفنه الأدبى .

وأكتفى بهذا على أن أعود فى المستقبل القريب للكتابة عن هذا الشاعر الفذ فى كتاب مستقل بعد أن ننشر على جمهور العربية ما بقى لدينا من شعره ومحاسن قريضه .

ولقد كان الفقيد زميل الشاعر البليغ الأستاذ محمد الأسمر فى الدراسة ، واطلعت على عدة خطابات أرسلها الأستاذ الأسمر له توضح ما كان بينهما من صداقة وزمالة (١) .

---

(١) من هذه الخطابات خطاب من الأستاذ الأسمر يقول له : عزيزى الأستاذ الشاعر الشيخ نافع الخفاجى .

فرحمه الله وخلد ذكره ، ولقاه فى الآخرة من الثواب وحسن الجزاء ماهو أهل له ، وفى الدنيا من الذكر والخلود ماهو به جدير .

وهذه هى نص كلمة الرثاء التى ألقيتها على قبره يوم وفاته .

عقد الخطب اللسان ، وعيّ لهول المصاب البيان ، وارتاع لهذا الرزء الفادح الجنان ، وأى رزء هو !!

لقد انطفأ المصباح الهادى ، وخبا النبراس المنير ، وذهب بالرجل أجله ، ولقد كان يسير به أمله ، إلى ضيق القبر ، وفسحة الأجر والنعيم .

ذهبنا به فى ربيع الحياة إلى أرض حافلة بالعبر والعبرات ، آهلة بالعظات والذكريات ، فأودعناه فى حمى آمن ، يستبشر به المتقون ، وييأس فيه من رحمة الله القانطون ، ثم عدنا بالدموع والذكرى ، فاجتمعنا فى هذا الجمع نحيى ذكرى الفقيد ، وبأى شىء نحيى ذكراه ؟

لقد كان شاعراً وأديبا وشاعرا ، لحرى بنا أن نستمد من ذكراه العظة البالغة ، وخليق بنا أن نذكره لعلمه وأدبه إن لم نذكره لحسبه ونسبه .

لقد عاش الفقيد مجاهدا فشقى بعذاب الجهاد فى حياته ، جاهد أول شبابه فى سبيل آماله الواسعة ، وأمانيه الكبيرة ، ثم جاهد بعد ذلك آلام الحياة التى لاحقته وحالفته وسارت به إلى أجله المحتوم ، فما أروعه جهادا وما أعظمه مجاهدا ، وما أسعده بأجر الجهاد .

لقد كان الفقيد يستمد علمه وأدبه من عقلية واسعة ، وذهن ثاقب ،

= « يسرنى أن يكون فى الأزهريين أديب مثلك ، لست أهلا لهذا الثناء الذى صنعته قلائد لا أرى جيدى جديرا بها ، متعك الله بكل ماتحب وترضى ومهد لك سهيل سعادتك » . الأسمر

أكثر مما كان يستمده من اطلاع واسع ، ودراسة مضنية ، وكان ينظم الشعر بملكة صناع ، وروح مبدعة ، ويعرضه فى أسلوب جميل وديباجة مشرقة ، ظلت تلازم أدبه . حتى وهنت صحته ، ووهى أمله ، فدبت إليها روح الضعف ، كما دبت فى نفسه روح اليأس والقنوط ، وعلى حين غفلة سكت الشاعر البليغ ، وذهب العالم العبقرى إلى عالم الأبدية ، ودنيا الخلود . فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ؟

وهذه قصيدة من غر قصائده نثبتها هنا ، قال :

ذهبت ومن رام المعالى يذهب ... وأبت ولم أظفر بما أتطلب
سعيت إلى العلياء غاية طاقتى ... ورحت إلى أفلاكها أتوثب
سبحت على بحر المجرة ماخراً ... عبابا من الآمال أطفو وأرسب

رصدت السهى حينا فابصرت طالعى
جميلا ولكن فيه سر محجب

فياطالعى بالله هل من هناءة ... تألق لى أم أن برقك خلب
وهل مطمئن أنت أم أنت خائف ... تفر من النحس البغيض وتهرب
وهل لى إلى النعمى سبيل موصل ... وهل لى من البؤسى مناص ومهرب
أتسعدنى الآمال بعد مطالها ... ويدنو من الآمال ماأترقب
إزاء شقائى مطعم الصاب كالجنى ... ونور نهارى من مشاكيه غيهب
ولولم أصادف سوء حظى وشؤمه ... لعشت سعيداً لم يضق بى مذهب
يسمونه حظا وجدا وطالعا ... وأما المسمى فالقضاء المغيب
مقادير شتى والمقدر واحد ... مشيئته كالسيف بل هى أثقب
له المثل الأعلى وفى كل ذرة ... من الكون سر بالتأله يعرب
هنالك شىء كل فكر يمسه ... ويلمسه الوحشى والمتهذب
هو الله سماه الطبيعى قوة ... وطبعا وفى علم الأثير تربب
ومن شأنه فينا الظهور بفيضه ... وآثاره والشأن فينا التعجب

أأجهل روحى ثم أعلم ربها ... ضلال غريب والتشبث أغرب
سننظر وجه الله فى الخلد ظاهرا ... كما هو يجلوه الجلال فنطرب
نراه بإحساس بديع مخصص ... يطيب خيالا والتحقق أطيب
هنالك يبدو كل حسن مذمما ... وكل ارتياح غير ذلك متعب
عن المثل والأضداد جل جلاله ... وراجى سوى التوفيق منه مخيب
وما الكون إلا ذرة فوق ذرة ... سماء وأفلاك وأرض وكوكب
فكل بكل فى نظام مدبر ... جماد وحى كل شىء مرتب
بدائع إحكام وإتقان صانع ... فسبحانك اللهم أنت المحجب
تمنيت موتا ليس فيه جهنم ... وإلا فعيشا لست فيه أعذب
وكيف حياة المرء ناء بعبئه ... وجمر الأسى فى صدره يتلهب
وكيف حياة المرء عى طبيبه ... وأعضله الداء العقام العصوصب
برمت بآمالى وعفت تجلدى ... ومل جليسى ماأقول وأكتب
ولو نلت من عين العناية نظرة ... فما مر بى عذب وما بعد أعذب

المرحوم المستشار الأستاذ محمود عصر خفاجى

شخصية كبيرة محترمة يقدرها كل من عرفها ، وهو عميد الأسرة ورئيسها ذلكم هو المرحوم الأستاذ محمود خفاجى القاضى بالمحاكم الوطنية .

ولد سنة ١٣١٩ ، وعاش فى مجد والده ونعيمه . درس فى مدارس المنصورة ، ثم التحق بالمدرسة السعيدية ، ثم دخل كلية الحقوق وتخرج منها سنة ١٩٢٥ ، فاشتغل بالمحاماة ، ثم عين وكيلا لنيابة مركز المنصورة ، ثم عاد إلى المحاماة ، واختير سنة ١٩٣١ رئيسا لسكرتيرية مجلس النواب ثم التحق نحو سنة ١٩٣٥ بوظيفة كبيرة فى قلم قضايا وزارة الأوقاف . . ثم اختير فى سلك القضاء الوطنى وما يزال يترقى فى مناصبه .

وكان من أعضاء لجنة الطلبة التنفيذية العليا التى أسهمت فى حركة

الاستقلال بمنصب كبير وتزوج كريمة أبو الفتوح بك بسيونى من أعيان الدقهلية ، وله أبناء يشغلون مناصب مرموقة ؛ ومنهم الدكتور محمد خفاجى وهو طبيب مشهور فى الإسكندرية ، وتوفى المستشار فى ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢

الدكتور محمد خفاجى

هو نجل المرحوم المستشار الأستاذ محمود (بك) عصر خفاجى .

درس فى كلية الطب بجامعة الإسكندرية وتخرج منها ، وعمل فى الإسكندرية فى المحيط الصحى، وقد كادت شهرته فى جميع الأوساط الشعبية والرسمية ، وفى مختلف المراكز العلمية الطبية ، ويعد مثلا عاليا فى نبل الخلق وعزة النفس ، وأصالة الشخصية ، والحرص على أداء الواجب .

الأستاذ لطفى خفاجى

هو ابن أخى أحمد الخفاجى بن عبد المنعم بن عبد المنعم بن خفاجى بن سليمان الخفاجى ، ووالدته كريمة المغفور له الحاج عصر الخفاجى ، وهو أكبر أولاد أبيه .

ولد فى مارس سنة ١٩١٩ ثم دخل بعد عهد الطفولة مكتب الشيخ سباق فى القرية، ثم دخل عام ١٩٢٩ م مدرسة مجلس المديرية الابتدائية ونال منها شهادة الابتدائية فى صيف عام ١٩٣٣ ، ثم التحق بمدرسة المنصـــورة الثانوية فنال منها شهادة التوجيهية فى ١٩٣٨ ؛ والتحق من ١٤/ ١٠ / ١٩٣٨ بكلية الزراعة بجامعة فؤاد فتخرج منها فى صيف عام ١٩٤٢ فعين مفتشاً بوزارة التموين ثم مراقبا بالوزارة ثم مفتشا عاما بها وأخذ فى الترقى فى المناصب حتى صار اليوم فى درجة وكيل وزارة .

فإذا ما تركنا هذا الجانب الثقافى من ألوان حياته إلى البحث عن نواحى

شخصيته الأخرى الواسعة فإننا نجد مجالا للحديث عنه والكلام فيه .

وهو موظفا مثل طبيب الموظف ، يراقب الله فى عمله ، ويرضى ضميره فى وظيفته ، ويساعد بكل مايستطيع البؤساء والمظلومين .

تزوج وأعقب عدة أبناء منهم : عادل ، سامى ، وهو الآن يشغل مركزاً كبيرا فى حياة الأسرة يحمل أعباء جساما فى محيطه العائلى والاجتماعى .

الدكتور المستشار أحمد رفعت خفاجى

ولد فى ٧ يناير ١٩٢٦ ، وتخرج من كلية الحقوق عام ١٩٤٦ ، وسافر فى بعثة فرنسا ، ثم عاد منها أستاذا معيداً بالجامعة ، ثم وكيل نيابة ، ولازال فى سلك النيابة والقضاء إلى أن بلغ درجة مستشار، تزوج كريمة خاله أحمد رمزى كساب .

المستشار الطاهرى خفاجى

ابن أخى أحمد خفاجى وشقيق الأستاذ لطفى خفاجى وحفيد الشيخ عبد المنعم الخفاجى ، وسبط الحاج عمر الخفاجى .

ولد سنة ١٩٢٢ وتعلم فى مكاتب البلدة ثم فى مدرستها الإلزامية ودخل المدرسة الابتدائية بالمنصورة سنة ١٩٣٣ فأخذ منها شهادة الابتدائية فى صيف عام ١٩٣٧ ثم التحق بمدرسة المنصورة الثانوية الأميرية فأخذ منها شهادة التوجيهية عام ١٩٤٢ وفى أكتوبر عام ١٩٤٢ دخل كلية الآداب ومكث بها شهورا ثم حول بعدها إلى كلية الحقوق بجامعة فاروق بالاسكندرية فى أول نشأتها ، وتخرج منها عام ١٩٤٦ فعين فى وظيفة قانونية بالشهر العقارى ، ثم اختير وكيل نيابة ، وصدر مرسوم ملكى بتعيينه فى هـذا المنصب فى نوفمبر ١٩٥٠ .

ووصل إلى رئيس محكمة ، ثم رقى إلى درجة المستشار .

شخصيات أخرى

المرحوم محمد عصر خفاجى

١ ــ الحاج الكبير المرحوم محمد عصر خفاجى عمدة البلدة وقد ولد نحو عام ١٣١٣ هـ وصاهر أسرة رمزى بالمقاطعة من أعمال مركز السمبلاوين وتوفى إلى رحمة الله يوم الخميس ٩ من يوليو عام ١٦٤ ١ .

الاستاذ أحمد خفاجى

٢ ــ الأستاذ أحمد عبد المنعم خفاجى أخى وابن المغفور له الخالدالذكر الشيخ عبد المنعم الخفاجى ، ووالدته كريمة الشيخ نافع الخفاجى الكبير .

ولد عام ١٨٩٧ م ــ ١٣١٤ هـ ، وتعلم الكتابة والخط والحساب ، ثم أراد أن يدخل المدرسة الحربية فرفض والده وآثر أن يعيش بجانب الأسرة فقضى مع والده مدة كبير يساعده فى حياته الخاصة وأعماله العامة .

واشترك فى الحياة العامة بالقرية وهو شاب ، كما كان رئيس عدة لجان من لجان القرية الأهلية ، وساهم فى الثورة الوطنية عام ٩ ١٩ بقسط موفور .

تزوج كريمة عمه الشيخ عصر خفاجى عام ١١١٧ م وهو فى سن الثامنة عشر وقد رزق عدة أولاد وذرية صالحة .

التحق بوظائف الأوقاف عام ١٩٢٧ ، ولما توفى والده عام ١٩٣٦ خلفه فى رعاية الأسرة والقيام بجميع أمورها ، وهو الآن من أبرز رجال الأسرة فى القرية والدائب فى السعى فى سبيل رفاهيتها وخيرها وتقدمها .

وكان أول من شجع حركة التعليم بين شباب الأسرة وعمل على توسيعها بكل ما استطاع وستأتى كلمة عنه .

وله يد طولى على فى تعليمى وتثقيفى ورعاية أمورى إبان ذلك العهد الطويل الذى قضيته فى التعليم . ويمتاز بدماثة الخلق وطيب النفس ونبل الشخصية .

٣ — الشيخ الغندور ابن الشيخ أبو زيد خفاجى بن الجوهرى خفاجى ، ولد نحو عام ١٣٠٦ هـ ، وتزوج فى ٢١ ربيع الثانى عام ١٣٢١ هـ، وتوفى يوم الجمعة أول رمضان ١٣٧٧ هـ — ٢١ من مارس ١٩٥٨ .

٤ — الشيخ حسانين سعيد خفاجى من الأعيان . وقد توفى عام ١٩٦٧

٥ — الشيخ عثمان خفاجى ، ابن المرحوم الشيخ عبد المنعم خفاجى ، وشقيق مؤلف هذا الكتاب ، ولد عام ١٩١٢ وعاش فى مجد والده وثرائه، التحق بمدرسة الرشاد بالمنصورة بعد أن أتم تعليمه الأولى فى مكاتب البلدة واستمر فيها عامين ثم كرهها وعاف الحياة فيها فتركها ومكث فى مكتب المرحوم الشيخ سباق عامين آخرين يحفظ القرآن الكريم ثم أخذ يتدرب على أمور الزراعة ويشرف على مصالح الأسرة وشئون الوالد وأعماله المختلفة.

وتزوج فى يونيو عام ١٩٣٤ فأعقب عدة أبناء منهم المهندس عبد المنعم عثمان خفاجى وعبدالهادى خفاجى بكلية الزراعة بجامعة القاهرة وهو مثال الاستقامة النادرة يحمل عبئا كبيراً فى جلد وشجاعة وقوة احتمال . . وله مكانة محترمة بين الأسرة . . ويمتاز بالتقوى والصلاح والاستقامة . . ورشح لمشيخة تلبانة .

٦ — رياض خفاجى ، ابن عمى ، وهو مفتش بوزارة المعارف . . ولد عام ١٩١٣ ، وتخرج من مدارس الزراعة عام ١٩٣٥ .

٧ — رشدى نافع خفاجى . . ابن خالى المرحوم الشيخ محمد

نافع خفاجى ، ولد عام ١٩٠٩ وتخرج من مدارس البوليس عام ١٩٤١ والتحق بخدمة البوليس وله شخصية قوية ومكانة محمودة فى الأسرة . ويمتاز بدماثة الخلق ونبل النفس .

٨ — الأستاذ محمد حسنين خفاجى وقد تخرج من كلية الزراعة عام ١٩٥١ وهو موظف كبير بوزارة الخزانة اليوم .

٩ — فاروق محمد عصر خفاجى وهو برتبة بكباشى فى الجيش .

١٠ — وفيق نافع خفاجى المهندس الزراعى ، وعوض نافع خفاجى شيخ خفراء القرية .

١١ — رجائى عبد اللطيف سليمان خفاجى مأمور جمرك السلوم .

١٢ — فهمى أحمد عبد المنعم خفاجى المحامى بالبنك العقارى المصرى .

وهناك كثيرون سوى ذلك منهم . أحمد أحمد عبد المنعم خفاجى افندى والطاهرى الغندور خفاجى ، وسليمان خفاجى ، وعصر خفاجى وصالح خفاجى ، وسواهم .

وقد توفى عام ١٩٥١ : حامد نافع خفاجى .

وغير هؤلاء : الشيخ محمد ابراهيم خفاجى ، ويسن خفاجى ، وسواهم .

أحمد خفاجى

هو عميد أسرة خفاجى بالدقهلية ، ووالد الأساتذة : محمد لطفى خفاجى ، ومحمود الطاهرى خفاجى ، وفهمى خفاجى ، وصالح خفاجى ، وأحمد خفاجى .

تولى مشيخة تلبانة ، دقهلية وكان عضو المؤتمر القومى عن دائرة تلبانة الانتخابية .

وقد نال أمانة دائرة تلبانة فى الانتخابات الأخيرة .

وله مآثر كثيرة على الأسرة وعلى كل معارفها خصوصا ، وعلى تلبانة عموماً .

وأسهم بنشاط كبير فى خدمة الأهالى ودائرة تلبانة ، وهو فى طليعة الجيل الحاضر .

وقد تولى من قبل عدة وظائف بوزارة الأوقاف .



من الصور التاريخية المشرقة (١)

بنو خفاجة فى الأحواز(٢) بإيران :

يرجع تاريخ نزوح بنى خفاجة إلى الأحواز فى حوالى القرن التاسع الهجرى عندما انتقلوا إليها من مدينة العمارة فى العراق ، لتأييد السيد محمد المشعشعى الذى أسس إمارته فى مدينة الحويزة فى ذلك التاريخ . وقد أيدوه وعضدوه ودافعوا عن حكمه وحكم من خلفه من أمراء الحويزة العرب .

كان موطنهم بعد نزوحهم من العراق فى نهر (المالكية) من منطقة الحويزة . ثم سميت المنطقة باسمهم (الخفاجية) . ومازالت تعرف إلى اليوم بهذا الاسم من قبل عرب القطر . بالرغم من أن الحكومة الإيرانية أبدلت اسمها إلى اسم فارسى أسوة بباقى المناطق التى غيرت أسماءها .

وعلى أثر الحروب الطاحنة ـ والتى سببها الأرض والماء ـ تفرقت قبيلة خفاجة فى مناطق عديدة من الأهواز وسكنوا إلى جوار بعض القبائل العربية أمثال كعب والشرفاء . وقد انتحل بعضهم اسما جديداً كالمراونة .

---

(١) تلقينا من الأستاذ على نعمة الحلو الأستاذ بوزارة التربية فى بغداد هذه الكلمة التى تحتوى على معلومات قيمة عن الخفاجيين فى إيران ، وهو مؤلف كتاب « الأحواز » الذى ظهر منه ستة أجزاء حتى اليوم ، وسيبلغ نحو العشرة الأجزاء .

(٢) هكذا أسماها العرب فى صدر الإسلام . ويلفظها الفرس (أهواز) لعدم وجود (الحاء) فى لغتهم . فهم إذا نطقوا كلمة فيها (حاء) قلبوها إلى (هاء) كقولهم (هسن) أى (حسن) .

لقد لبت (خفاجة) ـ كباقى القبائل العربية ـ نداء مراجع الدين فى العراق سنة ١٩١٤ لإعلان الجهاد ضد بريطانيا . وأبلت بلاءاً حسنا فى مقارعة الجيش البريطانى ، ونتيجة لذلك تعرض بنو خفاجة إلى مدفعية الجيش البريطانى التى هدمت مدينة الخفاجية مركزهم وأشعلت النيران فى مساكنهم فهربوا إلى الأهواز القريبة منهم . ودام القصف البريطانى لمدينة الخفاجية ثلاث ليال متتالية ليكون ذلك درساً وعقابا لبنى خفاجة إزاء مواقفهم المعادية للجيش البريطانى .

عصبتهم فى (عامر) ومهنتهم تربية الإبل والأغنام . ومازالوا على بداوتهم يعتزون بتقاليدهم وعاداتهم الأصلية . وعلاقتهم بإخوانهم فى العراق قوية مستمرة إذ يؤدون معهم الفرائض العشائرية ويشاركونهم مختلف المناسبات . ويقدر عددهم أكثر من خمسمائة عائلة . ولا نستطيع أن نحدد أفخاذها لانتشارها وتفرقها فى المنطقة .

فهرست الموضوعات

الخفاجيون فى التاريخ

الموضوع	الصفحة
قيام دولة بنى خفاجة	٧٣
الأمير أبو طريف الخفاجى	٧٣
« أبو على «	٧٣
« سلطان «	٧٤
معارك عامى ٤٠٢ ، ٤٠٤ هـ	٧٥
معارك عام ٤١١ هـ	٧٦
الأمير أبو الفتيان الخفاجى	٧٦
معارك عام ٤٢٥ هـ	٧٧
الأمير على الخفاجى	٧٧
« الحسن «	٧٨
« منيع «	٧٨
« محمود «	٧٩
« رجب «	٧٩
بنو هلال والأمير الخفاجى بالعراق	٨٠
الهلاليون فى ضيافة الأمير الخفاجى	٨٠
معارك عام ٤٨٥ هـ	٨٣
معارك عامى ٤٩٩ و ٥٠٠ هـ	٨٤
تاريخ بنى خفاجة فى القرن السادس	٨٥
الأمير الغضبان الخفاجى	٨٧
بنو خفاجة فى القرنين السابع والثامن	٨٩
« « فى العراق فى العصر الحديث	٩٠
عشيرة خفاجة فى العراق	٩٥
بنو خفاجة فى الشام	١٠٠ — ١٢٨
الأمير ابن سنان الخفاجى	١٠١ — ١٢٥